وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ذي قار

كلية الآداب / قسم اللغـــــــة العربية

أخبار أبي تمّام وأخبار البحتري

لأبي بكر الصولي ت ٣٣٥هـ

- دراسة تداولية -

رسالة تقدم بها الطالب (رحيم جبر حسون) الى مجلس كلية الآداب بجامعة ذي قار

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في فلسفة اللغة العربية وادابها / أدب

بإشراف

أ . م . د. يحيى حسن خضير

١٤٣٩هـ ٢٠١٨م

قرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة اننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ(اخبار ابي تمام واخبار البحتري لابي بكر الصولي ت ٣٣٥هـ دراسة تداولية) التي تقدم بها الطالب (رحيم جبر حسون) وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها وفيما له علاقة بها . ونرى انها جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بتقدير (جيد جداً عالٍ) .

الامضاء :
الاسم : د. رياض شنته جبر .
الدرجة العلمية : أستاذ .
التاريخ ١/ ٣ / ٢٠١٨م
رئيسا .

الامضاء :
الاسم : د. محمد حسين عبدالله .
الدرجة العلمية : أستاذ .
التاريخ / ٣ / ٢٠١٨م
عضوا .

الامضاء :
الاسم : د. خالد عبدالعزيز محسن .
الدرجة العلمية : مدرس .
التاريخ١٨/ ٣ / ٢٠١٨م
عضوا .

الامضاء :
الاسم : د. يحيى حسن خضير .
الدرجة العلمية : أستاذ مساعد .
التاريخ١٨/ ٣ / ٢٠١٨م
عضوا ومشرفا .

صُدقت من مجلس كلية الآداب / جامعة ذي قار

الامضاء :
الاسم : أ.م.د. جابر محيسن عليوي .
عميد كلية الآداب / جامعة ذي قار
التاريخ / ٣ / ٢٠١٨م

إقرار المشرف

اشهد ان رسالة الطالب (رحيم جبر حسون) الموسومة بـ(اخبار ابي تمام واخبار البحتري لابي بكر الصولي ت٣٣٥هـ دراسة تداولية) ، قد اُعدت تحت اشرافي في قسم اللغة العربية في كلية الآداب /جامعة ذي قار ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في فلسفة اللغة العربية وآدابها .

التوقيع :

المشرف :

أ.م. د

يحيى حسن خضير

/ /٢٠١٨م

وبناءاً على التوصيات المتوافرة أُرشح هذه الرسالة للمناقشة .

التوقيع

رئيس قسم اللغة العربية

الاستاذ الدكتور

هادي شندوخ حميد

/ / ٢٠١٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

((رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨)))

صدق الله العلي العظيم

سورة طه

ايه ٢٥- ٢٨

الاهداء

الى من له وجود في هذا الوجود

امي وابي وزوجتي واولادي (منار وعمار واحمد

وعلي)

والى اخوتي واخواتي

اهدي هذا العمل .

شكر وتقدير

لا يسعني في هذا المقام – وقد اتممت كتابة رسالتي – الا ان اتقدم بأصدق مشاعر التقدير والاحترام الى كل من اسهم في اتمام هذا العمل المتواضع ، سائلاً الله – تبارك وتعالى – ان يوفقهم لما هو خير انه سميع مجيب ، فإليهم خالص امتناني وتقديري .

الدكتور. يحيى حسن خضير، الذي لم يضن علي بمصدر او رأي سديد يسهم في إخراج الرسالة بالهيئة المناسبة فله مني جزيل الشكر والامتنان ، ويقف القلم عاجزا عن خط كلمات شكر وثناء بحقه .

قسم اللغة العربية رئيساً واساتذة .والى اساتذتي في السنة التحضيرية ،و جميع موظفي المكتبات العراقية ،ولا سيما المكتبة المركزية في جامعة البصرة ،و مكتبة كلية الاداب في جامعة ذي قار .

ومن جميل العرفان انْ اتقدم بالشكر الجزيل لمن وقف معي سواء في مشورة او راي سديد، ولاسيما الاخ الصديق جعفر طراد راضي ، والى جميع اصدقائي وزملائي الاعزاء ، والى ابن أخي (علي عبدالله جبر) الذي اجهد نفسه لإكمال هذا العمل المتواضع .

المحتويات

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين محمد وعلى اله الاطيبين الأطهرين .

يعد الصولي ت٣٣٥هـ من المبرزين في عالم النقد والادب ، بوصفه النموذج الامثل لكثير من النتاجات المعتبرة ، التي شهد لها اعلام الادب والنقد في عصره وعصور تلت بالصدق والثقة ، وتداول ما كتبه الصولي ومانقله في مؤلفاته على ألسنة العامة والخاصة واعتمادها كمادة اساسية من جهابذة عصره وعصور تلت ، لما تمثله من كنوز معرفية اسهمت في تأسيس منهج قائم على الصدق والاخلاص في النقل والرواية ، بعدم انجراره نحو الاهواء والنزوات الشخصية ، التي من شأنها ان تحط من قيمة العمل الادبي ، إذ إنّ قيمة العمل الادبي تكمن فيما تحويه من منزلة ادبية وعلمية تتسم بالصدق والاخلاص ، وعدم الانحياز لطرف على حساب الطرف الاخر دونما دليل .

أنّ الالية التي اتبعتها في الدراسة هي تطبيق المنهج التداولي واجراءاته ومفهوماته على كتابي الصولي (اخبار ابي تمام واخبار البحتري) ، الهدف منها استنطاق النصوص التي وردت في الكتابين في ضوء المنهج التداولي ، لما ينماز به هذا المنهج من اهمية كبيرة في الدراسة ، لأنها تمنح سلطة للمتكلم وللمتلقي وللنص ، إِذ اشتملت الدراسة على ثلاثة فصول تسبقها مقدمة وتمهيد وتتلوها خاتمة . اذ احتوى التمهيد على استعراض لتعريفات التداولية ،وكيف تمخضت واهمية المنهج التداولي في الدراسة الادبية وخاصة النص التراثي ، كونه يشتمل على الطرق والمحددات الاجرائية والمنهجية التي نادت بها التداولية .

تناولت في الفصل الاول الحجاج الذي تكون من (تداولية الحجاج والروابط الحجاجية والشاهد الحجاجي) ، اما في الفصل الثاني فقد تناولت الظواهر التداولية وهي: (الاستلزام التخاطبي ومبدأ التعاون وعلاقته بالتهذيب والافتراض المسبق والقصد والاشاريات والمقاصد) ، اما في الفصل الثالث فقد تناولت الوظائف التداولية وهي: (الرسالة جنسا ادبيا والافعال الكلامية والاساليب اللغوية) ، اما الخاتمة فقد احتوت على اهم النتائج التي

توصلت اليها في بحثي الموسوم (اخبار ابي تمام واخبار البحتري لابي بكر الصولي ت٣٣٥هـ دراسة تداولية) .

سعت الدراسة الى تطبيق المنهج التداولي على نصوص الصولي ، مستعينا بجملة من الكتب التي تناولت المنهج التداولي ، وأفاضت به امثال (التداولية عند العلماء العرب لمسعود صحراوي ، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية لعبد الهادي بن ظافر الشهري و المقاربة التداولية لفرانسوا ارمينكو .... وغيرها) .

وهنا اود ان اسجل امتناني الى الدكتور (يحيى حسن خصير) ، الذي بث في نفسي عزيمة وتشجيعاً على اخراج هذا العمل الى حيزالوجود ، وعلى مشورته التي لا تثمن ، وعلى مساعدته في وضع الخطة العامة للرسالة ، وعملَ الكثير من اجل تحسين محتويات الرسالة وجعلها اكثر ملاءمة ، وذلك من خلال تعليقه على المسودة الاولى لتقويم الاعوجاج ودفع النقائص ، وقد زودني بالعديد من العناوين المناسبة للفصول ، فله مني جزيل الشكر والامتنان .

الباحث

كانون الثاني ٢٠١٨م

التمهيد

- مفهوم التداولية :

تنوعت الدراسات والتيارات التي تهتم بدراسة اللسانيات إذ ((لم يعد التياران البنيوي والتوليدي التيارين الوحيدين اللذين يهيمنان على الدراسات اللسانية ، فقد أفرزت المعرفة نظريات ومفاهيم لغوية متباينة في الاسس المعرفية ، انبثقت عنها تيارات لسانية جديدة منها التيار التداولي))[١] ، فالتداولية ليست حديثة العهد والظهور وإنما هي قديمة لها جذور في التأريخ ((اذ كانت تستعمل كلمة Pragmaticus اللاتينية وكلمة Pragmaticas الاغريقية بمعنى (عملي)))[٢] ، فالأساس الذي انبنت عليه التداولية هو معرفة الاستعمال الخاص للمعنى المستلزم الذي يستتر خلف المعنى الظاهري ، مما يتطلب من المتلقي القيام ببعض الاستدلالات للوصول الى مقصد المتكلم إذ ((ينبري السامع بالتوصل الى استدلالات عن المعنى الذي قصده المتكلم اعتمادا على شيئين ، الاول معنى ما قاله المتكلم ، والثاني الافتراضات المسبقة او السياقية والمبادئ التواصلية العامة التي يحرص المتكلم عادة على اتباعها في اثناء المحادثة ، وبهذا يصل السامع الى تضمينات ما قاله المتكلم))[٣] وتحليل ماقاله المتكلم((عبرتخصصي،بتحليل الخواص العامة التي يجب ان تتوفر في اي نص لغوي ليقوم بوظيفتة كنص))[٤] ، ((على اساس ان النص اللغوي في جملته انما هو نص في موقف))[٥]

---

(١) التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الافعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، مسعود صحراوي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت / لبنان ، ط١ ٢٠٠٥ ، ص٥ .

(٢) التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، أ .د . بشرى البستاني ، مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة – لندن ، ط١ ٢٠١٢ ، ص١٣ .

(٣) التداولية ، جورج يول ، ترجمة. قصي العتابي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط١ ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م ، المغرب / الرباط ، ص١٣ .

(٤) بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص٢٩٦.

(٥) المصدر نفسه ، ص١٢١ .

، من خلال السياق الذي ترد فيه اللغة ، إذ ((اكد الالماني فنجنشتاين ان اللغة موضع الدراسة والتحليل ضمن اي منهج فلسفي ، ان المعنى لا يتسم بالثبوت ولا التحديد ما دامـــت ظـــروف التخاطب في تغير دائم))[١] ،

فـ((التداولية ليست علما لغويا محضا ، بالمعنى التقليدي ، علما يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها واشكالها الظاهرة ، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال ، ويدرج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره))[٢] ، وهذا ما اشار اليه موريس ١٩٣٨ان التداولية تهتم بـ((كشف الدوافع النفسية للمتكلمين ، وردود افعال المتلقين ، ويبين الطابع الاجتماعي للكلام))[٣] ، ولا يكون ذلك إلا بالاهتمام باللغة لأنّها ((ظاهرة (بيولوجية) نفسية من جهة اولى ، وظاهرة اجتماعية من جهة اخرى ، مما يجيز وصفها بانها ذات بعدين : بعد داخلي وبعد خارجي))[٤] ، وهذا ما اشار اليه عبد القاهر الجرجاني ت٤٧١هـ في باب اللفظ والنظم بقوله : ((الكلام على ضربين ، ضرب انت تصل منه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، وذلك اذا قصد ان تخبر عن (زيد) مثلا بالخروج على الحقيقة فقلت : (خرج زيد) وبالانطلاق عن (عمرو) فقلت : عمرو منطلق وعلى هذا القياس ، وضرب اخر انت لا تصل منه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده ،ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضـــــيه

---

(١) بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص٢٩٦ .

(٢) التداولية عن العلماء العرب ، ص١٦ .

(٣) البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد محمد كريم الكواز ، مؤسسة الانتشار العربي ، مكتبة اللغة العربية . بغداد شارع المتنبي ، مجمع الزوراء ((ب - ت)) ، ص٢٧٩ .

(٤) استراتيجيات الخطاب : مقاربة لغوية تداولية ، عبدالهادي بن ظافر الشهري ، الناشر. الكتاب الجديد المتحدة ، ط١ اذار / مارس / الربيع ٢٠٠٤ افرنجي ، دار الكتب الوطنية / بنغازي - ليبيا ، ص١١ .

موضوعه في اللغة ، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها الى الغرض))(١) ، بمعنى إن كل عبارة لغوية تتضمن معنى صريحا ، واخر ضمنياً ، فالمعنى هو الظاهر من دلالة اللفظ ونصل اليه بغير واسطة ، اما معنى المعنى هو أنْ نعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بنا ذلك المعنى الى معنى اخر ، وقد اكد ذلك سبرر و ويلسون في (نظرية الملاءمة) ، للتواصل البشري بأن ((يقدم المتكلم تبعا له مجرد دليل (مثل : منطوق ما) على مقصده لإيصال معنى محدد ، ويفهم المخاطب معنى المتكلم عبر انتاج سلسلة من الاستدلالات التي يحكمها هذا الدليل))(٢) ، وذلك بالاعتماد ((بشكل كبير على معرفة الاعراف الاجتماعية – الثقافية باعتبارها اساسا للاستدلال))(٣) ، شريطة أنّ يندمج المتكلم مع خطابه لإيصال مقصده للمتلقي ((أي ان حياة الخطاب هي تمثيل للذاتية ، وللموضوعية في آن واحد ، فالذات حينما لا تندمج في الخطاب تقدم نفسها على انها موضوعية ، ولكن عدم اندماجها ليس الا وهما يخدع المتلقي ليقع تحت طائلته))(٤) ، فهي اشارة الى وجوب وجود القصد الذي يرمي اليه المخاطب في خطابه لتغيير العالم ، لذا ((تختص التداولية بدراسة المعنى كما يوصله المتكلم (او الكاتب) ويفسره المستمع (او القارئ) ، لذا فإنها مرتبطة بتحليل ما يعينه الناس بألفاظهم اكثر من ارتباطها بما يمكن ان تعنيه كلمات او عبارات هذه الالفاظ منفصلة))(٥) ، ((لان مدار الامر ينصب على ماذا يعني المرسل بخطابه ، لا ماذا تعنيه

---

(١) دلائل الاعجاز ، عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني النحوي ت٤٧١هـ ، تحقيق. محمد محمود شاكر ، قراءه وعلق عليه. ابو فهر ، ص٢٦٢ .

(٢) تساؤلات التداولية وتحليل الخطاب ، ص٦٣ .

(٣) التداولية ، ص٤٦ .

(٤) تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص ، محمد مفتاح ، دار التنوير للطباعة والنشر . بيروت/ لبنان ، ط١ ١٩٨٥ ، ص١٥١ .

(٥) التداولية ، ص١٩ .

اللغة))[١] ، لأنّ اللغة ليست ((نظاما منغلقا يتم تحليله في ذاته ومن اجل ذاته ، كما كان مقترحا في التقاليد البنيوية للسانيات التي جاءت بعد دي سوسير وشومسكي... ودراسة العلامة الى دراسة استعمالها داخل المواقف الاجتماعية ، كما تجوز دراسة الجملة الى دراسة استعمال المنطوق داخل السياق))[٢] ، فعملية صياغة المرسل لهذه الالفاظ والتراكيب اللغوية هو لغرض تحقيق مقاصده ونواياه ويكون ذلك ((بطريقة توصيل معنى اللغة الانسانية الطبيعية من خلال ابلاغ مرسل رسالة الى مستقبل يفسرها))[٣] ، لان ((معنى الوحدة الكلامية يتجاوز ما يقال فعلا ، اذ انه يتضمن ايضا ما هو مقصود ضمنا (او ما هو يفترض مسبقا) ، وللسياق صلة وثيقة بهذا الجزء من معنى الوحدة الكلامية))[٤] ، ((فالتلفظ بالخطاب ليس عملية تصويت فحسب ، فلا يمكن الحكم بوجود التلفظ الا بتوفر قصد المرسل ، وذلك يتجاوز مجرد النطق بأصوات فقط))[٥] ، وهذا المعنى موجود لدى البلاغيين القدامى إذ كانوا ((تداوليين ، اذ كانوا يفكرون في الصلات القائمة بين اللغة والمنطق (وخاصة المنطق الحجاجي) من جهة ، واثار الخطاب في السامع من جهة اخرى))[٦] ، فـ((اللغـــــــة باعتبارها ميكانيزمــــــــا سيكـــــــولوجـــــيا

---

(١) استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ، ص١٩٦ .

(٢) افاق تداولية ، منتصر امين عبدالرحيم ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، الأردن / عمان ، ط١ ٢٠١٦ ، ج ١ : ٩-١٠ .

(٣) افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، محمود احمد نحلة ، دار المعرفة الجامعية / الاسكندرية ٢٠٠٢ ، ص ٩ .

(٤) اللغة والمعنى والسياق ، جون لاينز ، ترجمة. عباس صادق الوهاب ، مراجعة. يوئيل عزيز ، دار الشؤون الثقافية العامة افاق عربية ، وزارة الثقافة والاعلام – العراق / بغداد ، ط١ ١٩٨٧ ، ص٢٢٢ .

(٥) استراتيجيات الخطاب ، ص١٩١ .

(٦) التداولية من اوستن الى غوفمان ، ص٢٠ .

تتقاسمه اليات ذهنية متنوعة (تركيب ، استنباط ، استنتاج ، مجاز ، معجم ...) تشتغل على وفق عمليات تفكيكية واستنتاجية ، وهي عمليات اصبحت تعالج اليوم في اطار تداولي داخل النظرية الحجاجية))[١] ، لأنّ الحجاج يمثل ((احد اهم اركان التداولية الى جانب نظرية الافعال اللغوية))[٢] .

إنّ اهم ما تختص به التداولية هو دراستها ((كلاماً محدداً صادراً من متكلم محدد وموجهٍ الى مخاطب محدد بلفظ محدد في مقام تواصلي محدد لتحقيق غرض تواصلي محدد))[٣] ، مع التأكيد على ((فعل السياق في العملية التواصلية واهميته في الكشف عن المغيبات المتضمنة داخل الخطاب))[٤] .

تعددت تعريفات التداولية من قبل الفلاسفة والاعلام ، ويكاد يتفق هؤلاء على معنى محدد حول تعريف التداولية بأنّها ((مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية وهي كذلك الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة ، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعبيرات الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والحدثية والبشرية))[٥] ، فقد عرف موريس (التداولية) بـ((انها دراسة العلاقة بين العلامات ومؤوليها))[٦] ، اما ماي (mey) فقد عرفها بأنها ((دراسة استعمال اللغة في التواصل البشري كما هو محدد بشروط المجتمع))[٧] .

---

(١) عندما نتواصل نغير ، مقاربة تداولية معرفية لأليات التواصل والحجاج ، عبد السلام عشير ، افريقيا الشرق – المغرب ٢٠٠٦ ، ص١٨-١٩ .

(٢) التداولية والحجاج - مداخل ونصوص ، صابر الحباشة ، صفحات للدراسات والنشر ، الاصدار الاول ٢٠٠٨ / سوريا – دمشق ، ص١٥ .

(٣) التداولية عند العلماء العرب ، ص٢٦ .

(٤) التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، ص١٥ .

(٥) التداولية من اوستن الى غوفمان ، ص١٨ .

(٦) افاق تداولية ، ج١ ، ص٣٢ .

(٧) المصدر نفسه ، ص١٥٦ .

اما محمود احمد نحله فيوجز اقرب تعريف للتداولية وهو ((دراسة اللغة في الاستعمال، وفي التواصل لأنه يشير الى ان المعنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات وحدها ، ولا يرتبط بالمتكلم وحده ، ولا السامع وحده ، فصناعة المعنى تتمثل في تداول للغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي – اجتماعي – لغوي) وصولا الى المعنى الكامن في كلام ما))[١] ، اما طه عبد الرحمن فقد ((بيّن ان لفظة التداول تفيد الممارسة والتفاعل في التخاطب ، اذ لا مناص من عزل التداول عن الدلالة))[٢] ، فـ((التداولية هي الدراسة الالسونية التي تهتم بعلاقات العلامات بمفسريها))[٣] .

شهدت التداولية في الاعوام الاخيرة نموا مطردا إذ لم تختص في دراسة معينة لميدان معين ، مما يجعلها درسا غزيرا تتداخل مع اختصاصات متعددة تسهم هذه الاختصاصات مجتمعة في تحليل الخطاب والكشف عن سمات العملية التواصلية إذ ((ليس للدرس التداولي المعاصر مصدر واحد انبثق منه ، ولكن تنوعت مصادر استمداده ، اذ لكل مفهوم من مفاهيمه الكبرى حقل معرفي انبثق منه))[٤] ، مما ادى الى اتساعها ((لتشمل ميادين متنوعة ، مثل التداولية الاجتماعية ، علم اللغة التداولي ، التداولية الادبية،التداولية التطبيقية))[٥] ، لأنّ (البنية اللغوية للنص الادبي لا تقيد دائما بقيود النحاة بل ان لها علاقة بالأثار المترتبة على النص وبما يؤديه ، او لها علاقـــــــــــــة بكيـــــــــــفية انتـــــــــــاج

(١) افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص١٤ .

(٢) ينظر استراتيجيات الخطاب ، ص٥٧٤ .

(٣) التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، ص٥٥ .

(٤) التداولية عند العماء العرب ، ص١٧ .

(٥) التداولية ، ص١٤، ينظر التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، ص٥٧ .

المتلقين له واستهلاكه ... كون المؤلف له السلطة الكاملة على نصه فهو الذي يصوغ نصه الادبي وينظمه بطريقة مخصوصة ، وهو الذي ابدع تلك الصورة واوجد ذلك الرمز ووظف ذلك التراث واوجد تلك الشخصية في الرواية او المسرح وصاغ ذلك الحوار وصور ذلك المكان ووصفه))(١) ، ولا يكون ذلك حاضرا / فاعلا بين اطرف العملية التواصلية الا بالتزام الكاتب بـــ((الية الاغراء ، الكاتب يأخذ القراء من ايديهم ويفصلهم عن كدح الحياة اليومية ، ويقدمهم الى عالم جديد يكون المؤلف فيه هو المبدع وصاحب السلطة الرئيس ، ويجب على القراء ان يقبلوا هذه الخطوة المغرية ويتبعوا المؤلف داخل تلك المتاهة التي اختارها حتى يشاركوا بشكل تام في التجربة الادبية))(٢) ، اي ((ان الكلام بدون شك هو تبادل للمعلومات ولكنه ايضا تحقيق لأفعال مسيرة وفق مجموعة من القواعد ... من شأنها تغيير وضعية المتلقي وتغيير منظومة معتقداته او وضعه السلوكي ، وينجز عن ذلك ان فهم قول معين يعني التعريف بمحتواه الاخباري وتوجهه التداولي))(٣) ، وهذا ما عناه اصحاب التداولية بـــ((الاقتراب من الخطاب كموضوع خارجي ، او شيء يفترض وجود فاعل منتج له ، وعلاقة حوارية مع مخاطب او مرسل اليه ومن الناحية الالسنية فإن فكرة الفاعل ضرورية لمتابعة تحولات اللغة في الخطاب ، ومع ذلك فانه من وجهة النظر العملية المتصلة بالفواعل المتكلمين ، فليست اللغة نظاما وحيد الاتجاه ، ولا الفاعل المتكلم وحده شخصية او فردا معروفا في ممارسة القولية))(٤) ، فالمتكلم من خلال خطابه يبني عالما خاصا به ، وايضا يبني ذاته ، ليكون فاعلا ومؤثرا بما يطرحه من ايديولوجيات لغرض الابلاغ والاقناع والافهام ، بعده (المتكلم) مسؤولا عن العمليـــــات الاجرائية الذي

---

(١) التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، ص٢٠ .

(٢) افاق تداولية ، ج١ : ١٦٠ .

(٣) البحث اللغوي والنقدي ، ص٤٣ .

(٤) بلاغة الخطاب وعلم النص ، صلاح فضل ، دار الكتاب المصري ، مصر / القاهرة ، ط١ ٢٠٠٤ ، ص١٢١-١٢٢ .

يطرحه(المتكلم) في خطابه التواصلي ، ليكون موسوما به ، او يكون غير ذلك بمعنى ((ان النص يقدم دائما بوصفه (موسوما او غير موسوم) بطريقة شخصية ، اي انه يتصل بفاعل يتجلى فيه معبرا عن رأيه او وجهة نظرة ، مشيرا الى تجربة او حدث متعلق به ذاته ، وعندئذ يصبح موسوما ، او متصلا بوقائع ومعرف موضوعية بعيدة عن القائل ، وعندئذ يكون غير موسوم .. وهذان الوضعان الاساسيان للخطاب بكل ما يدخلهما من تعديلات وتداخلات يتجليان نصيا من خلال العوامل التالية :-

- مؤشرات الشخص والمكان والزمان .
- كيفيات القول التي تحدده ، مثل موقف التأكد واليقين او الشك والاحتمال .
- مؤشرات الموقف التي لا تتصل بفعل القول ذاته ، وانما بموقف القائل مما يقولــــــه ...

فالمتكلم – اذاً – لا يستطيع ان يلغى وجوده وموقفه ليضع مكانه الشخص الذي يذكر حديثه))[1] إذ يتقوى قول القائل حينما يذكر حديث شخص اخر يعضد به كلامه ويجعله موضوعيا ، بمعنى أنّ الجملة يجب ((ان يكون لها فاعل متكلم ، ليس فقط فاعل الجملة ، ولكن شخص يؤلف المنطوق الواقع في سياق يكون فيه شخوص معينة ناطقة بهذه المنطوقات))[2] ، ولا يكون ذلك الا باستراتيجية يلجأ اليها فاعل الخطاب للتعريف بهذه الشخوص ، وفي ذات الامر يكون فاعل الخطاب حاضرا في الخطاب نفسه ، وهذا ما قاله التداوليون بـ((استخدام تغيير الشفرة اللغوية على وجه التحديد لتقديم الشخصيات والتعريف بها ، وابراز خواصها عن طريق ادخال صوت مغاير لصوت (فاعل) الخطاب الذي يحتفظ بلغة متجانسة وخاصة به.. في تحديـــــــــــد شخصيـــــــــــــات المشـــــاركين

---

(١) بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص١٢٣-١٢٤ .

(٢) افاق تداولية ، ج١ : ١٦٧ .

في عملية التواصل))[1] ، اما إذا كان كلام القائل مخالفا لكلام شخص اخر فأن القائل يظهر تباعدا مقصودا عنه اي أنّ ((التعبيرات المميزة للجماعات اللغوية المختلفة تشير الى مشاركة او تضامن القائل الذي يستخدمها مع هذا الافق الايدلوجي الخاص باللهجة كما يقول باختين ، فاذا كان القائل لا يبتغي هذه المشاركة فان عليه ان يظهر بشكل ما تباعده المقصود عنها))[2] ، شريطة أنْ يمتلك المتكلم (القائل) الكفاءة التواصلية ((لان مفهوم الكفاءة وظف كي يعمل على تجاهل القيود السيكولوجية غير الاساسية بالنسبة لملكة اللغة ، بينما هذا المفهوم من العقلانية يستبعد كثيرا من الظواهر الهامشية داخل التواصل ، ان القدرة على توصيل معلومات مناسبة فقط الى شخص ما كيلا تجرح شعوره هي السمة الجوهرية للكفاءة التواصلية البشرية))[3] ، قصد التأثير في المتلقي لتحقيق اهدافه ومراميه لأنّ ((الكلام يحدث في سياقات اجتماعية ، فمن المهم معرفة تأثير هذه السياقات على نظام الخطاب المنجز))[4] .

فـ((التداولية بصفة عامة هي المعرفة الشاملة بالأخر والمعرفة العميقة بمكونات عملية التخاطب))[5]

---

(١) بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص١٢٥-١٢٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٢٥ .

(٣) تساؤلات التداولية وتحليل الخطاب ، ترجمة وتنسيق. حافظ اسماعيلي علوي ، ذهبية حمو الحاج ، منتصر امين عبدالرحيم ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، دار المكتبة الوطنية ، ط١ ٢٠١٦ ، ص٤٧ .

(٤) استراتيجيات الخطاب ، ص٢٣ .

(٥) عندما نتواصل نغير ، ص١٨ .

للوصول الى البنية العميقة للخطاب لأنّ ((التمثيلات الدلالية للجمل او الاقوال وهي قضايا ذهنية لا تطفو على سطح الوعي ابدا ، بل تتكون في الذهن بفعل عملية الية لا واعية لحل الترميز اللساني للقول ومن ثم تصلح التمثلات كخطاطات للفرضيات إذ تساعد على اعادة تكوين الشكل القضوي للقول الذي يستدعي اثارا سياقية ، وبعد ذلك تأتي تفسيرات الشكل))[1] ، وهذا ما مثله النص التراثي لما فيه من ((خصائص ابستيمولوجية تجعل منه منظومة مستقلة ومتميزة ومتكاملة . ولكن استقلالية التراث العربي لا تبرر الممارسات الاقصائية الحزبية التي تجعل منه غير قابل للتحاور العلمي المنصف مع معطيات العلوم المعاصرة .. لدراسة البعد التواصلي الإبلاغي للظواهر الخطابية للغة العربية))[2] ، وذلك لـ((احتواء التراث العربي على مباحث وافكار ذات توجهات واجراءات تداولية : اي الكشف عن الوجه الاخر للتفكير اللساني العربي ، ومن ثم تكون التداولية مدخلا مناسبا من مداخل فهم هذا التراث العظيم ، واداة من ادوات قراءته))[3] وذلك لما تمثله نصوص النص التراثي من خصائص لغوية وقيمية ، ومستويات سياقية مقامية وتشخيصية تمثل الانموذج الامثل لكل منهج يدرسه على مستوى الاجراء والنتيجة والتطبيق وخير ما تمثله هذه الدراسة هو المنهج التداولي ، لما يحتويه من عدة طرق اجرائية ومفهومات منهجية تتلاءم وثراء النص التراثي وهذا ما رأته د. بشرى البستاني بأنّ ذلك يعود إلى ((نضج الفكر الثقافي والمعرفي الناجم عن الثراء الحضاري المخصب الذي اتسمت به تلك العصـــــور العربية ، مما جعل تفكير

---

(١) عندما نتواصل نغير ، ص٣٩ .

(٢) التداولية عند العلماء العرب ، ص٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص١٢ .

المبدعين في ذلك الزمن القديم يتسم بالشمولية وبالمقدرة على تحليل الظواهر وتأويل الاحوال وتعليل ما هو مبدع اصيل من الفن والعلوم .. لان العلوم المعاصرة التي انضجها تراكم الجهد الانساني عبر التاريخ لا ترجع الى الوراء ، بل تمتص الخبرة الماضية التي اكتسبتها لتؤسس عليها))[1] ، القواعد والاجراءات لما يتسم به النص التراثي من التكامل والتجدد والتلاؤم لكل منهج يقوم بدراسته ومنها (المنهج التداولي) ، ويكون ذلك بقراءة النص التراثي ((قراءة معاصرة تمتشق ساح (المناهج الحديثة) وما افرزته من جهاز مفاهيمي ، مع الابتعاد عن التعسف في تطبيق ذلك على مفاهيم التراث تطبيقا قسريا ، ومع ابداء التحفظ الواجب الذي يفرضه استصحابنا للوعي باستقلالية التراث العربي))[2] ، فتكون التداولية المنهج الملائم للولوج الى عمق التراث العربي وطريقة مثلى لفهمه ، واداة من الادوات الملائمة لقراءته وهذا ما سنحاول تطبيقه على اخبار ابي تمام واخبار البحتري لابي بكر الصولي .

---

(١) التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، ص١٤ .

(٢) التداولية عند العلماء العرب ، ص٨ .

الفصـــــــل الاول

الحجاج

المـبحث الاول : تداولية الحجـــاج .

المـبحث الثاني : الروابط الحجاجية .

المبحث الثالث : الشـــاهد الحجاجي .

توطئة

يُعد الحجاج من التمظهرات المهمة والمستلزمة لعملية التواصل الخطابي ، إذ يشكل الاختلاف والتضاد الارض الخصبة لإنمائه بغية الاقناع والتأثير والاستمالة فـ((الطابع الاجتماعي يظل بعدا غنيا يدفع المشاركين فيه الى ابتكار سبل استدلاليه متنوعةٌ تكفل تحقيق الاقناع ومن ثم اشراك الاخر في قبول الاطروحة المتضمنة في الخطاب التواصلي))[١] .فيكون الخطاب التواصلي هو الاساس والمعني من عملية التخاطب لما يتسم به من جدل وبرهان ، إذ ليس كل خطاب حجاجي جدلي قابل للصدق والتثبت مالم يخضع لدليل وبرهان ، وهذا ما تطرق اليه المشتغلون في الحجاج منذ ارسطو إذ إن ((مدار البرهان هو انتاج قول يبلغ به الانسان اليقين في مجال الممكن ومدار الخطابة هو انتاج قول نبني به الاقناع في مجال المحتمل))[٢] . فالجدل لا يستلزم الصدق وقول الحق بقدر ما يستميل السامع اليه ، إما البرهان فإنه يستلزم ويقود الى نتائج حتميه ضرورية لأن ((المعطيات او المقدمات تقدم في التصور البرهاني واضحة واحادية الدلالة ، ومن ثم فهي تؤول من طرف الكل على نفس الشاكلة))[٣] فـ((المعطيات في الحجاج – ويقصد هنا هو الجدل او المجادلة – تبقى ملتبسة حاملة لدلالات متعددة))[٤]

---

(١) الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر :- زكرياء السرتي ، ص ٢٣ .

(٢) الحجاج عند ارسطو ، ضمن مؤلف جماعي :- اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم ، هشام الريفي ، اشراف حمادي صمود ، جامعة الآداب والفنون والعلوم الانسانية ، كلية الآداب منوبة ، تونس . (د . ت) ، ص١١٠ .

(٣) بلاغة الاقناع في المناظرة / عبد اللطيف عادل ، منشورات ضفاف ، بيروت / لبنان ، ط١ ، ٢٠١٣ ، ص٨٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٨٩ .

إذ إن البرهان خلاف الحجاج لأن الاخير حامل اصوات تدعم صوت المتكلم اي ((ليس لأي خطاب ان يكون احادي اللغة والصوت ، او احادي القيمة))[1] بمعنى إن ((الخطاب الذي يتلقاه ليس خطابا شخصيا يخص المتكلم بل هو خطاب مشترك ، يتكلم فيه المتكلم ، وتتكلم داخله اصوات اخرى مستمدة من المرجعيات الثقافية التي تحدد المخاطب نفسه))[2] . ايدهُ بذلك لانسون بقوله :- ((ثلاثة ارباعه مكون من ذوات غير ذاته))[3] فالخطاب الحجاجي ليس نابعا من شخصية المتكلم ، او بمعنى ادق ليس هو خطاباً شخصياً يخص المتكلم ، وإنما هو خطاب تتعالق و تتمازج فيه اصوات لمرجعيات ثقافية عديدة ، الهدف منها اشراك السامع (المتلقي) في عملية بناء الخطاب ، ويكون ذلك كما حدده كوراكس اليوناني وهو احد مدرسي الخطاب الاوائل واستنبط اسسها بأسلوب اخر بـ((اشراك الاسلوب البلاغي الرصين في عملية الاقناع وذلك بأن يكون منظما))[4] فقد ركز كوراكس على الاسلوب البلاغي الرصين الجالب للألفاظ الفصيحة لإقحام المقابل او اقناعه او استمالته او التأثير ، شريطه أنْ يكون ذلك الخطاب البلاغي منظماً غير مشتت فقد نشأ الخطاب الحجاجي في المجتمعات التي تشهد معارك فكرية من خلال الخوض في قضايا فلسفية اجتماعية تربوية .... الخ ، مما ادى لظهور الخطاب الحجاجي الجدلي في المحاكم اليونانية لغرض اقناع هيئة المحلفين .

فقد كان لظهور ((السفسطائيين الذين كانوا بارعين في التلاعب باللغة باعتمادهم على الظن والشك لاقحام المقابل واقناعه بشتى الوسائل امثال محاورة جورجياس ومحاورة مينون ومحاورة (السوفسطائي) ومحاورة (بوليتكيوس) وكانوا يتخذون من النسبية المعينة مذهبـــا

---

(١) النص الغائب (تجليات التناص في الشعر العربي) ، محمد عزام ، منشورات اتحاد كتاب العرب / دمشق ، د . ط، ٢٠٠١ ، ص٣٠ .

(٢) حجاجية المجاز والاستعارة ضمن كتاب الحجاج (مفهومه ومجالاته) ، حسن المودن ، عالم الكتب الحديث ، الاردن ، ط١ ، ٢٠١٠ ، ٢٥٤ .

(٣) منهج البحث في تاريخ الادب ، لانسون ، ترجمة. محمد مندور . نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص١٢٤.

(٤) يُنظر:- الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر ، د. زكرياء السرتي / عالم الكتب الحديث ، ط١ / ٢٠١٤ ، اربد / الاردن ، ص٣٣.(بتصرف).

لهم))[١] . فالحجاج او المحاججة غاية في المتلقي بـ((اقتحام مناطقه والتأثير في افكاره وقناعاته ومحاولة توريطه او احراجه او ارباكه ، بل ومحاولة زعزعة ما استقرَ في ضميره وعقله واقناعه بتصورات جديدة ... على مستوى الحجج والبراهين وطرائق الاقناع او الاثارة العاطفية))[٢] ، اماالحجاج لدى السفسطائيين فانه يعتمد على سلطة الكلام وهو ما رفضه افلاطون ، إذ دعـــا إلـــى (البحث عن الحقيقـــة وعن الاخلاق ، والذي خالفه تلميذه ارسطو في تركيز الاخير على كيفية تطور الخطابة لتحقيق الفائدة بالإضافة الى التأثير من خلال الاستدلال والابتعاد عن العواطف)[٣] ، إذ ركز ارسطو على ((الاستدلال المنطقي والقياس والمماثلة))[٤] فالحجاج من هذا العرض يمكن تعريفة بانه عبارة عن: ((ملفوظات واقتراحات متسلسلة بشكل منطقي وواضح لابد من تجريدها ، والبحث عن مظاهرها الحجاجية ، واستجلاء طريقة بنائها وانتظامها داخل مسار حجاجي معين ، وداخل سياق استدلالي محدد . والغرض من هذا هو معرفة كيفية اشتغال مؤسسة الحجاج ضمن سياق تواصلي معين من المجرد الى المحسوس))[٥] ، اي بمعنى (دراسة كل ما له صلة بالعملية التواصلية من لغة وحظور الزمان والمكان والسامع (الواقعي والمفترض) بهدف التأثير والاقناع)[٦] .

---

(١) يُنظر ، الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر، ص٣٣ ،ويُنظر :- حجاجية الخطاب في ابداعات التوحيدي،اميمه صبحي علاء الدين،دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ،ط١ ٢٠١٥، عمان ص٢٨.

(٢) ادب الحيوان عند العرب (قصّ وحجاج) ، سامية الدريدي الحسني ، مركز النشرالجامعي ،تونس ،٢٠١٢ ، ص١٠٥ .

(٣) يُنظر :- الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر ، ص٣٦.

(٤) نظريات الحجاج ، جميل حمداوي ، شبكة الالوكه (www.alukah.net) ، ص٥٩ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٦٠ .

(٦) يُنظر :- المصدر نفسه ، ص٦١-٦٢ .

اي أنّ المتكلم بحكم طبيعة عقله قادر على اجراء ((عملية تجريدية تفكيكية تركيبية تتضمن استبعاد بعض العناصر وابقاؤه البعض الاخر ، ثم يقوم بترتيب ما تم ابقاؤه من كعطيات فيبرز بعضها باعتباره مركزيا ويهمش البعض الاخر باعتباره ثانويا ... ويكون ذلك على اساس مجموعة من المسلمات الكلية النهائية المفطورة في عقل الانسان والتي تسمى بـ(الخريطة الادراكية)))[١] ، فيُلاحظ ان المتكلم الواحد بحكم طبيعته السايكولوجية قادر على ربط الافكار الملائمة التي يريد عرضها فـ(الحقائق الانسانية لا يمكن فهمها الا من خلال دراسة دوافع الفاعل وعالمه الداخلي والمعنى الذي يسقطه علية ... من خلال عملية حدس وتخمين متعاطف وتخيل وتركيب عقلي ومقاربات ذهنيه)[٢] ، بهدف الاقناع والتأثير وهذ ما اشار الية بيرلمان في كتابة (البلاغة الجديدة -: مصنف في الحجاج) بأن الحجاج يهدف إلى (الاقناع والتأثير والاتفاق ولا يمكن تصوره الا في اطار نفسي اجتماعي)[٣] ، باعتماده على (مجموعة من التقنيات الخطابية الموجهة الى اقناع المتلقي او الرأي العام)[٤] ، ويكون ذلك بمعرفة البلاغة لأنها ((علمٌ مخلصٌ لنظرية الادب ، وشامل لكل انواع الخطاب المؤثر ، وذلك باعتبارها مرجعا مناسبا لبلاغة الحجاج في كل المجالات التي تتوخى التأثير والاقناع))[٥] . لذلك سميت البلاغة قديما بـ(العلم الكلي) وهذا المعنى تطرق اليه حمادي صمود في كتابة (في نظرية الادب عند العرب) بقوله :- ((إن القوانين التي اشتقوها (البلاغيون) من النصوص الادبية انما هي قوانين كلية يمكن أنْ تقع في الشعر ويمكن أنْ تقع في النثر ، ولذا تـــــــــراهم يسمـــــون البــــلاغة بـ(العلم الكلي)))[٦] ،

---

(١) دراسات معرفية في الحداثة الغربية ، عبدالوهاب المسيري ، ط١ ٢٠٠٦ ، القاهرة ، مكتبة الشروق الدولية ، ص٣٦٤-٣٦٥ .

(٢) المصدر نفسه ، عبد الوهاب المسيري ، ص٣٦٥ .

(٣) الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر ، زكرياء السرتي ، ص٢٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٢٩ .

(٥) التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه ، تنسيق حمو النقاري ، الناشر كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط ، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء ، ط١ ٢٠٠٦ ، ص١٠ .

(٦) الحجاج في الشعر العربي ،ص٥٨ .

فـ((معرفة طرق التناسب في المسموعات والمفهومات لا يوصل اليها بشيء من علوم اللسان الا بالعلم الكلي في ذلك وهو علم البلاغة الذي تندرج تحت تفاصيل كلّياته ظروب التناسب والوضع))(١) ، فقد عمل بيرلمان وتيتيكاه في (مصنف الحجاج) :- البــلاغة الـــــــــــجديدة على ((تخليص الحجاج من التهمه اللائطة بأصل نسبة وهو الخطابة ، وهي تهمة المغالطة والمناورة والتلاعب بعواطف الجمهور وبعقله ايضا ، ودفعه الى القبول باعتباطية الاحكام ، ولا معقوليتها بالإضافة الى تخلي الحجاج من صرامة الاستدلال الذي يجعل المخاطب به في وضع ضرورة وخضوع واستلاب))(٢) ، إذ يقسم بيرلمان الحجاج إلى قسمين هما :- ((الحجاج الاقناع وهو يرمي إلى اقناع الجمهور ، والحجاج الاقتناعي وهو حجاج يرمي إلى أنْ يسلم به كل ذي عقل))(٣) ، فالجمهور في نظر بيرلمان جمهور عام فيكون حجاجهم بالإقتناع ، وجمهور خاص يكون حجاجهم بالحجاج الاقناعي ، فمن خلال هذه المعطيات يعرف بيرلمان الحجاج على إنه ((درس تقنيات الخطاب التي من شأنها ان تؤدي بالأذهان الى التسليم بما يعرض عليها من اطروحات او ان تزيد في درجة ذلك التسليم))(٤) ، فنرى بيرلمان يذهب مذهب ارسطو في تركيزه على البلاغة إذ جعل بيرلمان وتيتيكاه الحجاج عنصرا ثالثاً مفارقا من صناعة الجدل وصناعة الخطابة ، أما ديكرو وانسكمبر في كتابهما (الحجاج في اللغة) بأنهما يركزان على اللغة في اقناع المتلـقي

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الادباء ، حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ) ، تحقيق محمد الحبيب بلخوجة ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٦ ،ص٢٢٦.

(٢)كتاب :- اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم ، لفريق البحث في البلاغة والحجاج ، بإشراف حمادي صمود ، منشورات ، جامعة الآداب والفنون والعلوم الانسانية ، كلية الآداب منوبة ، تونس :- سلسلة آداب ، مجلد XXXIX ، سنة ١٩٩٨، ص٢٩٨ .

(٣)سيميائية القرآن بين الحجاج والاعجاز ، وحدة تحليل الخطاب ، محمود الصفار ، نشر وتوزيع شركة المنى – صفاقس ٢٠٠٨ ، ص٨ .

(٤)المصدر نفسه ، ص٨ .

(السامع) بها بشكل صريح او ضمني لأن ((المتكلم قد يصرح بالنتيجة وقد يخفيها فيكون على المتلقي استنتاجها لا من مضمون هذه الاقـــــــوال الاخبـــــــــارية بل اعتمادا على بنيتها اللغوية فحسب))[١] إذ ركز على السامع (المتلقي) ودوره في التفسير والتأويل والاستنتاج للذي سكت عنه في الخطاب إذ ((اعتبر ان غاية الخطاب الحجاجي تتمثل في ان تفرض على (المخاطب) نمطاً من النتائج باعتبارها الوجهة الوحيدة التي يمكن للمخاطب ان يسير فيه))[٢] ويعتبر المقام اللغوي الذي يمثل القول ابرز مضانه لمعرفة المختفي وراءه فتتميز نظرية المدرسة البرغماتية التي يعتبر (ديكرو) أبرز روادها بميزتين هما :- ((التأكيد على الوظيفة الحجاجية للبنى اللغوية ، وابراز سمة الخطاب التوجيهية))[٣] ويكون ذلك من خلال ابراز التناغم الضروري في كل خطاب حجاجي ، وهذا ما تطرق اليه الفرنسي ليونالبلنجي في كتابه (الحجاج :- مبادئه وطرقه) إذ يفصل القول في هذا التناغم والذي يسميه بـ(الضروري) ويحصره في ثلاث نقاط يعدها اساسية لكل خطاب حجاجي[٤] -:

(١) القبول: فلكي يتم انخراط المتلقي في العالم الذي يرسمه بالخطاب وفي الخطاب على الباث ان يضمن اولاً عملية التلقي ذاتها ولا يتم ذلك الا متى وجد المتلقي في الكلام شكلا معقولا مقبولا ففهمه وقبله .

(٢) مشابهة الحقيقة ذلك ان العالم المعروض في الخطاب ينبغي ان متصورا وان تكون اشياؤه قابلة للتحديد وعلاقاته محتملة تطابق ما يحمله المتلقي من تصورات حول الواقع على مستوى الممكن والمستحيل .

(٣) الاقرار فالغايات التي يرسمها الخطاب والمواضع والقيم التي يعتمدها يمكن لمتلقٍ تحديدها في مقام اول ثم اقرارها والاقتداء بها في مقام ثانٍ .

---

(١) الحجاج في الشعر العربي ، بنيته واساليبه ، سامية الدريدي ، عالم الكتب الحديث ، ط٢ ٢٠١١ ، اربد – الاردن ، ص٢٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٢٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٣٧ .

فنلحظ – مما سلف – أن الحجاج بوظيفته (المثلى) إما تقرير او توجيه او صرف لأن ((كل كلام في جوهره اعلاني وليس اعلانيا فقط بسبب كونه يحمل عدداً من الاخبار التي تسمح بعدد من النتائج . إنه اعلاني بسبب كون قيمته الداخلية تمتزج مع التتمة التي ينشدها))[١] ، ويكون ذلك بمعرفة القيمة الداخلية المكونة للخطاب الحجاجي اي معرفة مكنونات اللغة الطبيعة والخاصية الجوهرية لهذه اللغات ، وهذا المعنى نجده في قول ديكرو بما للحجاج من صفة اعلانية بأن ((تصورنا للحجاج يقع في هذا الاطار بالنسبة الينا هو سمة جوهرية لعدد كبير من الاقوال التي لا نستطيع استخدامها دون ان ننوي توجيه المخاطب نحو نمط معين من النتائج ... لصالح اي شيء ان يكون حجة))[٢] ويكون ذلك بـ(الكشف عن منطق* اللغة الطبيعية* التي تمثل الاداة الاولى للتواصل الانساني)[٣] ويرى المعجم الكبير G.D ((إن الاثر الادبي يتمثل في البحث عن دلالاته الخافية لأنه قائم على طرفين هما الباث والمتلقي من جهة والكاتب والقارئ من جهة اخرى ، اما الكـــاتب فيتمثل في كفاءته على تشكيل الخطاب وتضمينه الدلالات العديدة ، واما القارئ فيتمثل في كفاءته على التفكيك والتفسير والتأويل)) [٤] مما يخلق تواصلا انسانيا ، وهذا ما تمثله الرسالة بعدها جنسا ادبيا للتواصل الانساني بين المتكلم والقارئ.

---

(١) الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر ، ص٥١ .

(٢) الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر ، ص٥١-٥٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٥٢ .

(٤) سيميائية القرآن بين الحجاج والاعجاز ، ص٦-٧ .

*يقول طه عبدالرحمن ((وتكفينا هذه المفاهيم الثلاثة :- القول والانتقال والطلب في صوغ حد للمنطق يستوفي مقتضى الاصالة ومقتضى الحداثة معاً ، فـ(المنطق) :- علم يبحث في قوانين الانتقالات من اقوال مسلم بها الى اقوال مطلوبة . اللسان والميزان او التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء / ، ط١ ، ١٩٩٨ ، ص٨٧ .

*لغات رمزية تستلهم المعنى من الخارج(من السوق)،فتحمل في مضامينها(الايحاء والتضمين والاستعارة...)،فتتقوى عرى التواصل ببن اطراف التخاطب ،وتتبلور العلاقات الاجتماعية من خلال انجازهم لافعالهم اللغوية.ينظر استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ،ص٢٥ .

المبحث الاول : تداولية الحجاج

يعد الحجاج – كما اسلفنا – من الاسس المهمة والفاعلة في الخطاب التواصلي ، فحيثما وجدت البشرية وجد معها التناقض والاختلاف ، وبهذا الاختلاف والتناقض ينشأ التنازع على سلب الآراء من الاخر وبما يعتقد ويؤمن وجعلها في ساحته فيغير منها ما يشاء بما يحب ويرضى لتتلاءم مع مناخه الخطابي وجوه الذي انبنى وتربى عليه ، قصد الاقناع والتأثير في المتلقي لتغيير اعتقاده وما تعارف او تعالق عليه وهذا ما دفع (ماير) الى القول بأن الحجاج هو جهد اقناعي ، وهذا الجهد الاقناعي يتوقف ((كذلك على القول الذي يجب بناؤه حجاجيا والعمل على تعبئته بالأدلة القادرة على اقامة الاعتقادات او تغييرها ... فجمالية القول خادمة للغاية نفسها))[١] ، فـ((اهمية القول تكمن في الابانة عن المقاصد والتعلق بأغراض وحاجات تجعل منه وسيلة اجرائية تحقق الرباط المطلوب بين المتكلم والمستمع))[٢] ، وهذا ما تطرق اليه رومان جاكبسون حينما نظر للغة بعدها وسيلة تواصلية إذ((جعل بهذه الرؤية المنهجية من اللسانيات عملا علميا يستغرق كل جزئيات اللغة الداخلية والخارجية ، وما ينجم عن هذه الجزئيات من وظائف متباينة حسب تباين مآلات الفعل اللغوي))[٣] .

وهذا ما أكده ديكرو ابرز رواد المدرسة البراغماتية الذي جعل لكل قول حقيقة لوجوده وتواجده((حيث يكون كل قول منها معبرا عن قضية معينة ، أي محددا حالة (او مجموع حالات) حقيقة او مفترضة لهذا العــــــالم ، لهذا لا يكون تسلسل الاقوال في استدلال ما ،

---

(١) بلاغة الاقناع في المناظرة ، ص٥٥.

(٢) المصدر نفسه ، ص٦٣.

(٣) قضايا الشعرية ، رومان جاكبسون ، ترجمة . محمد الولي و مبارك حنوز ، ط١ / ١٩٨٨ ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، ص٢٧.

مؤسسا على الاقوال ذاتها لكن على القضايا المتضمنة فيها ، على ما تقول او تفترضه حول العالم))[١] ، وهذا المعنى تطرق اليه موشلر بقولة : ((إن كل ملفوظ يحمل في صورته مسارا لولوج دلالته ودليلا لتأويلة ...))[٢] وبهذا القول الذي حمل في طياته معنى متضمناً يستطيع السامع (المتلقي) الولوج اليه – بحسب فهمه – من خلال تراتبية هذه الاقوال فيكون الحجاج بحسب تعبير ديكرو هو ((انتاج متواليات من الاقوال بعضها هو بمثابة الحجج وبعضها الاخر هو بمثابة النتائج ... لإعطاء توجيه حجاجي للقول ، او توجيه المخاطب في هذا الاتجاه او ذاك))[٣] ، وهذا لا يتم الا إذا كان المتكلم والسامع على درجة من التناغم ليكون القول ومقصدياته حاضرا لدى الاخير بتأويلة وتفسيره لمعرفة هذه المقصديات والمكونات المندمجة في القول مما يتطلب المعرفة لمقصديات ذلك القول ومكنوناته إذ((كيفما كان القول (الخطاب) ، وكيفما كانت المعرفة فان العودة تكون للذات وهويتها الكاملة))[٤] ، وتكون العودة للذات او الى هويتها الكاملة بتحريك المعنى الكامن الذي يتفق عليه الطرفان (السامع والمتكلم) والتي سماها ديكرو بـ((المعاني المشتركة ، اي إنها تحظى بقبول جماعي في مجتمع وحقبة معينتين))[٥] ، فـ((هذا الطرح اللساني الذي لا ينفصل بين البعد التداولي والبعد الدلالي في الخطاب))[٦] ، وهذا نجده جليا لدى ديكرو بقوله : ((إن معنى اي ملفوظ وحتى في الحالة التي تقدم فيها للكلمة مفهومها الاكثر ضيقا – اي الاكثر نحويه – لا يمكن أنْ يوصف دون استحضار مقصديات معينة لتلفظه))[٧] ، فـ((نجاح الخطاب يكمن في مـــدى مناسبته للسامع ، ومدى قدرة التقنيات الحجـــــاجيـــــة

---

(١) الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر ، ص٥٢ .

(٢) بلاغة الاقناع في المناظرة ، ص٩٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٩٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص١٠٤ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٩٩ .

(٦) بلاغة الاقناع في المناظرة ، ص٩٦ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٩٦ .

المستخدمة على اقناعه ، فضلا عن استثمار الناحية النفسية في التقبل من اجل تحقيق التأثير المطلوب فيه))[١] ، ولا يكون ذلك الا من خلال تفاعل المتكلم والسامع في نسق معين ومحدد فـ((الخطيب باعتباره مقدرة خطابية وتمثيلا للقيم والافكار المشتركة يعمل من خلالها المتكلم على التلاؤم مع منظور ومعتقدات مخاطبه ، والمناسبة بين صورتيه القبلية المتولدة عن المتخيل الجماعي والمستخلصة من الخطاب لتنتج عنهما شرعية وسلطة قول ، قد يخولانه ممارسة التأثير يبتدع هوية من شأنها خلق صلات جديدة بالذات وبالآخر))[٢] .

فاذا ما اردنا أنْ نعرف اي خطاب حجاجي لابد أنْ نعرف اخلاق المتكلم ومدى مصداقيته فـ((موضوع الاخلاق كان محور حركة تأليفية واسعة في القرن الرابع الهجري ، اسهم فيها فلاسفة العصر ومفكروه ... اكسب مفهوم الاخلاق بعدا انسانيا مثاليا))[٣] ، والذي يشمل بدوره الخطيب والمستمع والخطاب نفسه بما يطرح من ايديولوجيات تسهم في العملية التواصلية للأطراف المتحاورة ، وهذا لا يتم إلا من خلال عدة اليات تعمل عملها في التأثير الحجاجي لدى المتلقي إي إن((كل حوار يتطلب درجة دنيا من الافتراضات المشتركة حول العالم ، تجعله مقبولا او مبررا))[٤] . والذي يتمثل بـ:

---

(١) التداولية والحجاج ، ص٢١ .

(٢) الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة ، امينه الدهري ، الناشر : شركة النشر والتوزيع / الدار البيضاء ، ط١ ، ٢٠١١ ، ص١٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٥٤ .

(٤) بلاغة الاقناع في المناظرة ، ص١١٨ .

١.١اخلاقُ الباثِ – المتكلم (الايتوس)

تتمثل غاية الحجاج (المثلى) بـ((اقناع المتلقي بما يحمله من افكار وما يعرضه من مواقف واغرائه بهذه الافكار وتلك المواقف ليحدث في نهاية المطاف اثرا واضحا في المتلقي لا من حيث افكاره فحسب ، بل من حيث مواقفه وما قد يكون له من سلوك واقعي ملموس))(١) ، من خلال الاعمال التي تمثل حجة للذات وخاصة إذا كانت صادرة من شخص موثوق ويتحلى بالأخلاق فـ((الخطيب يقنع بالأخلاق اذا كان كلامه يلقى على نحو يجعله خليقا بالثقة ... فخلقه اقوى عناصر الاقناع لديه))(٢) ، فتحدد وجاهة الخطاب الحجاجي بالباث من خلال مواقفه في واقعه الملموس والتي تتمثل بـ(الثقة) فـ((الايتوس : هو مجموعة الخصال المتصلة بالخطيب والمؤدية الى احلال الثقة في الجمهور وهو ما يعني حاجة الخطيب في محاولته استمالة الجمهور إلى الظهور بمظهر يجعله جديرا بالثقة حقيقا بالتصديق))(٣) .

ويبدو ان اخلاق ابي بكر الصولي والتزامه الصدق في نقل الاخبار قد دفع النقاد الى أن ينهلوا ويأخذوا من كتبه واخباره ونحصي منهم ((أبا الفرج الاصفهاني والآمدي والعسكري والمرزباني في القرن الرابع والشريف المرتضى والخطيب البغدادي وابن رشيق في القرن الخامس وابن عساكر وابن الجوزي في القرن السادس وياقوت والشريشي وابن خلّكان في القرن السابع واليافعي في القرن الثامن والعبَّاسي في القرن العاشر وابن العماد في القرن الحادي عشر))(٤) ، نتبين من ذلك أن الصولي كان متصفا بالصدق في القول بما ينقله او يرويه من أخبار إذ ((عرف الخلفاء للصولي قدره فاتّخذوه كاتبا ومعلّماً ونديماً))(٥)

---

(١) الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه ، ص٣٥ .

(٢) اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم (مرجع سابق) ، ص١٤٦ .

(٣) الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه ، ص٩١ .

(٤) اخبار البحتري لابي بكر محمد بن يحيى الصولي ت٣٣٥هـ ، حققه وعلق عليه. صالح الاشتر ،ط٢ ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م ، ص ١٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ص١٩ .

فـ((التصديقات التي يقدمها القول على ثلاثة اضرب : الاول يتوقف على اخلاق القائل ، والثاني على تصيير السامع في حالة نفسية ، والثالث على القول نفسة من حيث هو يثبت او يبدو انه يثبت))[١] ، فتخلق هذه الصفات التي يتحلى بها المتكلم من صدق واخلاق وثقة عنصرا تواصليا بين الذوات المتحاورة وايضا ذاتا للحجاج لما تمتلك من مؤهلات قيمية تجعل المتلقي مذعنا للمرسِل لما يقول لأن ((الشخص هو مجمل المعلوم من اعماله اي بتعبير ادق هو العلاقة بين ما ينبغي أنْ نعتبره جوهر الشخص وبين اعماله التي هي تجليات ذلك الجوهر))[٢] ، وهذا ما تطرق اليه ج. ديبوا (J. Dubois) حينما ربط الشخص بأعماله واعتبرها تجليات ذلك الجوهر (الذات) بقوله : إن ((كل تحليل للخطاب يستنتج اعتبار القول متناسقا مع الذات التي انتجته))[٣] ، وذلك بقوله : ((مما أنا عالِمٌ بهِ وعَدْلٌ فيه))[٤] ، فبهذا الربط بين الصولي واعماله تتبين اخلاقه وصدقه فيصنع من هذه الاخلاق – وفيما يقول حجة لذاته يقنع بها ويفحم ، والتي سماها بيرلمان ((التداخل بين العمل والشخص))[٥] ، إذ لايمكن عزل الشخص عن عمله كونه يمثل عنوانه ووجوده في الوقت نفسه لأن ((علم الاخلاق والقضاء يحكمان على العمل وعلى صاحبه في الوقت نفسه ، وليس في وسعهما الاكتفاء بالحكم على واحد منهما دون الاخر ، وهما إذ يحكمان على الشخص دون اعماله ، فإنّهما يحكمان عليه في ضوء اعماله فهي جزء لا يتجزأ))[٦] ، اي الاتحاد والوجود بين الشخص واعماله إذ اصبح ((الصولي في اوائل القرن الرابع إماماً في اللغة والأدب والعلوم الأخرى ،يقصده الطلاب لينهلوا من غزير علمه ...))[٧] ،

---

(١) اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم ، ص١٤٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٣٧٤ .
(٣) الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر ، ص٩٦ .
(٤) اخبار ابي تمام ، ابي بكر محمد بن يحيى الصولي ت٣٣٥هـ ، حققه وعلق عليه خليل محمود عساكر و محمد عبده عزام و نظير الاسلام الهندي قدم له احمد امين ، منشورات دار الافاق الجديدة - بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٠ ، ص٦ .
(٥) اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم ، ص٣٣٤ .
(٦) المصدر نفسه ، ص٣٣٤ .
(٧) اخبار البحتري ، ص١٨ .

فهذا القصد والاقبال مؤداه بما يحمل الصولي من صفات ذات ابعاد دلالية وحجاجية لأن ((قيمة الشخص المعترف بها سلفا من قبل السامعين يمكن اعتبارها مقدمة حجاجية مهمة توظف في تحقيق العديد من النتائج))[١] ، فيحصل تكافؤ بين الاسم وصفاته فـ((في مقامات الخطاب والمحادثة والحوار والتفاعل بين المتخاطبين قد لا يمكن أنْ يؤدي اسم العلم الدور نفسه الذي يؤديه محتواه الوصفي او معينه))[٢] ، بمعنى إنّ ((اسم العلم إذ يدل على شخص ما في مقام ما او مقال ما يصبح له محتوى وصفي هو مجمل صفات ذلك الشخص الذي يحيل عليه الاسم))[٣] ، فاذا ما ذكر الصولي تنجذب معه الاخلاق والصدق والثقة والمفيد من الاخبار فـ((مما يؤثر في مصداقية الخطاب ما يعرفه المستقبل عن مصدره . يميل الناس الى تصديق من يرونهم اكفاء وامناء ... لما يتمتع اصحاب تلك النصوص جميعا بكفاءة حجاجية في صناعة الحلل وبأمانة في عرض موضوع الحجاج))[٤] ، قال الازهري : ((سمعتُ أبا بكر بن شاذال يقول : رأيتٌ للصولي بيتًا عظيماً مملوءاً بالكتب وهي مصفوفة ، وجلودها مختلفة الألوان كل صف من الكتب لون ، ... وكان الصولي يقول : هذه الكتب كلها سماعي))[٥] ، فهذا العلم والصدق في القول والاخلاق التي لا تقبل التزييف والتـــدليس تكون بمثابة حجج وهو ما ((يجعل متلقي الرسالـــــــــــــة ملزمين

---

(١) الحجاج : التصورات والتقنيات ، د.مؤيد آل صوينت ، مجلة اقلام ، العدد الاول ، كانون الثاني / شباط / اذار / ٢٠١١ ص٧٩ .

(٢) الحجاج في القرآن من خلال اهم خصائصه الاسلوبية ، عبدالله صوله ، الناشر دار الفارابي ، كلية الآداب والفنون والانسانيات ، تونس – منوبة ، ط١ ، ٢٠٠١ ، ص١٧٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص١٧٥-١٧٦ .

(٤) الثقافة الشعبية والحداثة ، د. صلاح فضل ، فصول ، مجلة النقد الادبي ، علمية محكمة / العدد رقم ٦٠ ، صيف – خريف ٢٠٠٢ ص٥٥ .

(٥) اخبار البحتري ، ص١٥ .

بوجه من الوجوه بقبول هذه الرسالة والايمان بصاحبها))[١] ، وهذا يتوقف على مدى معرفتنا المسبقة بهذا الشخص ومدى صدقية اقواله وما يتحلى به من اخلاق وثقة فـ((لكي نفهم اسما يجب ان نكون على وعي وادراك بمسماه على نحو ما برؤيته او القراءة عنه))[٢] ، و ((في هذه الحالة يلعب القصد او النية او الطوية ، دورا مهما ونعني بالقصد او النية او الطوية ما توفر لدينا من افكار وآراء سابقة حول الشخص صاحب العمل))[٣] ، لأنّ ذلك يخلق نوعا من الارتياح والاطمئنان النفسي على صدقية ما يلقى ويؤخذ من ذات الشخص كون الاخير جديرا بالثقة والاخلاق ومتسما بها فضلاً عن سعة علمة وطول باعه فيه ، مما يخلق حجة تواصلية تعضد حجيته لذاته وعنصرا تداوليا والتي تكون (اللغة)ابرز مظانها ، كقول ابي سعيد العقيلي مادحا الصولي لغزارة علمه والثقة فيه :-

إنّما الصوليُّ شيـخٌ اعلمُ الناس خزانهْ

إن سألناه بعلـــــمٍ نبتغي عنه الإِبانهْ

قال يا غلمان هاتوا رزمة العلم فلانــهْ[٤]

ومما يطرحه الصولي من حجج تسهم في بلورة التأثير في متلقيه لما تحويه من صدق واخلاق وثقة بقوله : ((وإني لأرى اشياءَ مما أمليتُه قديماً من المعاني التي تّجاذبها الشعراء وحملَها الناسُ ولم يعرفوها مصنَّفةً مُبيّنةً إلا بعد إيرادي لها قد تخرَّمها قـــــــوم ، وأوردوها مُفرَّقـــــــــتةً في أماليـــــهم فبـــــانَتْ فـــــــــــي علومـــهم

(١) الحجاج في القرآن من خلال اهم خصائصه الاسلوبية ، ص١٧٨ .

(٢) في فلسفة اللغة ، محمود فهمي زيدان ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، لبنان – بيروت ، ١٩٨٥ ، ص١٤ .

(٣) اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم ، ص٣٣٤ .

(٤) اخبار البحتري ، ص١٨ .

وامَّازت عن تصنيفهم ، ونطق مكانُها بالغُربةِ فيهم))[1] ، نتبين من ذلك أنّ الصولي يصنع لنفسه هالة من الثقة والاخلاق والقول الصادق لما يقول ويروي ، من خلال اخذ الناس منه دونما تقصٍّ لهذه الاخبار والمرويات او معرفة لمعانيها ، كونها صادرة من شخص ذي ثقة واخلاق وصدق في قوله : (وإني لأرى اشياء مما امليته ... وحملها الناس ولم يعرفوها) ، فيخلق بذلك عنصرا تواصليا حجاجيا غرضه الاسمى الاقناع والتأثير في المتلقي من خلال الثقة والاخلاق والصدق ، التي صنعها المتكلم عن نفسه إذ ((لا ينفصل الحجاج عن التواصل لأنها معا وجهان متضامنان في كل تخاطب انساني ، ولا ينفصل الحجاج ايضا عن الاقناع لأنّ كل متكلم يسعى بالضرورة الى تعديل الآراء التي يؤمن بها مخاطبوه))[2] ، فحينما يصرح الصولي أنّ صدق القول مخصوص به وإنّ الاخر منزوع من هذه الصفة التي تجلب معها الثقة يدل بذلك دلالة واضحة على حجة وجه الذات التي يريد بها الصولي ان يصنعها عن نفسه من خلال الحضور النصي في خطاباته حيث يقول : ((وابتدأتُ في عمل أخبار جرير فبلغني أن قوما تضمَّنوا عملَها على شريطتي خلافاً عَلَيَّ وكِياداً لي فأمسكتُ عن إتمامها امتحاناً لصدقِهم ، فمات بعضٌ وبقى آخرون ولم تُعملْ حتى الساعة))[3] .

يُلحظ أنّ الصدق في العمل والقول هو حجة لصاحبها فاذا لم يوفق في القول والعمل تكون حجة عليه وليست له ، فنرى الصولي يلح الحاحا شديدا على الصدق في القول لأنّه جالب لكل الصفات التي تصنع وجود الانسان وتجعله حجة في وجوده في هذه الحياة او حتى عند وفاته إذ إنّ ((مدار البرهان هو انتاج قول يبلغ به الانسان اليقين في مجال الضروري ، ومدار الجدل هو امتحان قول لبناء قول نقارب به اليقين في مجال الممكن))[4]

---

(١) اخبار ابي تمام ، ص١٠ .

(٢) الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر ، ص٧٥ .

(٣) اخبار ابي تمام ، ص١٣ .

(٤) اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم ، ص١١٠ .

فحينما يصرح الصولي بعدم صدقيه نقيضه (الاخر) وذلك بامتحانهم في دعواهم لاختبار مدى مصداقيتهم واهليتهم في عمل اخبار جرير ، إنما اراد أنْ يجرد الاخر من هذه الصفة (الصدق) وجعلها في ساحته كي يحظى بالتصديق والقبول لدى المتلقي ، فالصولي حينما يوجه كلامه للأخر لا بقصد اثبات حجية وجه الذات له متمثلة (بالصدق) بقدر ما يريد توريط نقيضه (الضد) بدعواه وارباكه امام جمهوره لكشف زيفه لـ((تغدو الاستراتيجية الحجاجية عملا يتوخى ارباك الاخر ... ، ينصب طعما للخصم فيجره الى خلاف اعتقاده او التنكر لرأيه))[٢] فيجعله في ((حالة حرجة مراهنة على الا يتخلص منها او [على الاقل] يخرج منها بشكل سيء ، وبالتالي تسجيل نقطة ضده))[٣] ، فلجأ إلى ((استراتيجية حجاجية تمثلت في افساد صورته الشخصية (الايتوس)))[٤] ، وذلك بتجريده (الاخر) من الصدق وجعلها في ساحته (الصولي) ليصنع بها حجة وجه الذات يقنع بها ويفحم من خلال نعت الاخر بأوصاف غير محببه للمتلقي فيحمل المتلقي إلى النفور والاستهجان ويصبح المتكلم او (صاحب الدعوى) منزه من هذه الاوصاف فتتقوى حجته بذاته وذلك بقوله لمزاحم بن فاتك : ((وقد رأيتُ – اعزَّك الله – بعضَ هؤلاءِ الجهلةِ يُصحِّف أيضاً على ابي تمام ثم يَعيبُ ما لم يقلْه أبو تمام قط ...))[٥] ، فالصولي هنا ينزع من مناوئيه صفة الصدق بقوله : (يصحف ايضا على ابي تمام ، ثم يعيب ما لم يقله ابو تمام قط) ، ويجعلها في ساحته فتتقوى بذلك حجة وجه الذات للصولي ،لذلك ذم خصومه ب(الجهلة)إشارة الى تحليه(الصولي)بالعلم والاخلاق والصدق مما تتقوى حجة وجه الذات له.

---

(١) بلاغة الاقناع في المناظرة، ص٢١٨ .

(٢) م. ن ، ص٢١٨ .

(٣) خطاب الاخلاق والهوية في رسائل الجاحظ ، مقاربة بلاغية حجاجية ، محمد مشبال ، ط١ ٢٠٠٥ ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ،عمان – وسط البلد – مجمع الفحيص التجاري ، ص٥٦ .

(٤) اخبار ابي تمام ، ص٥٦ .

٢- حجة السلطة (الباتوس) :

يكتسب القول قوته وشرعيته إذا اصبح نافذا لدى السامع مؤثرا فيه كـ(تقرير) لا يمكن الطعن او التشكيك به لأنّ دلالتها تقريرية ومسوغة بما لا يقبل الشك في شرعيتها وحضورها لـ((حمل المتلقي على الاضطلاع باختيارات معينة دون اخرى وخاصة لتبريرها بحيث يجعل الاخر يقبلها ويصادق عليها))[٢] ، من خلال الحضور وشرعيته والاتفاق المسبق على ذلك لما يمتلك من سلطة ونفوذ في سامعيه فـ((الفعل الحجاجي لا يتمثل في تشكيل الراي وصياغته في قالب حجاجي فقط ، ولكنه يتمثل بصفة خاصة بدعم هذا القالب الحجاجي بعنصر مقبول سابقا من المتلقي))[٣] ، إذ يمكن أنْ نعدها بأنّ الصولي ارتكز عليها وجعلها نقطة ارتكاز في خطابه الحجاجي لما تمثله من شرعية وقبول ونفاذ قولها في المجتمع ، فـ((حجة السلطة مفهوم جامع لا يقتصر على وجه من السلطة معلوم ، بل يكاد أنْ يدرك كل ما من شأنه ان يحدث عنه ائتمار او ينجم منه اسار يفضي ، بتمكين الحقائق المعروضة والآراء المبسوطة على كيانات الجمهور ، يؤمن بها ويعمل بتعاليمها))[٤] إنّها كما يقول روبريو : ((نقط استدلال مقبولة من مجتمع ما تقوم مقام البدهيات والاثباتات المبرهن عليها في الرياضيات . إنّها تمثل بشكل من الاشكال (مواضع اخلاقية)))[٥] ، ولكي تبدو هذه الاخلاق سلوكا ذاتيا راسخا في شخصيته وتغدو شاهدا على امانته العلمية ، لم يتردد في الاعتراف بنسبية ثبات بعض ما ينقل واعتماده على من اعلم منه واخذ عنهم ممـــــا تزيد الحـــــــجة بالذات من قبل المتلقي ((ولـــعل هذا التحديد

---

(١) خطاب الاخلاق والهوية في رسائل الجاحظ ، مقاربة بلاغية حجاجية ، ص٦٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٦٦ .

(٣) الحجاج والحقيقة وافاق التأويل في نماذج ممثلة من تفسير سورة البقرة ، بحث في الاشكال والاستراتيجيات ، تأليف . علي الشبعان ، تقديم. حمادي صمود ، دار الكتب الجديدة المتحدة ، ط١ ٢٠١٠ ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي – ليبيا ، ص٢٩٠ .

(٤) خطاب الاخلاق والهوية في رسائل الجاحظ ، مقاربة بلاغية حجاجية ، ص٦٧ .

العام لمفهوم البيان القائم على الافهام والابلاغ والتوصيل واشراك الاخر في حاجات النفس والنظر اليه باعتباره شريكا ومعاونا ينبغي اخباره والتواصل معه والتأثير فيه))[١] ، فيخلق معنى تواصليا ويؤدي ذلك المعنى إلى إشراك الاخر (المتلقي) السامع في خلق ذلك المعنى المتداول بين المتحاورين ، فتتعزز وتقوى حجة الذات للمخاطِب من خلال مبدا التعاون واشراك الاخر وتعضيده في حجيته – إذا سلمنا إنّ المخاطِب – شريك في العملية التحاورية . وهذا ما نجده جليا لدى الصولي بالإقرار – وهي حجه لذاته – لأشخاص أعلم منه اخذ منهم لصدقهم وورعهم مما يزيد في حجيته لذاته والتي سماها عبدالله صوله ((حججا اتصالية))[٢] ، بأنّ الباث يستخدم اعمالا او احكاما او اقوال شخص او عدد من الاشخاص كحجة لما يقول مما يزيد حجته بذاته ويكون جديرا بالثقة ومتصفا بالأخلاق والعدل ، وهذا ما نجده حاضرا لدى الصولي وملتفتا اليه بقوله لمزاحم بن فاتك : ((وإنه ليخفُّ عَلَيَّ من حاجتك ما ينقُلُ عَلَيَّ من سواك ،لتقدُّمك وتقدُّمِ أخويك : أبي الفتح وأبي القاسم – أعزكم الله – في العلمِ والفهمِ والدينِ والصَّدقِ ، ولِما اعترفُ به من فضلِكم ، واشكُرُه من بِرِّكم ، فأنتم كما قلتُ في قصيدةٍ تقدمتْ لي في مدحكم أصفُكم جميعاً فيها :

ولا تنْسَ التفضُّلَ من إلـــهٍ	عليكَ بإخوةٍ نُجباءَ زُهـرِ
يُرَدُّ الطُّرفُ من حَذَرٍ عليكم	كأنكمُ نجومٌ حولَ بـــدْرِ
أثافِي سُؤْدَدٍ تمـــــتْ بِطَوْدٍ	فكانَ مُثَلَّثاً ، ونـجومُ نَسْرِ
وأشْبُلُ غَيْضَـةٍ تَحْمِى عَرِينـاً	وأسْهُمُ صَائبٍ جاءتْ لِقَدْرِ
فعُمِّىَ عنكمُ طَرْفُ المـــنايا	وقُلِّمَ من شَباهـــا كلُّ ظُفْرِ

---

(١) خطاب الاخلاق والهوية في رسائل الجاحظ ، مقاربة بلاغية حجاجية ، ص٢٨٦ .

(٢) الحجاج : اطره ومنطلقاته ، ضمن كتاب : اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية ، عبدالله صوله ، جامعة منوبة ، كلية الآداب ، تونس ، د.ط ، د ، ت ، ص٣٣١ .

ولازالَ العدُوُّ لكم مطيــعاً   مُقَارِنَ ذِلَّةٍ وحَليفَ صغْرِ[1]

نتبين من ذلك أنّ الصولي سلك طريقين من الحجج عن طريق حجة السلطة :-

١- **حجج ظاهرة** : وهو الاقتداء بأشخاص يمثلون السلطة ممثلة بــ(مزاحم بن فاتك واخويه) وما يتصفون به من سلطة النفوذ في الدولة العباسية ، إذ يعتمد الصولي على رصد الواقع والربط بين الاشياء فلا يبتدع صورا مبتكرة فــ((اسناد النعوت والاوصاف وسرد الافعال غالبا ما يتعزز بأصوات اشخاص ثقات يحظون بتقدير المتلقين ، لأن لهم سلطة معنوية))[2] ، فقد وظف الصولي هذه الاوصاف وجعلها في خدمة الموصوفين بوصفهم كفاءة علمية واخلاقية يعتد بمواقفها واحكامها وايضا هي اشارة الى تبنيه ودعوته بعدم الانخداع بالأخلاق الزائفة التي يتمثل بها اصحاب الرأي والقول الفصل ، فتمسُّك الصولي بأصحاب الاخلاق الصادقة وهو ما مثله في اثناء مديحة (لآل فاتك) ، فــ((الحجاج اعتمادا على حجة السلطة هو في الواقع حجاجان في الاول يتساوى من يحتج ومن يتلقى الحجاج في المكانة وفي الثاني تقام علاقة تراتبية بين الاثنين في الاول تربط بين المتكلم والمتلقي علاقة ثقة متبادلة وبالتحديد يحترم من يحاول الاقناع استقلالية الاخر ويقدر قدرته على اكتشاف الحقيقة وفي الثاني وعلى العكس من ذلك تربط بين الاثنين علاقة تبعية فمن يتلقى الحجاج عليه أنْ يحترم ما يقوله باسم السلطة))[3] فيخلق بذلك (الصولي) حجة لذاته وتتقوى الثقة به فــ((الخطيب حجة مقنعة في الاستدلال الخطبي بأخلاقها وعنصر الثقة فيها ، وهي عوامل تمنح الخطاب قوته ومصداقيته))[4] ، فالتزام الصــــولي (لآل فاتك) والاخذ عنهم او الاحتذاء بــــهم كي

---

(١) اخبار ابي تمام ، ص١٣ .

(٢) خطاب الاخلاق والهوية في رسائل الجاحظ ، ص١٨٤ .

(٣) الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه ، ص٢٣٥ .

(٤) بلاغة الاقناع في المناظرة ، ص٥٤ .

تكون حجته في ذاته اقوى واكثر حضوراأي إن((معرفة الشخص سياق يعين على فهم عمله وعلى امكان تقويمه ، ولذلك فعلم الاخلاق والقضاء يعتمدان مفهومي الانسان واعماله من حيث هما مفهومان مترابطان لا فكاك بينهما))[١] ، فـــ((التخلق هو أنْ يأتي المتكلم بفعل القول على الوجه الذي يبرز به دلالته البعيدة ، فضلا عن اعتبار دلالته القريبة ، ويقوي اسباب الانتفاع الاجل به فضلا عن اعتبار الانتفاع العاجل به))[٢] ، فالغاية من ارتباط هذه الاعمال بالمتكلم هو لنقل اخلاقه وجعل له صورة تسهم في التأثير والتقبل من قبل متلقيه ، فتكون هذه الاعمال بمثابة ثيمات حجاجية وناقلة في نفس الوقت لأخلاق متكلميها ولا يكون ذلك الا بارتباط المتكلم بأصول مرجعية (ثقافية دينية اخلاقية قيميه) تسهم في بلورة شخصية المتكلم وتجعل منها حجة في ذاتها وتعضد عنصرا الثقة والاخلاق فيها ، إذ بدون هذه المرجعيات تفقد ذات الشخص وما تمتاز به من اخلاق وثقة ، فحياتها وعنصر وجودها كامن بوجودها ، وهذا ما تطرق اليه بيرلمان في اثناء تقسيمه لأنواع الحجج ومن ضمنها حجج سماها بـــ(حجج قائمة على العلاقات التبادلية) بقوله : ((وتعني وجود موقفين يعتمد كل منهما على الاخر ومعالجتهما بطريقة واحدة ، وهو ما يعني ان بينهما علاقة تشابه .... فيتم اسناد الحكم الى امرين تدعي انهما متماثلان ، وحقيقة الامر ان بينهما سمات فارقة يجب أنْ يتناساها المحاجج بغية اقناع متلقيه))[٣] ، إذ إن ((كل استراتيجة خطابية هي استراتيجية حجاجية على الدوام وتتجلى حجاجيتها في كونها قاصدة وهادفة بالضرورة لأنها تتجه الى نقل السمات الفكرية والعاطفية والسلوكية المكنونة في ذات المتكلم إلى الجمهور الذي قد لا يكون مستعدا في الغالب لهذا الاشعاع اللغوي ، إلا إذا كان منخرطا مع المتكلم

---

(١) اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية الى اليوم ، ص٣٣٤ .

(٢) اللسان والميزان او التكوثر العقلي ، ص٢٢٣ .

(٣) حجاجية الخطاب في ابداعات التوحيدي ، ص١٥١-١٥٢ .

في نفس النسق الايديولوجي او السياسي او السوسيوثقافي))[١] ، وهذا ما صرح به الصولي بقوله : ((... ولم أجدْ سبيلاً إلى مخالفِتك ولا عُدولاً عن مشيئَتِكَ وإن كان هذا ممَّا لاَ أُجيب إليه غَيرَكَ ولا أَسمَحُ به لسِوَاكَ لا ظِنّاً بالعلمِ عنْ أهلهِ ولا كراهةً لنشْرِه وحَمْلِ مَنْ يستحقَّه لكنْ لما أنَا كاشفُه بعد سَتْرِه ...))[٢] ، وقوله ايضا : ((... وأمَّد العُمُرِ ، وأرضَى العملِ عزَّك ، وحسَّنَ الزمانَ الذي قلَّ فيه نظيرُك ببقائِكَ ، ووهبَ لأهلِ الأدبِ سلامتَك))[٣] ، فنلاحظ أنّ الصولي حينما يصرح صراحة علنية إنّ صدق دعواه كامن في وجود شخوص ذكرهم بأسمائهم بما يمثلون – بالنسبة له – الركيزة القوية التي يستند عليها لأثبات اخلاقه وعدله التي تكون (حجة الام) للتأثير في المتلقي فـ((التوجه الى الغير لازم من لوازم الادعاء))[٤] ، فهذه الاستراتيجية الحجاجية التي اعتمدها الصولي لإيصال خطابه التواصلي (الحواري) من خلال اعتماده على شخوص يمثلون (حجج) ، يصنع بهم حجة لذاته وتكون مسارا حجاجيا لتعضيد حجته بأخلاقه وعدله فبها ومنها تكون حجة الصولي لخطابه الحجاجي لغرض التأثير في متلقيه ، وهو ما نسميه (بالحجج الظاهرة) التي اعتمدها الصولي لتعزيز موقفه الاخلاقي لصناعة حجة لذاته للتأثير في متلقية .

٢- **حجج مضمرة** : تتسم الحجج المضمرة في خطاب الصولي الحجاجي ، التي تتمحور حول مسألة اثبات اخلاقه وعدله وصدقه التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالحجج الظاهرة لأنها تعطيه الحرية المطلقة في انشائها ، فصاغ عليها خطابه الحجاجي لأثبات اخلاقه وصدقه وعدله للتأثير في متلقيه فـ((شخصية المحاور يجب ان تتوفر على الثقة بالنفس

---

(١) الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر ، ص٢٥٤ .

(٢) اخبار ابي تمام ، ص٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٢-٣ .

(٤) اللسان والميزان او التكوثر العقلي ، ص٢٢٦ .

، وعلى الحرية في خوض العملية الحوارية، وعلى القابلية لتحملها وتحمل نتائجها))[١] ، فمن هذه الحجج المضمرة والتي جعل منها حجج لذاته لما اخفى في طيات خطابه التواصلي حجج تستميل وتقنع وتؤثر في المتلقي (السامع) وهي :

أ- **الخطاب المهذب المستقيم** : عمد الصولي الى سلوك هذا النوع من الخطاب المهذب المستقيم لاستمالة متلقيه والتأثير ، فيجلب الكلام المستقيم السلوك المستقيم فيقال : (كلام مستقيم) كما يقال : (سلوك مستقيم) حتى ان النحوي سيبويه خصص احد ابوابه لهذا المفهوم قائلا : ((هذا باب الاستقامة من الكلام والاحالة))[٢] لـ((إفادة معنى تعاملي وهو تقويم الاعوجاج والتربية الصالحة ، ثم صار مستعملا في معنى تخليص الكلام مما يعيب وظيفته التواصلية او التبليغية ، فقيل هذب الكلام كما يقال هذّب الصبي ، ثم اتسع هذا الاستعمال التواصلي فشمل المكتوب بالإضافة الى المنطوق فقيل هذا الكتاب اي خلصه مما زاد على الضروري))[٣] ، وهذا المعنى التواصلي نجده حاضرا في رسالة الصولي لمزاحم بن فاتك – ونحن كما اسلفنا – هي بمثابة رسالة للجمهور للتأثير فيهم لاتحاد الايديولوجيات بين طرفي التحاور (الصولي / مزاحم) لأنّ ((كل ذات انما تشبه الاخر من حيث هو ذات وكل اخر يشبه الذات من حيث إنّها هي ايضا تمتلك امكانية ان تكون هذا الاخر عينه))[٤] ، شريطة ((أنْ يكون هذا الاخر قد فهم ما كنت قد قلته ، وان يكون لديه ما يكفيه من المعلومات والكفاءة والتميز ... الخ))[٥] ، فنسمع الصولي وهو يقول : ((وإني لأرى اشياءَ مما أمـــــــــليتُه قديمـــــــــــا

---

(١) بلاغة الاقناع في المناظرة ، ص١٥٤ .

(٢) الكتاب:ج١:ص٢٥ .

(٣) اللسان والميزان او التكوثر العقلي ، ص٢٢٢ .

(٤) فلسفة التواصل ، جان مارك فيري ، ترجمة ، عمر مهيبل ، الدار العربية للعلوم ، (ناشرون ، منشورات الاختلاف ، المركز الثقافي العربي ، ط١ ٢٠٠٦ ، الجزائر) ، ص١٩ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٤٣ .

من المعاني التي تجاذبها الشعراء وحملَها الناسُ ولم يعرفوها مصنَّفةً مُبيّنةً إلا بعد ايرادي لها ، قد تخرَّمها قومٌ وأوردوها مُفرَّقةً في أماليهم ، فبانَتْ في علومهم وامَّازت عن تصنيفهم ، ونطق مكانُها بالغُربةِ فيهم))[١] ، فيضمر بذلك (حجة مضمرة) مفادها إنّ قوله مستقيم ولا استقامة لأقوال غيره في قوله : (ونطق مكانها بالغربة فيهم) ، فهي اشارة إلى جهل الناس في معرفة معاني الشعراء وعدم استقامة اقوالهم لهذه المعاني ، فحينما يقول الصولي (الا بعد ايرادي لها) ، دلالة على استقامة قوله التي تؤدي بطبيعة الحال الى استقامته والثقة به فتتقوى حجته بذاته من خلال استقامة قوله ، وقوله ايضا لمزاحم بن فاتك : ((وكأني – أعزَّك الله – بأشد الناسِ حاجةً الى ما أؤلفُه مما تقدَّمتُ فيه وأجهلهم به ، قد ادَّعاه بعد إملائي له ، واجاب فيه بعد شرح معانيه لاينسُبُ ذلك اليَّ ، ولا يعترفُ به لى ، ولست أُبالي ذلك في رضاك ، ولا أحفِل به مع بلوغِ مرادِك ، وعلمِك بعجْزِ المدَّعين عما كلَّفتنيه ، وأن أحداً منهم لم يجسُر أن ينشِد قصيدةً من شعر هذا الرجلِ ضامناً للقيام بما فيها ... اما ما حُكى عن بعضِ العلماءِ في اجتنابِ شعره وعَيْبِه ، ولا اسمَّى منهم أحداً لصِيانَتي لأهل العلم جميعاً وإبقائي عليهم وحياطتى لهم))[٢] ، فنلاحظ – مما تقدم – الاسلوب المهذب في خطابه التواصلي والذي لا يخفى من صفة التواضع فيما يمتلك من علم ومعرفة باحوال الشعر والشعراء والاخبار عنهم وذلك بقوله : (الى ما اؤلفه مما تقدمت فيه ، واجهلهم به) ، ثم يستمر خطابه التواصلي الذي يضمر حجة الاستقامة و التهذيب بقوله : (... قد ادعاه بعد املائي له ، واجاب فيه بعد شرحي معانيه ، لا ينسب ذلك الي) ، فهو لم يصرح او يشهر بمن سلبه حقه فتكون هذه الصفة (التهذيب) صفة حجاجية مضمرة لذات الصولي لاستمالة المتلقي والتأثير فيه من خلال الصورة المثالية التي يصنعها المتكلم لذاته فمثلا قوله : ((اما ما حُكى عن بعضِ العلماءِ في اجتنابِ شعره وعَيْبِه ، ولا اسمَّى منهم أحـــــــــــداً لصِيانَتي لأهل

---

(١) اخبار ابي تمام ، ص١٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١١-١٤ .

العلم جميعاً وإبقائي عليهم وحياطتى لهم ...))[1] ، فصفة (الاستقامة) في خطابه التواصلي التي تسهم في ابراز اخلاقه وترسم صورة فضلى لذاته لاتكون الا بتدعيم خطابه التواصلي بالحجج والادلة العقلية لتصحيح الاعوجاج واصلاح ما فسد وهذا ما سماه هابرماس "بـ(مزاعم الصدق)" اي ((الوصول الى اجماع بين مختلف المشاركين على مزاعم الصدق المدعمة بالحجج والبراهين العقلية))[2] ، بمعنى أنّ الصولي حرص على ابراز خطابه التواصلي بالحجج والادلة العقلية والمنطقية ليوسم خطابة بالمصداقية الجالبة للاستقامة فيما يقول لهذا الخطاب ، والذي ينعكس ايجابا على ذات شخص المتكلم (الصولي) ، فتتقوى حجيته بذاته وهذا ما مثلته رسالته لمزاحم بن فاتك حيث يقول : ((... وليس أحد ممن أومأتٌ إليه في زماننا يعْشُر عند أعشقِ الناسِ له ، ومَنْ رْينَ على قلبه في محبته والتعصبِ له ، واحداً منهما ولا يُدانيه في حال . وهم مع ذلك يدَّعون علمَ كلِّ شيء ، ولا يقولون في شيء : لا ندري ولا نعلم ؛ فكانوا كما قال الشاعر :

يتعاطى كلَّ شـــيءٍ وهْـــو لا يُحسنُ شيا

فهو لا يزدادُ رُشْداً إنما يزدادُ غَيـــــا[3]

أراد الصولي من هذا الخطاب الساخر اصلاح وضع وتقويم الاعوجاج، ففيه حجة مضمرة وهي الاستقامة للمتكلم لأنه يتكلم عن وضع معوج تنعدم فيه المصداقية، فيكون الصولي ذاما لهذا الاعوجاج ناقما عليه لأثبات صفة الاستقامة له، والتحلي بها لتكون حجة لذاته تسهم في اقناع متلقيه بخطابه التواصلي الـــهدف منها هو : ((الوصـــول

(١) اخبار ابي تمام ، ص١٤ .

(٢) يورجين هابرماس ، الاخلاق والتواصل ، تأليف ابو النور حمدي وابو النور حسن ، الناشر ، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ٢٠١٢ ،ص١٥٣ .

(٣) اخبار ابي تمام ، ص١٠ .

بواسطة الحوار الى ادعاءات مفترضة تكون بمنزلة الاجماع الذي يمكن ان يشكل اساسا عقلانيا لتفاعل تواصلي جديد))[1] تنطلق منه حجته وتكون اساسا لخطابه .

ب- **الاحاطة بالعلم والفضيلة** : وهي حجة مضمرة عمد اليها الصولي من خلال اظهار الحقائق الواقعية وكشفها لتبيان هذه الحقائق من زيفها ، وهذا ما تطرق اليه ارسطو في اثناء حديثة عن الخطاب المضمر ، والذي ينطلق من مقدمة ما لاستنتاج فكرة جديدة ومختلفة بقوله : ((لا توجد وسائل اخرى غير هذه))[2] ، ولا يكون ذلك الا بضمان ((اعتراف متبادل بين المتحدين حول صحة ما يعربون عنه من صلاحية الادعاءات المتضمنة في اقوالهم ، وخصوصا مدى حقيقتها ومطابقتها مع الواقع او مع معايير مقبولة عموما))[3] ، فنجد الصولي في اثناء حديثه عن اصحاب العلم بقوله : ((ومن جليلِ من رأيناه ولزمناه واكثَرْنا عنه ممن بَعُدَ صيتُه وشَهِد بالعلمِ له ووقع الإِجماعُ عليه اثنان : ابو العباسِ محمدُ بن يزيدَ بن عبد الأكبرِ الأزدي ، وأبو العباسِ أحمدٌ يحيى الشَيْباني (رحمهما الله) فما رأيناهما زَعَما قطُّ أنهما أعلمُ الناسِ بقديم السِّيَرِ ، وما جرَى عليه أمرُ الدُّوَل ... فانظر – أعزَّك الله – إلى هذين الرجلين الجليلين المتقدمين وما فاتهما من سائر ما عددتُ لك من العلوم وموضعُهما مع ذلك عند الناس في علوِّ الرتبةِ وجليلِ المحَلِّ ، إذْ لم يدَّعيا ما لم يُحسِنا ولا أجابا في الذي لم يعرفا ...))[4] ، نتبين من قول الصولي إنّ مجالات العلم كثيرة ليس بمقدور شخص أنْ يحوي هذه العلوم ومجالاتها فيوصف بالعالم ، فنراه ينفي صفة العلم عما تعارف عنهما أنّهما (ممن بعد صيته وشهد بالعلم له ووقع الاجماع عليهما) ، ويثبت العلم والفضيلة له (الصولـــــــي)

---

(١) الاخلاق والتواصل ، ص ١٥٥ .

(٢) تاريخ نظريات الحجاج ، تأليف فيليب بروتون و جيل جوتييه ، ترجمة. محمد صالح وناجي الغامدي ، قسم اللغات الاوربية وآدابها ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، جامعة الملك عبد العزيز ، ط١ ٢٠١١، ص٣٣ .

(٣) الاخلاق والتواصل ، ص٢٥٥ .

(٤) اخبار ابي تمام ، ص٧-٩ .

بحجة مضمرة تجلب معها الثقة والاخلاق وهي (الاحاطة بالعلم والفضيلة) ، وهذا ما نجده جليا في جعله العالمين في زمانه انهما (رجلين جليلين) ، ولم يقل (عالمين) فهي دلالة واضحة في اقتصار علمهما على جانب محدود ، اما الجوانب الاخرى التي افاض بها الصولي واشبعها وجعلها نابضة بالحياة بقوله : (وما فاتهما من سائر ما عددت لك من العلوم) ، ثم يشرح هذه العلوم وما يتصف به قاصده فيقول : ((ومِن العِلوم خاص وعام ، ومصونٌ ومبذول ، فلا ينبغي لمن عَرف عامَّه أن يجهلَ خاصَّه ، ولا لمنْ شرعَ في مبْذوله أن يُنكرَ مصُونَه ، وإنما أجريتُ هذا لئلا يجْسُر على الحكُمِ على الشعراء وتمييز ألفاظِهم ، والحكمِ بالجيدِ والرديء لهم ، مَنْ لم يكن أعلمَ الناسِ بالكلام منظومِه و منثورِة وأقدرَ الناس على شيءٍ متى أراده منه ، وأحفظَهم لأخذ الشعراء ، وأعلمَهم بمغازيهم ومقصدِهم))(١) ، فهي اشارة واضحة بحجة مضمرة على علمه وفضله اللذين يمنحان العالم المتحلي بهما ثقة واخلاق ، ولا يتأتى ذلك اعتباطا من قبل المتكلم وانما هو : ((ملزم بتقديم الحجة على ما يقول والبينة على من ادعى اذا وجب ذلك))(٢) ، فنرى الصولي يقدم الدليل والحجة بأنه محيط بالعلم والفضيلة ، وذلك بتعرية خصومه من صفة العلم والفضيلة ، واثابتها لذاته بحجة مضمرة بقوله : ((ولكنني أتيتُ بشيءٍ منه يدلُّ على جميعِه ومثلُ هذا من نقصِ ذوي الفضلِ والمتقدِّمين في الصنائع من جميع الناسِ قَبيحٌ ، وهو من العلماءِ أقبحُ . نعوذُ بالله من اتِّباعِ الهوى ونَصْرِ الخطأ والكلامِ في العلمِ بالمحْل ، والَّلجاجِ والعصبيةِ))(٣) ، فنرى الصولي يوظف خطابة الحجاجي بحجج منطقية فيحمل خطابه اللفظي المنجز بـــ((شحنة منطقية يحاول بها المخاطب مخاطبة على التسليم الوضعي بمدلول رسالة))(٤) ، وذلك بتوظيفه لأوصاف تقلل من شأنية

---

(١) اخبار ابي تمام ، ص٣٨ .

(٢) الاخلاق والتواصل ، ص٢٥٤ .

(٣) اخبار ابي تمام ، ص١٨١ .

(٤) التواصل اللساني الشعرية ، مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون ، ترجمة. الطاهر بن حسين بو مزبر ، الدار العربية للعلوم – ناشرون ،منشورات الاختلاف ، ط١ ٢٠٠٧ ،الجزائر ، ص٤١.

الاخر لأثبات شيئ لذاته فـ((الوصف يكون في الغالب نصا اقناعيا وايحائيا وحجاجيا ، وعلى الاقل ، لخطة في متوالية جدلية ، حيث يسعى الواصف الى اثبات او نقل شيء ما الى شخص اخر او يسعى الى ان يثبت شيئا لذاته))[١] ، ونلاحظ أن الصولي اكثر من الفاظ تدل على علمه وفضله والتي جعلها مضمرة ، لكنه بهذه الالفاظ امثال : (ارتني عين الرأي - عرفتك - اعلم - ارى - فأنظر- انا مبتدئ .... الخ) ، فجعل هذه الصفات مضمرة لان ((قوة المضمر وفاعليته تتجلى في التلميح))[٢] ، فهو بهذه الالفاظ يؤكد المضمر ويجعله حاضرا ومتضمنا في كل لفظة تدل او تشير اليه فـ((ارادة القول التي يتمتع بها المتكلم هي التي جعلته في موقع عقد سنن المضمر وهو عقد السنن لا يحتمل الا حلا سنيا واحدا هو الحل السنني الذي يستحضر المضمر ويؤكده))[٣] ، فنلاحظ أنّ الحجج المضمرة ترتبط بالحجج الظاهرة ارتباطا وثيقا ، إذ بدون الحجج الظاهرة لا توجد الحجج المضمرة ، إذ تعبر الاخيرة عن شخصية متكلمها ، فتكون هي المخصوصة بالقول والمعنية منه ، كونها مدار تفكيره والوتر الذي يعزف علية خطابه الحجاجي عبر الحجج الظاهرة فـ((صياغة الكلمة تنشأ من كون العقل يتوجه صوب نفسه ... ، ذلك ان الكلمة لا تعبر عن العـــــــقل بل عن الشيء المقصــــــود))[٤] ،

(١) خطاب الاخلاق والهوية في رسائل الجاحظ ، ص١٠٣.

(٢) الحوار وخصائص التفاعل التواصلي دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية . محمد نظيف ، افريقيا الشرق – المغرب – الدار البيضاء ٢٠١٠ . ص١٦٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص١٦٦ .

(٤) الحقيقة والمنهج (الخطوط الاساسية لتأويلية فلسفية)، هانز جورج غادامير ، ترجمة. حسن ناظم وعلي حاكم صالح ، راجعه على الالمانية. جورج كتورا ، دار اويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية ٢٠٠٧ ، افرنجي ، ط١ / اذار / مارس / الربيع ٢٠٠٧ ، ص٥٥٦ .

نتبين من ذلك أنّ الصولي حينما يستخدم او يستعين بالحجج الظاهرة انما اراد منها أنْ يظهر ويتحدث عن نفسه من خلالها فهو ((خطاب عميق مخاتل لا يمنح نفسه للقارئ بسهولة))[١] ، فاصبح الصولي يرى أنّ ابا تمام وغيره من الشعراء المحدثين يتحدون معه في القضية نفسها فـ((الربط بين طريقة في الوجود وسلوك مخصوصين وبين فضاء وموضع محددين ، هو تنظيم للعالم حتى نستطيع قراءة الناس))[٢] ،لأنّ ((النظم الرمزية لا تنتقل من مرسل الى متلق الا إذا توضحت لديهما معرفة سابقة بنظام الدلالة الذي تعتمد عليه الرسالة المبثوثة))[٣] ، فيخلق بذلك معنى تواصليا بين المرسل والمرسل اليه من خلال توظيفه الامثل للغة والوسائل الحجاجية المستعملة فيها وايضا يخلق ذلك بظهور الحجة التداولية التي تظهر عن التشكيك في صحة فكرة ما من خلال فعل الاستنتاج ، فالحجاج ((نشاط يتضمن عدة اساليب ..ضمن هدف معقلن ،واداؤها دور البرهنة الذي يتميز بمنطق ما وبقاعدة عدم التناقض))[٤] ، فنتيجة القول قد تكون صريحة او ضمنية مفهومة من سياق الخطاب ، وبناءا على هذا فأنّ الحجاج بفعل اتكائه على اللغة واستثماره لجهازها المفاهيمي والمجازي في التموضع النسقي يغدو واقعة معرفية - ثقافية ترتهن الى تعددية الا متوقع ذلك أنّ ((معظم التعبيرات الرشيقة – كما يقول ارسطو – تنشأ عن التغيير المجاز وعن نوع التمويه يدركه السامع فيما بعد ويزداد ادراكا كلما ازداد علما ، وكلما كان الموضوع مغايرا ، لما كان يتوقعه وكأن النفس تقول هذا حق وانا التي اخطأت))[٥] ،من خلال المعنى المستلزم الذي اراده المتكلم .

---

(١) الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه ، ص٢٣٥ .

(٢) خطاب الاخلاق والهوية في رسائل الجاحظ مقاربة بلاغية حجاجية ، ص٢٢٥ .

(٣) معرفة الاخر مدخل الى المناهج النقدية الحديثة . المؤلفون : عبدالله ابراهيم - سعيد الغانمي - عواد علي ، ط٢ ١٩٩٦ ، الناشر . المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ص١١١ .

(٤) الحجاج بين النظرية والاسلوب (عن كتاب نحو المعنى والمبنى)،باتريك شارودو.ترجمة.أحمد الودرني،دار الكتاب الجديد المتحدة - لبنان - بيروت ، ط١ ٢٠٠٩، ص١٦.

(٥) الخطابة ، ارسطو طاليس ، الترجمة العربية القديمة ، حققه وعلق عليه. عبدالرحمن بدوي ، الناشر. دار القلم ، بيروت – لبنان ١٩٩٧ ، ص٢٢٠ .

٣-اخلاق الاخر (الضد) :

انطلق الصولي بخطابة الحجاجي من مبدأ الثبات في الحجة ونصرة الحق إذ ((إنّ اخطر ما في فن الحجاج قدرة من امتلكه على توظيفه لإحقاق حق قدرة على اظهار الباطل حقا))[١] ، وهذا ما اشار اليه الصولي بوسمه مناوئيه بصفة الجهل القائمة على الطعن على ما لا يعرفه بقوله : ((... وكيف لا يِفرَّ إلى هذا مَن يقول .. اقرأوا عَلَيَّ شعرَ الأوائل ، حتى إذا سُئل عن شيءٍ من أشعارِ هؤلاء جهِلَه ، وإلى أيِّ شيءٍ يَلجأُ إلا إلى الطَّعن على ما لم يعرفْه ، ولو أنصفَ لتعلم هذا من أهله كما تعلم غيْرَه ، فكان متقدِّماً في علمه ، إذ كان التعلمٌ غيرَ محظورٍ على أحد ولا مخصوصٍ به أحدٌ ؟))[٢] ، فعمل الصولي على تبيان اخلاق مناوئيه لتكون حجة عليهم وذلك بلجوئه الى ((مقدمات ضرورية صادقة لتفضي الى نتائج ضرورية ملزمة))[٣] ، يسلم او يصدق بها المتلقي ، كونها تدخل ((دائرة البرهنة العلمية الصارمة))[٤] ، فـ((انتقاء المقدمات ضروري واساسي في عملية الحجاج ، اذ لابد للمحتج لفكرة او موقف ان يكيف مقدماته مع اهداف خطابه))[٥] ، فتكون هذه المقدمات الحجاجية التي يحتج بها المتكلم بمثابة ايقونات تعريفية لأخلاق الاخر (الضد) ويكون ذلك بعدة حجج وهي :-

أ- **حجة قلب البرهان على صاحبه** : اعتمد الصولي على هذه الحجة لتعرية المقابل (الضد) من المصداقية في قوله ، كون الدليل / البرهان الذي استند إليه يخالف ما يذهب اليه فـ((منظومة القيم العربية تمجد الصدق في القول والجرأة في اظهار القول التعبير عن الموقف))[٦] ،فهي استراتيجية اعتمدها الصـــــــــــــــولي كي يبين جهل

(١) الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه ، ص٢١٨ .

(٢) اخبار ابي تمام ، ص١٥ .

(٣) الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه ، ص١٨٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص١٨٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ص١٨٥ .

(٦) المصدر نفسه ، ص٢١٢ .

وافتقار مناوئيه لصدقيتهم وكشف حقيقة ادعائهم المزيف ، ويكون ذلك بـ((اعتماد حجة الخصم واثبات انها في حقيقة الامر تناقض ما يذهب اليه))[1] ، وذلك بقوله : ((وقد ادَّعَى قومٌ عليه بالكُفْرَ بلْ حقَّقُوهُ وجعلُوا ذلكَ سَبباً للطَّعن على شعرِهِ ... وكيف يحَقِّقُ هذا على مِثلهِ حتى يَسْمعَ الناسُ لَعَنهُ له ، مَنْ لم يشاهِدْهُ ولم يسمَعْ منه ، ولا سَمِعَ قولَ من يُوثَقُ به فيه ؟ وهذَا خلافُ ما أمرَ الله عزَّ وجَّل ورسولُه عليه السلامُ به ، ومخالفٌ لما علية جُمْلُة المسلمين . لأنَّ الناسَ على ظاهِرِهم حتى يأْتُوا بما يوجِبُ الكُفْرَ عليهم بفعلٍ أو قولٍ فَيُرَى ذلكَ أوْ يُسْمَعُ منهم ، أو يقومُ به بَيِّنةٌ عليهم))[2] ، وقول احمد بن ابي طاهر ت٢٨٠هـ إنّه قال : ((دخلتُ على أبي تمام وهو يعملُ شعراً وبينَ يديه شعرُ أبي نواس ومسلمٍ فقلتُ : ما هذا ؟ قال : الَّلاتُ والعُزَّى ، وأنا أعْبُدُهما مِن دونِ الله مُذْ ثلاثون سنةً))[3] ، يعلق الصولي كي يقلب البرهان على صاحبه ، وتكون عليه حجة بادعائه ولتعريته من صفة الصدق بقوله : ((وهذا إذا كان حقّاً فهو قبيحُ الظاهرِ ، رديءٌ اللفْظِ والمعنَى ... فكيفَ يصِحُّ الكُفْرُ عندَ هؤلاءِ على رجُلٍ شعرُه كلُّه يشهدُ بضِدِّ ما اتهموه به ... وقول البحتري : والله يا أبا الحسَنِ – يقصد علي بن اسماعيل النوبختي – لو رأيتَ أبا تمام الطائي ، لرأيتَ أكملَ النَّاسِ عقْلاً وأدباً ، وعِلمْتَ أنَّ أقَلَّ شيءٌ فيه شعرُهُ))[4] ، يُلحظ أنّ الصولي بهذه الحجة يبني عليها حجتين :

---

(١) الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه ، ص١٩٦ .

(٢) اخبار ابي تمام ، ١٧٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص١٧٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص١٧١-١٧٣ .

١- **الحجة التداولية*** : والتي تعني بأنها ((مجال استعمال اللغة في التواصل والمعرفة))[١] ، فـ((تستعمل اللغة لتمثيل معلومات وخزنها وابلاغها))[٢] ، فاذا ما حصل تشكيك في صحة امر ما ، والتي تكون (اللغة) – كما اسلفنا – ابرز مضانها ظهرت هذه الحجة في طريقة تمثيل هذه اللغة ، وطرح المعلومات وابلاغها ، فاذا ما حصل عكس هذا المطلب يكون التشكيك في صحة مدعي علماء اللغة ، فتحصل او تنشط الحجة التداولية ، مما تنكشف بها اخلاق الاخر (الضد) ، وما يحمل من ايديولوجيات فمثلا يقول الصولي : ((حدثني به ابو العباس عبدالله بن المعتز قال : حدثت ابراهيم بن المدبر ورأيته يستجيد شعر ابي تمام ولا يوفيه حقه ... قال : وجه بي ابي الى ابن الاعرابي لأقرأ عليه اشعارا وكنت معجبا بشعر ابي تمام ، قـــرأت

---

* وهو التيار الفلسفي الامريكي الذي يمثله اساسا الامريكي وليام جيمس وجون ديوي او رتشارد رورتي قبل ان تظهر بمدة طويلة دراسات في هذا المجال . ففي سنة ١٩٣٨ ميز الفيلسوف الامريكي في مقال كتبه في موسوعة علمية بين مختلف الاختصاصات التي تعالج اللغة وهي علم التركيب (وبالإجمال النحو الذي يقتصر على دراسة العلاقات بين العلامات) ، وعلم الدلالة (الذي يدور على الدلالة التي تتحدد بعلاقة تعيين المعنى الحقيقي القائمة بين العلامات وما تدل عليه) أي تعني بتعبير موريس بـ(العلاقة بين العلاقات ومستخدميها) . ونشأت التداولية (فعليا) في سنة ١٩٥٥ ، عندما القى جون اوستن محاضراتة في جامعةهارفارد ضمن برنامج "محاضرات ويليام جيمس" ، فكانت غاية اوستن اثبات ان اللغة تهدف خاصة الى وصف الواقع (ينظر : التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، جاك موشلار وآن وربول ، ترجمة. سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني ، مراجعه . لطيف زيتوني ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت - لبنان ، ط١ ٢٠٠٣ ، ص٢٨-٢٩ .

(١) التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ص٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٤ .

عليه من اشعار هذيل ، ثم قرأت ارجوزة ابي تمام على انها لبعض شعراء هذيل :

وعاذلٌ عذلته في عذله   فظن اني جاهل من جهله

حتى اتمها فقال : اكتب لي هذه ، فكتبها له . ثم قلت : أَحَسَنَةٌ هي ؟ قال : ما سمعت بأحسن منها ، قلت : انها لابي تمام ، فقال : خرّق خرّق))[1] ، فهذا العنف الايديولوجي يخلق حجة تداولية تكشف عن اخلاق متكلمي اللغة وهو ما ركز الصولي بتسليطه الضوء على علماء اللغة ، وكيفية تلقيهم لشعر ابي تمام وموقفهم منه دونما علم او التبصر بمكنوناته فتكون حجة عليهم .

٢- **الحجة البراغماتية*** : تعد هذه الحجة – في نظرنا – من انجع الحجج واكثرها حضورا في اخبار الصولي لأنها تنظر الى الاشياء بنقطتين :

---

(١) اخبار ابي تمام ، ص١٧٥-١٧٦ .

*جاء في المعجم الفلسفي بالفرنسية (Pragmatisme) وبالإنجليزية (pragmatism) والبراغماتية اسم مشتق من اللفظ اليوناني (pragma) معناه العمل وهي مذهب فلسفي يقرر ان العقل لا يبلغ غايته الا اذا قاد صاحبه الى العمل الناجح . فالفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة اي الفكرة التي تحققها التجربة ، فكل ما يتحقق بالفعل فهو الحق ولا يقاس صدق القضية الا بنتائجها العملية . المعجم الفلسفي ، جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت - لبنان ١٩٨٢ ، ج١:٢٠٣.

أ- الافكار الصحيحة . هي تلك الافكار التي يتسنى لنا أنْ نتمثلها وندفع بمشروعيتها وصدقها وصحتها ونعززها ونوثقها ونؤيدها ونحققها بانْ نقيم عليها الدليل . والافكار الباطلة هي تلك التي لا يتنسى لنا ذلك بالنسبة لها(١) .

ب- المعتقدات التي يقوم عليها الدليل بطريقة ملموسة محسوسة على يد شخص ما ، هي الدعائم التي يقوم فوقها البناء كله(٢) .

فـ((الحقائق اما ان تعني وقائع محسوسة ملموسة ، واما انواعا مجردة للأشياء وتعني علاقات تدرك بالحواس او تفقه بالذهن بديهيا او حدسيا فيما بينهما ، كأشياء يجب على افكارنا الجديدة ان تدخلها في الحساب))(٣) ،وهذا ما اكده سعيد يقطين بكتابه الكلام والخبر بتأكيده على ((الملاءمة العلمية ويعني هذا انه تقوم على الفصل بين الذات والموضوع ، فكلما اعالج الموضوع اعالج موضوعا اخر ، والهدف الذي يدفع في اتجاه هذا هو الرغبة في تحصيل معرفة علمية عن الموضوع المبحوث فيه))(٤) ، بمعنى أنّ الاشياء والوقائع تخضع للعقل للتثبت عن مدى صدقها او كذبها وهذا ما نجده في خطاب الصولي المبني على العقل ، لكشف الحقيقة والتي من خلالها يكشف اخلاق المناوئين له ، الذين يأخذون بالظاهر ولا يتعبون عقولهم بقوله : ((وتَرَى بعد ذلك قوماً يعيبُونه ويَطْعُنونه في كثيرٍ من شعره ويُسندون ذلك الى بعض العلماء ويقولونه بالتقليدِ والادِّعاء ، إذ لم يصحَّ فيه دليلٌ ، ولا أجابتهم إليه حُجّة ، ورأيتُ مع ذلك الصِّنفين جميعًا ، وما يتضمَّنُ أحدٌ منهم القيامَ بشعــــــــــرِه

---

(١) البراجماتية ، ويليام جيمس ، ترجمة. محمد علي العريان ، تقديم. زكي نجيب محمود ، المركز القومي للترجمة ، منتدى العقلانيين العرب ، اشراف. جابر عصفور ، مصر - القاهرة ٢٠٠٨ ، ص٢٣٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٤٥-٢٤٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٢٥٠ .

(٤) الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، ط١ ١٩٩٧ ، الدار البيضاء ، ص٣٤ .

والتَّبْيينَ لمرادِه ، بل لا يّجسُر على إنشادِه قصيدة واحدةٍ له ، إذ كانت تَهجمُ – لابُدّ – به على خبرٍ لم يرْوِه ، ومثَلٍ لم يسمعْه ، ومعنىً لم يَعرِف مثلَه))[1] ، فتكون هذه الحجة البراغماتية حجة قلب البرهان على صاحبه لأنه لم يستعمل عقله للوصول الى الحقيقة العلمية والعملية فيما يطلق من احكام .

يُلاحظ وبسبب شدة جهل مناوئي الصولي وعدم مصداقيتهم فيما يقولون او ينقلون ، نجده يؤخرهم في جميع خطاباته ، وهذا لم يأت اعتباطا وانما جاء لغرض الالغاء والتحقير لهم بقوله : (وترى بعد ذلك قوما) ولم يقل (وترى قوما او وقوما) ، وهذا ما تطرق اليه سيبويه في باب (هذا باب تخبر فيه عن النكرة بالنكرة) بقوله : ((الا انك اذا اردت الالغاء فكلما اخرت الذي تلغيه كان احسن))[2] وانجع في القول.

ب- **حجة التجاوز** . اعتمد الصولي على هذه الحجة لأنها تعبر عما يصبو اليه وينشده في كسر الجمود الفكري المنغلق على نفسه ، وايضا فضح المناوئين (الضد) الذين ياخذون بظاهر الامور دونما الغوص في الافكار والمعاني اذ اصبح ((النقد الادبي عن العرب ينصرف دائما الى الماضي))[3] ، فيقول الصولي عن ذلك : ((ولم يجدوا في شعر المحدَثين مُذْ عهدُ بشار أئمةً كأئمتهِم ولا رُوَاةً كرُوَاتْهم الذين تجتمع فيهم شرائطُهم ولم يعرِفوا ما كان

(١) اخبار ابي تمام ، ص٤ .

(٢) الكتاب : ج١ :٥٦ .

(٣) تاريخ النقد الادبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري ، طه احمد ابراهيم ، طبعة مزيدة ومنقحة (الفيصلية) ، مكة المكرمة ، ٢٠٠٤ ، ص١٣٦ .

يضبُطُه ويَقُومُ به ... حتى إذا سُئل عن شيءٍ من أشعارِ هؤلاء جهِلَه))[١] ، نتبين ان الصولي وظف استراتيجية الخطاب بـ((ان يختار الاستراتيجية المناسبة التي تستطيع ان تعبر عن قصده وتحقيق هدفه بأفضل حالة))[٢] ، وهو كسر الجمود والانغلاق وذلك بمخاطبة المرسل اليه وهو (الجمهور) ، لأنّ الصولي حينما يخاطب الجمهور ، فأنه يخاطب ((مرسل اليه قد تغيرت ثقافته وادراكه لكثير من الامور ولم يعد بالتالي يتقبل بعض الاستراتيجيات ، كما ان استراتيجيات دغدغة العواطف لم تعد تنطلي عليه))[٣] ، فيكون ذلك ، من خلال : ((السير دائما نحو نقطة ابعد في اتجاه ما دون ان نلمح للسير في ذاك الاتجاه حدا ، وذلك بفضل تزايد في قيمة ما))[٤] ، فأراد الصولي أنْ يطوق الجهل بنصرة الحق وفضح الباطل الذي يؤمن بالانغلاق والجهل إذ يقول : ((وليتَ شِعري متى جالس هؤلاء القومُ مَن يُحسن هذا أو أخذُوا عنه ، وسمعوا قولَه ؟ أتُراهم يظُنون أنَّ مَن فسَّر غريبَ قصيدةٍ ، أو أقام إعرابَها ، أحسن أن يختار جيِّدَها ، ويعرفَ الوسطَ والدُّونَ منها ويميزَ ألفاظَها ، وأيُّ أئمتِهم كان يُحسِنه آلذي يقولُ وهو يهجو الأصمعيَّ بزُعْمِه :

إنِّي لأرفعُ نفِسي اليومَ عن رجُلٍ ... ما شكْلُهُ لِيَ شكْلٌ بـل هو النَّابِي

فيه المعائِبُ ما تَخْلُو وحُقَّ لـه ... لأنه كاذبٌ يُدْعَى لكَـذَّابِ

لما التقيْنَا وقد جَدَّ الجِراءُ بنـا ... جاءَ الجوادُ أمامَ الكَوْدنِ الكـابِي[٥]

ويقول ايضا مستهجنا ائمة الجهل فاضحا اخلاقهم، لما هو ارفع وتزايد قيمته في نحو مطرد (يقصد ابا تمام) بقوله:((أو الذي يقولُ في مجلسِ بعضِ أجلاءِ الكُتابِ ، وقد حلَّفه

---

(١) اخبار ابي تمام ، ص١٤-١٥ .

(٢) استراتيجيات الخطاب : مقاربة لغوية تداولية، ص٥٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٤٤٦ .

(٤) الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه ، ص٢٢٦ .

(٥) اخبار ابي تمام ، ص١٢٧ .

صاحبُ المجلسِ أن يُنْشدَه من شِعره إن كان قال شعراً ، فاستعفاه فلم يَزَلْ به إلى أن أنشده لنفْسِه :

مَنْ يشْتَرِي شَيْخاً بدِرْهَمَينِ قد شاخَ ثم دَرَّ مَرَّتيْنِ

ليسَ له سِوَى ثَنِيَّتَيْنِ

فهذه أشعارُ أئمتهم ، وما ظننتُ أن أحداً يتعلَّقُ بقليلِ الأدب يجهَلُ هذا الذي عابُوه على أبي تمام ، ولا أنَّ اللهَ عزَّ وجل يُحوِجُني إلى تفسيرِ مثِله أبداً))[١] .

---

(١) اخبار ابي تمام ، ص١٢٨ .

المبحث الثاني : الروابط الحجاجية

اشتمل الخطاب الحجاجي لابي بكر الصولي على جملة من الاليات الاقناعية ، التي تسهم في بلورة خطابه التواصلي وتوجيهه قصد التأثير والاقناع ، فقد انصب اهتمامه على بناء خطابه باختيار الحجج المناسبة فـ((الحجاج بوصفه نشاطا لغويا واجتماعيا للعقل ، يهدف الى ان يرفع او ينقص في نظر المستمع او القارئ ، من شأن مقبولية وضع متنازع فيه ، على اساس تقديم مجموعة من القضايا الموجهة لتسويغ او دحض هذا الوضع امام قاض ذي كفاءة عقلية))[١] ، ولا يكون ذلك إلا من خلال الاهتمام بـ((الوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم ، وذلك بقصد توجيه خطابة وجهه ما ، تمكنه من تحقيق بعض الاهداف الحجاجية ، ثم إنّها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها : إنّنا نتكلم عامة بقصد التأثير))[٢] ، إذ إن ((الخاصية الجوهرية للغات الطبيعية وهي الحجاج ، تجعل الدراسة اللسانية لا تهتم فقط بالجمل وما يصدر عنها من دلالات ، بل تهتم ايضا بالأقوال وما تنتجه من المعاني))[٣] ، اي إنّ اللغات الطبيعية فيها (دلالة ومعنى) ، فالأخير يختص به القول ، وما يحويه من افعال اللغة التي ينجزها المتكلم من خلال تلفظة ، اما الدلالة فهي : ((قيمة دلالية مرتبطة بالجملة))[٤] ، اي إنّ الحجاج يتمثل في انجاز متواليات من الاقوال ، تكون بمثابة حجج لغوية وبعضها نتائج ، ((إنّ كون اللغة لها وظيفة حجاجية يعني ان التسلسلات الخطابية محددة ، لا بوساطة الوقائع ، المعبر عنها داخل الاقوال فقط ،ولكنها محددة ايضا واساسا بواسطة بنية هذه الاقوال نفسها ، وبواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها

---

(١) الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر ، ص١٤٣ .

(٢) اللغة والحجاج ، ابو بكر العزاوي ، الطابع. العمدة في الطبع ، درب سيدنا – الدار البيضاء ، ط١ ٢٠٠٦ ، ص١٤ .

(٣) الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر ، ص١٠٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ص١٠٥ .

وتشغيلها))[١] ، اي إنّ ((اختيار جملة ما في مقام معين دون غيرها يعني اختيارا لتطبيق موضع ما دون غيره))[٢] ، إذ إنّ ((الخطاب الحجاجي شبكة مخصوصة من العلاقات وذلك يعود الى كون المادة التي تقدّ منها كل الخطابات واحدة وهي اللغة))[٣] ، فـ((اللغة العربية مثلا ، تشتمل على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها الا بالإحالة على قيمتها الحجاجية))[٤] ، لتحقيق اهداف المتكلم المرجوة من اقناع وتأثير او دحض الآراء والحمل على الاذعان ، ولا يكون ذلك إلّا من خلال استثمار دلالة الروابط في بناء الخطاب الحجاجي عن طريق ترتيب الحجج ، فمكوناتها اللغوية المختلفة داخل الجملة ، قد توسع او تضيق من احتمالاتها الحجاجية ، وقد تتفاعل هذه الروابط في صور شتى ، مما يتطلب البحث في الفروق اللغوية بين الروابط لمعرفة القدرة الاقناعية من حيث القوة والضعف ، إذ تشكل الوظيفة الدلالية للرباط الحجاجي وسائل حجاجية جوهرية تدفع الخطاب نحو النتائج المطلوبة اي إنّ ((مكونات الخطاب / النص التي تدرسها العلوم الانسانية ، هي مكونات لا تقبل الاختزال الى مظهرها الاشاري الصرف كما هو معمول به في التوجهات الاختزالية ذات النزوع الموضوعي (السيكولوجيا السلوكية ، اللسانيات البنيوية ، البويطيقا الشكلانية) . بل يتطلب انتاج معرفة بطابعها السيميائي التي تجعل منها مكونات حية ومتفاعلة))[٥] ، اي إنّ الروابط الحجاجية لا يمكن معرفة دلالتها من خلال مظهرها الشكلي الصرف ، والذي يهتم به النحويون او تكون مفردة مستقلة بذاتها اي إذا ((وضعت في كلام ظهر لها معنى لم يكن من قبل))[٦]، فـ((الحرف كلمة لا تدل على معنى

---

(١) اللغة الحجاج ، ص١٦-١٧ .

(٢) بلاغة الاقناع في المناظرة ، ص٩٩ .

(٣) الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه ، ص٣١٧ .

(٤) اللغة والحجاج ، ص٢٦ .

(٥) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٩ .

(٦) النحو الوافي ، مع ربطه بالاساليب الرفيعة ، والحياة اللغوية المتجددة ، عباس حسن ،مطابع دار المعارف بمصر ، ط٣ ١٩٧٤، ج١ : ٦٦ .

في نفسها ، وإنما تدل على معنى في غيرها – بعد وضعها في جملة – دلالة خالية من الزمن))[١] ، وهذا ما تطرق الية ارسطو (Aristote) (٣٨٤ – ٢٢٣ ق.م) ، في تعريفه للرابط والتي وسمها بــ(اداة الربط) بأنّها ((صوت بلا دلالة او معنى ، ولا يسبب ولا يمنع من تأليف صوت واحد من جملة اصوات ، ولا يكون له معنى ، وهذه الاداة لا يمكن ان تقوم صحيحة بذاتها في بداية عبارة او جملة . والمثال على هذا : (men , tol , de)))[٢] ، بمعنى إنّ ((هذا الربط مؤسس على تلازم الدلالة والمرجع))[٣] ، شريطة أنْ تكون ((الاحداث متفقة ومتلائمة ولا يتنافى بعضها مع بعض من جهة انها متعاطفة ومضموم بعضها الى بعض))[٤] ، إذ ((نستمد القالب النحوي من القالب المعرفي المعلومات العامة المتعلقة بأساليب تقوية العلاقات بين الناس ، كما يستمد من القالب الاجتماعي المعلومات التي تحدد وضع المخاطب الاجتماعي ، بعد ذلك يقوم القالب النحوي بصياغة تلك المعلومات في صورة عبارة لغوية مناسبة للغرض التواصلي المرام تحقيقه))[٥] ، إذ ((ينكشف معنى الحرف الاصلي بسبب وضعه في جملة ، ويظهر المراد منه ، نجد ذلك المعنى ينصب على ما بعد الحرف الاصلي ، ويتركز فيه سواء اكان ما بعد الحرف مفردا ام جملة ام شبهها))[٦] .

نتبين من ذلك إنّه توجد لكل خطاب حجاجي الية تربط الحجج والنتائج وتقوم بتنظيـــــم

---

(١) النحو الوافي ،ج١ : ٦٨ .

(٢) فن الشعر ، ارسطو ، ترجمة وتقديم وتعليق. ابراهيم حماده ، منتديات مكتبة العرب ، الناشر. مكتبة الانجلو المصرية ، العنوان على الانترنت www.alkottob.com ، ص١٨١ .

(٣) النص والسياق ، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، فان دايك ، ترجمة. عبدالقادر قنيني ، افريقيا الشرق – المغرب ٢٠٠٠ ، ص٨٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٧٨ .

(٥) التواصل اللغوي ، مقاربة لسانية وظيفية . عزالدين البوشيخي ، مكتبة لبنان ، ناشرون – بيروت – لبنان ، ط١ ٢٠١٢ ، ص١١٨ .

(٦) النحو الوافي ، ج١:٧٠ .

العلاقات بينهما ، ومن هذه العناصر اللغوية : الروابط الحجاجية : ((هي مكونات لغوية تداولية تربط بين قولين او اكثر داخلين في استراتيجية حجاجية واحدة ، بحيث تسمح بالربط بين المتغيرات الحجاجية (بين حجة ونتيجة او بين مجموعة من الحجج)))[١] ، فالرابط : ((كل لفظ يمكن من ربط قضيتين او جملتين او اكثر لتكوين قضايا وجمل مركبة هو رابط))[٢] ، فنُلاحظ دراسة ديكرو Ducrot في كتابه (اللغة والحجاج) خاصة في فصله الثاني ، بدراسة الروابط الحجاجية في اللغة العربية مثل : بل – لكن – حتى ، لكثرة ورودها واستعمالاتها في الخطاب اليومي[٣] ، فهذه الروابط تقوم بالربط بين قولين وخواصها المتغيرة من قول الى اخر . وينبغي التمييز بين الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية فالروابط الحجاجية هي ((الروابط تربط بين قولين او بين حجتين ... وتسند لكل قول دورا محددا داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة . ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات التالية : بل – لكن – حتى – لاسيما – إذا – لأنّ – بما إنّ – إذ ... الخ . اما العوامل الحجاجية فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية ... لكنها تقوم بحصر وتقييد الامكانات الحجاجية التي تكون لقول ما وتضم مقولة العوامل ادوات من قبيل ، ربما – تقريبا – كاد – قليلا – كثيرا – ما – الا ، وجل ادوات القصر))[٤] ، نتبين إنّ الحجة بأدوات الربط تكون حجة معتمدة لتأسيس علاقة حجاجية محددة ، لأنّها تكون حاملة لمجموعة من الاشارات والتعليمات التي تمثل الطريقة التي يتم بها توجيه القول او الخطاب إذ ((تقوم الروابط بدور مهم في عمليات فهم الخطاب ، إذ لا تعمل باعتبارها علامات بسيطة ... بل تسهم بصورة اساسية في توجيه العمليات التأويلية شريطة أنْ تكون بين المحتويات علاقـــــات منــــــــــاسبة اي منســــــجمة مــــع مــــا تقتضــــــــيه

---

(١) بلاغة الاقناع في المناظرة ، ص١٠٠.

(٢) التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ص٢٦٥ .

(٣) ينظر ، اللغة والحجاج ، ص٩-١٠ .

(٤) اللغة والحجاج ، ص٢٥ ، ينظر الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه ، ص٣١٨ - ٣١٩ .

اجراءات الروابط ، وأنْ تكون السياقات مفهومة))[١] ، اي إنّ ((كل متكلم يعرف متى يمكنه او يتعين عليه ان يستعمل (و) عوضا عن (او) ، او (لكن) ... الخ ، كما يعرف كيف يؤول على نحو مختلف الخطابات التي تحتوي على هذه الروابط))[٢] ، اما الحجة بالعوامل الحجاجية فأنها تحمل دلالات عميقة وفي الوقت نفسه لا تخلو من دلالة لأنها ((المرشد الى المعاني والرموز ... إذ هي السبب في الاهتداء الى كشف المعنى المراد من الكلمة))[٣] .

عرف النحوي الكبير سيبويه ت[١٨٠] الكلم في باب (علم ما الكلم من العربية) بأنّه : ((اسم ، وفعل ، وحرف ، جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل ... واما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل فنحو : ثم ، وسوف ، و واو القسم ، ولام الاضافة ، ونحوها))[٤] ، اما الزجاجي ت[٣٤٠هـ] فرأى بأنّ الحرف هو المقابل للاسم والفعل بأنّه : ((حد ما بين هذين القسمين ورباط لهما ، والحرف حد الشيء ، فكانه لوصله بين هذين كالحروف التي تلي ما هو متصل بها))[٥] ، أما الحرف عند ابن جني ت[٣٩٢هـ] ((ما لم تحسن فيه علامة من علامات الاسماء ، ولا علامات الافعال ، وانما جاء لمعنى في غيره))[٦] ، فالحرف إذا هو القسم الثالث من اقسام الكـلم عند النحاة إذ إنّ ((غالبية اقوال النحاة تدور في فلك واحد تقريبا هو ان الحرف

---

(١) التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ص١٧٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٦٩-١٧٠ .

(٣) النحو الوافي ،ج١ : ٧٤ ، (الهامش) .

(٤) الكتاب ، ج١ : ١٢ .

(٥) الايضاح في علل النحو ، لابي القاسم عبدالرحمن بن اسحاق الزجاجي ت٣٤٠هـ ، تحقيق. مازن المبارك ، دار العروبة بالقاهرة ١٩٥٤ ، ص٤٤ .

(٦) اللمع في اللغة ، لابي الفتح عثمان ابن جني ت٣٩٢هـ ، مكتبة مشكاة الاسلامية ، كتبه. ميلود بن عبدالرحمن في ١٦ ربيع الثاني ١٤٢٦هـ / لـ 04/ 06 / 2005 ، ص١ .

كلمة تدل على معنى في غيرها ، وان دوره الوظيفي لا يتعدى ذلك))[١] ، ولقد تنبه المرادي ت٧٤٩هـ الى إنّ من الاسماء ما ((يدل على معنيين : معنى في نفسة ، معنى في غيره : كأسماء الاستفهام والشرط ، فان كل واحد منها بدل ، بسبب تضمنه معنى الحرف في غيره مع دلالته على المعنى الذي وضع له ، فاذا قلت مثلا : من يقم اقم معه ، فقد دلت (من) على شخص عاقل بالوضع ، ودلت مع ذلك على ارتباط جملة الجزاء بجملة الشرط ، لتضمنها معنى (ان) الشرطية))[٢] ، فهو بهذا يشير الى تحلي هذه الاسماء ، والتي يخصها بأسماء الاستفهام وادوات الشرط ، بمعنيين : معنى في نفسها من خلال الوضع الذي وضعت فيه ومعنى الحرف لارتباطها مع غيرها . فالأدوات لا تدل على معنى إذا كانت منفردة بنفسها فـ((النحاة يسمون الحروف (ادوات الربط) ، لأنّ الكلمة إما أنْ تدل على ذات ، وإماأنْ تدل على معنى مجرد (اي حدث) ، وإما أنْ تربط بين الذات والمعنى المجرد منها ، فالاسم يدل على الذات ، والفعل يدل على المعنى المجرد منها ، والحرف هو الرابط))[٣] ، إذ إنّ ((القالب او الشكل الذي تأتي عليه ، هو الطابع المميز لها ، فاذا استقلت الوحدات فقد التركيب المسكوك طابعه المميز))[٤] ، فحاجة الادوات الى السياق ماسة ، اذا عرفنا إنّ معانيها معان وظيفية لأنّها ((لا تدل كلها على معان معجمية ، ولكنها تدل على معنى وظيفي عام هو التعليق، ثم تختص كل طائفة منها تحت هذا العنوان العام بوظيفة خاصة، كالنفي والتأكيد وهلم جرا،حيث تكـــــــــون الاداة هي الرابط بين اجزاء الجملة كلها))[٥].

---

(١) اقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ، فاضل مصطفى الساقي ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٩٧٧ ، ص٨٢ .

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني ، الحسن بن القاسم المرادي ت٧٤٩هـ ، تحقيق. فخر الدين قباوي ، محمد نديم فاضلن ، دار الكتب العلمية. بيروت – لبنان ، ١٩٩٢ ، ص٢١ .

(٣) النحو الوافي مع ربطة بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية الجديدة ، مجلد١ ، ص٦٢ .

(٤) البنيات التراثية ، د.سيزا قاسم. مجلة فصول ، مجلة النقد الادبي ، تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠ ، ص١٩٥ .

(٥) اللغة العربية معناها ومبانها ، تمام حسان ، دار الثقافة ، مطبعة النجاح الجديدة . الدار البيضاء / المغرب ،١٩٩٤ ، ص١٢٥ .

فتنقسم الروابط الحجاجية الى مستويين (مستوى افقي – مستوى عمودي) :

١- المستوى الافقي :

التي نفصلها كالاتي:-

(١) **الفاظ التعليل** : استعمل ابو بكر الصولي الفاظا اسهمت في ربط الحجج ، قاصدا بها تبرير مواقفه وتعليل آرائه منها:(لفظة دليل ،المفعول لأجله ، الوصل السببي):-

(أ) **دليل** : وردت لفظة دليل في كلام الصولي ، والتي تكون رابطا حجاجيا كقوله : ((وتَرَى بعد ذلك قوماً يعيبُونه ويَطْعُنون في كثيرٍ من شعره ، ويُسندون ذلك إلى بعض العلماء ، ويقولون بالتقليدِ والادِّعاء ، إذ لم يصحَّ فيه دليلٌ))[١] ، إذ يجعل الصولي قول هؤلاء العلماء مقدمة حجاجية للذين يطعنون بشعر ابي تمام ، ويقوّلونه بالتقليد والادعاء ، وتكون النتيجة مضمرة تفهم من سياق التخاطب وهي كمال شعر ابي تمام وتنزيهه من صفة السرقة والاخذ ، والرابط الحجاجي هو لفظ دليل ، ويمكن توضيح ذلك بما يلي :-

مقدمة / سبب ←—— رابط حجاجي ←—— نتيجة (مضمرة)

قول القوم على شعر ابي تمام بالتقليد والادعاء ←—— دليل ←—— على عدم صدق دعواهم وتنزيه شعر ابي تمام من صفة التقليد والادعاء

إذ راعى الصولي المقام الحجاجي ومستوى التقبل لدى السامع ، وذلك باستعماله (كلمة دليل) وهي رابط حجاجي ، ونفاذها في عقل السامع (المتلقي)

---

(١) اخبار ابي تمام ، ص٤ .

، اي إنّ ((الاحضار او الاستحضار ، اهم وسيلة لاستدعاء عناصر المحاجة ، وجعلها ماثلة بين اعين المخاطبين وتحيين حضورها في اذهانهم))[١] ، كقول الصولي : ((حدثني الحسين بن إسحاق قال : سمعتُ ابن الدقّاق يقول : حضرنا مع أبي تمام وهو ينتخبُ أشعارَ المَحدثين ، فمر به شعرُ محمد ابن أبي عيُيَنْه المطبوعُ ، الذي يهْجُو به خالداً ، فنظر فيه ورمى به ، وقال : هذا كله مختار ، وهذا أدلُّ دليل على علم أبي تمام بالشعر))[٢] ، فيجعل الصولي شعر ابن ابي عيينه المطبوع كمقدمة حجاجية ، والنتيجة هي علم ابي تمام بالشعر ، والرابط الحجاجي (دليل) ، ويمكن تمثيل ذلك بما يلي :-

مقدمة / السبب ←—— رابط حجاجي ←—— نتيجة

شعر ابن ابي عيينه ←—— دليل ←—— علم ابي تمام بالشعر

المطبوع (المختار)

ليكون شعر ابن ابي عيينه المطبوع مقدمة حجاجية (سبب)

علم ابي تمام بالشعر (نتيجة)

دليل٠ رابط حجاجي فيفهم القارئ إنّ شعر ابن ابي عيينه المطبوع والمقذوف من قبل ابي تمام يدل على علم ابي تمام بالشعر .

(١) بلاغة الاقناع في المناظرة ، ص٨٩ .

(٢) اخبار ابي تمام ،ص١١٨.

(ب) **المفعول لأجله** : لم يكثر الصولي في ايراد هذا الصنف من الحجاج او من الربط الحجاجي به لأنّه : ((دقيق في استعماله وفهمه ، قليل التداول قديما وحديثا))[١] ، كونه ((قلبيا ، لان هذا الشرط مفهوم من شرط اخر هو : التعليل ، اذ التعليل – غالبا – يكون بأمور قلبية معنوية لا بأمور حسية من افعال الجوارح))[٢] ، فالمفعول لأجله ((يصلح سؤالا عن السبب جوابه كلمة معه في جملته))[٣] ، فمثلا يقول الصولي : ((فأمسكتُ عن إتمامها امتحاناً لصدقهِم ، فمات بعضٌ وبقى آخرون ، ولم تُعملْ حتى الساعة))[٤] ، بمعنى أنّ الصولي امسك عن اتمام اخبار جرير ، ويفسر هذا السبب او الامساك عن اتمام هذه الاخبار بالمفعول لأجله (امتحانا) ، فيدل على سبب ما قبله ، اي ربط العلة (السبب) بالنتيجة وهو امتحان لصدق دعوة هؤلاء القوم في اتمام هذه الاخبار ، فجاء المفعول لأجله (امتحانا) ليعلل سبب الامساك من قبل الصولي عن اتمام هذه الاخبار .

(ج) **الوصل السببي** : وهو ((ان يعمد المرسل الى الربط بين احداث متتابعة ، مثل الربط بما يمكن أنْ يكون المقدمة والنتيجة ، فتصبح النتيجة مقدمة لنتيجة اخرى ... يشبه الربط المنطقي في الخطاب))[٥] ، بمعنى إنّ المقدمة الاولى تكون بوصفها العلة الاساس ، والنتيـــــــجة الاخيرة تكون نتيجة للعلة الاساس

---

(١) النحو الوافي ، ج٢ : ٢٣٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ : ٢٣٨ . (الهامش)

(٣) المصدر نفسه ، ج٢ : ٢٣٥ .

(٤) اخبار ابي تمام ، ص١٣ .

(٥) استراتيجيات الخطاب مقاربه لغوية تداولية ، ص٤٨٠ .

(المقدمة الاولى) ، كقول الصولي : ((حدثنا أحمد قال : حدثنا أحمدُ بن أبي طاهر قال : حدثني أبو تمامٍ قال : حدثني يحيى بنُ إسماعيلَ الأمويُّ قال : حدثني إسماعيلُ بن عبدِالله ، قال جَدِّي : الصمتُ مَنامُ العقلِ ، والنطقُ يَقَظتُه ، ولا منامَ إلاَّ بيقَظَةٍ ، ولا يَقَظةَ إلاّ بمنامٍ))[١] ،

الصمت منام العقل ⟵ مقدمة حجاجية

النطق يقظـــــة ⟵ نتيجة اولى / مقدمة ثانية

ولا منام الا بيقظـة ⟵ نتيجة ثانية

ولا يقظة الا بمنام ⟵ نتيجة للمقدمة الاولى او العلة الاساس

فنرى الصولي يربط بين المقدمة الاولى ويجعلها العلة الاساس ، وبين النتيجة الاخيرة ليجعلها نتيجة للمقدمة الاولى والرابط هو الربط المنطقي في الخطاب ، من خلال التعليل السببي في التراكيب ، وهذا ما يسميه بيرلمان وتيتكاه بالحجة التداولية وهي : ((الحجة التي تمنح فرصة التقويم لعمل ما او حدث ، وذلك بالنظر الى تتابعاتها المرغوبة او غير المرغوبة ، .. ولا يقتصر دورها على ذلك بل يتجاوز المرسل بها الى توجيه السلوك والفعل المستقبلي))[٢] ، فـ((المتكلم متى اعتمد هذا الصنف من الحجج انما يذهب في الواقع الى إنّ الاطروحة التي يعرضها تبدو اكثر اقناعا كلما اعتمدت اكثر على تفسير الواقع والاحداث ... لتبرير الاحداث وتدعيم المواقف))[٣] ، فتكون العلاقة بين هذه الاحداث والمـــواقف ((علاقة شرط ، طردا وعكسا ، لا طردا

---

(١) اخبار ابي تمام ، ص٢٥٨ .

(٢) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٤٨١ .

(٣) الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه ، ص٢١٤-٢١٥ .

فحسب))[1] .

(٢) **الحجاج بالتبادل** : وهي الية حجاجية يحاول المرسل من خلالها أنْ ((يصف الحال نفسه في وضعين ينتميان الى سياقين متقابلين ، وذلك ببلورة علاقات متشابهه بين السياقات))[2] ، اي هي مطالبة المتكلم في ان يكون شعور الحب والتقدير متبادلا من قبل المتكلم نفسه والسامع ، وذلك ببلورة علاقة التشابه بينهما ، اي تطبيق مبدأ التماثل والمساواة في درجة المحبة والتقدير ، كقول الصولي حينما خاطب (مزاحم بن فاتك واخويه) : ((وإنه ليخفُّ عَلَيَّ من حاجتك ما يثْقُلُ عَلَيَّ من سواك ... ولِما أعترفُ به من فضلِكم وأشكرُه من برِّكم ، فأنتم كما قلتُ في قصيدةٍ تقدمتْ لي في مدحكم أصفُكم جميعاً[3].

فهذا التبادل بالحجج آت من خلال التبادل الامثل في الحب والتقدير من قبل المتكلم والسامع ، فمثلما يقدر مزاحم بن فاتك واخويه الصولي ، وذلك بقول الاخير (ولما اعترف به من فضلكم واشكره من بركم) ، يبادل الصولي هذا الحب والتقدير بحجج تنمي عن تقدير وحب ، وذلك بالمدح والوصف لمزاحم واخويه بقصيدة من نظمة لهذا الغرض .

---

(١) استراتيجيات الخطاب ، ص٤٨١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٤٨٦ .

(٣) اخبار ابي تمام ، ص١٣ .

(٣) **تحصيل حاصل** : وهو ضرب من ضروب الحجاج يستعمله المرسل في احالة ((ذهن المرسل اليه الى السمات اللازمة للدال والمعروفة عنده))[١] ، ومنه قول الصولي : ((... ومن الأشعارِ التي يُغَنَّى فيها ونِسْبتِها إلى قائِليها ، والسَّبَبِ الذي قيلتْ ، ومَنْ تغنَّى في شيءٍ شيءٍ منها وتبيينِ طُرقِها وأجناسِها وأصابِعها ...))[٢] ، فنرى الصولي قد عمد الى التكرار بقوله : (شيء شيء) ، فهذا التكرار ((لا يندرج في باب التكرار اللفظي او الترف الكلامي ، بل هو تكرار يقوي حجته في كل مرة يتلفظ بها))[٣] ، فتتقوى به درجة الاقناع ويثبت به المعنى ويقره إذ : ((تعد بنية التكرار من اشهر الوسائل اللغوية التي تساهم في تلاحم اجزاء النص ، لما تحويه من معنى الاحالة الى السابق بمعنى ان اللفظ الثاني المكرر يحيل الى اللفظ الاول))[٤] ، اي إنّ هذا التكرار ((يقوي حجته في كل مرة يتلفظ بها ، وذلك بالرغم من ان الالفاظ هي هي لم تتغير ، ولكن المتغير المصاحب لتلفظ هو الاثر التداولي الذي يريد تحقيقه))[٥] ، فيكون تحصيل الحاصل في نص الصولي هو بتكرار الكلمة نفسها من باب تقوية الحجة . وقول الصولي : ((... فقالوا : ما معنى ماءِ الملام وهم يقولون : كلامٌ كثيرُ الماء ، وما أكثر ماءَ شِعرِ الأخطل ! قاله يونس بن حبيب . ويقولون : ماءُ الصبابة ، وماءُ الهوى ، يريدون الدمع))[٦] ، نتبين من نص الصولي إنّه عرف (ماء الملام) وبين ماهيته وحقيقة ذاته ، إذ لجأ الى تكثير الاوصاف لماء الملام رغم وحدتها في الاصل وما تدل عليه ، وقوله ايضا : ((... فلعمري لقد فعل واحسن ، ولو قصَّر في قليل – وما قصَّر - لغرق ذلك في بحور

---

(١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٤٩٠-٤٩١ .

(٢) اخبار ابي تمام ، ص٨ .

(٣) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٤٩٣ .

(٤) حجاجية الخطاب في ابداعات التوحيدي ، ص٩٠ .

(٥) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٤٩٣ .

(٦) اخبار ابي تمام ، ص٣٣-٣٤ .

إحسانه))[١] ، إذ يحيل الصولي إلى مجهول باستعمال إحدى ادوات النفي وهي (ما) ، التي سوغت تكرار كلمتين جذرهما ووزنهما واحد (قصر – قصر) فـ((الحجاج يكمن هنا بما ينطوي عليه الخطاب من امر هام ، لم يرد ان يفصح به ، ليكون عدم الافصاح اقوى حجة من الافصاح))[٢] ، فبهذا النفي الذي استعمله الصولي ما هو الا تحصيل حاصل بعدم تقصير ابي تمام في عرض شعره ، والذي سماه ديكرو وانسكومبر بـ((النفي السجالي وهو عندما يأتي لينفي اثباتا سابقا ويحمل تصحيحا لهذا الاثبات))[٣] المراد اثباته.

٣– المستوى العمودي :

السلم الحجاجي في اخبـــــار البحتري واخبارابي تمام لابي بكر الصولي :-

<u>اولا- تعريفه :-</u> عرف طه عبدالرحمن السلم الحجاجي بأنه : ((عبارة عن مجموعة غير فارغة من الاقوال مزودة بعلاقة ترتيبية وموفية بالشرطين الاتيين :-

(أ) كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته ، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الاعلى جميع الاقوال التي دونه .

(ب) كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين ، كان ما يعلوه مرتبة دليلا اقوى عليه))[٤] ، اي يكون ((بناؤه على نظام معين تترابط فيه العناصر وفق نسق تفاعلي وتهدف جميعا الى غاية مشتركة))[٥] ، ويمكن أنْ نسميها بالنتيجة النهائية من هذا النسق التفاعلي ، ويحصل ذلك إذا ارتبـــــــــط مفهوم السلم الحجاجي بـ((مفهوم الوجـــــــهة او الاتجـــــاه الحجـــــاجي

---

(١) اخبار ابي تمام ، ص٣٨ .

(٢) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٤٩٣ .

(٣) بلاغة الاقناع في المناظرة ، ص٢٢٣ .

(٤) اللسان والميزان او التكوثر العقلي ، ص٢٧٧ .

(٥) الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه ، ص٢٧ .

ويعني هذا المفهوم إنّه إذا كان قول ما يمكن من إنشاء فعل حجاجي ، فإنّ القيمة الحجاجية لهذا القول يتم تحديدها بواسطة الاتجاه الحجاجي))[١] ، اذ تقوم الروابط الحجاجية او الالفاظ والمفردات او سياقه التداولي ، بتحديد الاتجاه الحجاجي للسلم ، اي إنّ تراتبية الجمل تتحدد بوجود الرابط الحجاجي او بعدم وجوده ، فقد عرف ابو بكر العزاوي السلم الحجاجي بقوله : ((هو علاقة ترتيبية للحجج))[٢] ، اي إنّ الخطاب الحجاجي حاوٍ على مجموعة اقوال ، وهذه الاقوال تمثل حججا وادلة تتقوى حسب تراتبية متسقة تخدم النتيجة النهائية منها ، ولذلك ((يختار المرسل حججه التي تنتسب الى سلم واحد ... يبدأ بادناها مرتبة ، فيرتب حججه في سلمية واحدة))[٣] ، لــ((وجود علاقات بينها تحكم منطق تراتبها والسياقات التي ترد فيها))[٤] ، وهذا ما قالة ديكرو بأنّ : ((اي حقل حجاجي ينطوي على علاقة ترتيبية (لحجج) نسميه سلما حجاجيا))[٥] ، ويتسم السلم الحجاجي بالسمتين الاتيتين :-

(١) كل قول يرد في درجة ما من السلم ، يكون القول الذي يعلوه دليلا اقوى منه بالنسبة لــ(ن) .
(٢) إذا كان القول (ب) يؤدي الى النتيجة (ن) ، فهذا يستلزم ان (ج) او (د) الذي يعلوه درجة يؤدي اليها ، والعكس غير صحيح[٦] ، اي أنّ هذه النتائج تنتمي الى نفس الفئة الحجاجية ، والتي تنتمي بدورها إلى نفس السلم الحجاجي ، وكل هذه النتائج تؤدي الى نتيجة مضمرة تكون حصيلــة

---

(١) اللغة والحجاج ، ص٢٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٢٠ .
(٣) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٥٠٢ .
(٤) المصدر نفسه ، ص٥٠٤
(٥) بلاغة الاقناع في المناظرة ، ص١٠١ .
(٦) اللغة والحجاج ، ص٢١ .

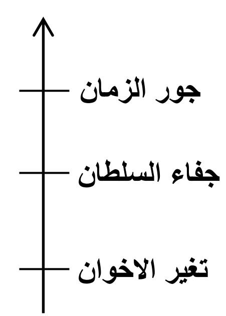
ما تدل عليه هذه الحجج من محتوى ومضمون ، وتكون الحجة التي في اعلى السلم ، لها الحصة الاكبر من النتيجة المضمرة ، فمثلا قول الصولي : ((ثم أرتْني عَيْنُ الرأي بقيةً في نفسِكَ منه ، لم يُطْلِعْها لي لسانُكَ ، إما كراهَةً منك لتَعبي ، أوْ إشفاقا من الزيادةِ في شُغُلي ، مع ما يتقسَّمُني من جَوْرِ الزمانِ ، وجفاءِ السلطانِ ، وتغيُّرِ الإخوانِ))[1] . فإذا اخذنا الاقوال الاتية :-

١- جور الزمن .

٢- جفاء السلطان .

٣- تغير الاخوان .

نتبين إنّ هذه الاقوال ليست على درجة واحدة من حيث القوة والضعف ، وإنّ القول الاول (جور الزمان) ترد في اعلى السلم الحجاجي ، لأنّها اقوى الحجج ، بحيث يكون السلم الحجاجي كالاتي :-

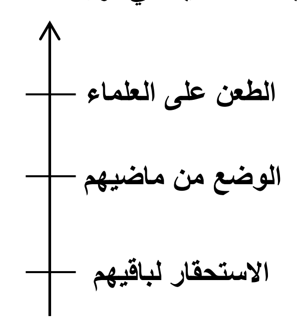


وكل قول يرى في درجة ما من السلم ، يلزم عليه القول الذي يليه ، ويكون القول الذي يعلوه اقوى منه ، ولهذا يكون القول (جور الزمان) اعلى درجات السلم لما تمثل هذه الحجج من مقدمات ابستمولوجية ، اتخذت صبغة منطقية . كقول الصولي:((يطلبُ الرجلُ منهم فَنًّا من فُنون الآدابِ،

---

(١) اخبار ابي تمام ، ص٥ .

فيُقْسَمُ له حظٌّ فيه ، ويَنالُ درجةً منه ، فلا يَرَى أن اسمَ العالمِ يتمُّ له ، ولا أنَّ الرِّياسَةَ تَنْجَذِبُ إليهِ ، إلاّ بالطّعنِ على العُلماءِ والوضْعِ من ماضِيهِمْ ، والاستحقار لباقيهِم ...))[1] ، فنلحظ أنّ الصولي يبدأ بمقدماته الحجاجية ، والتي تعد بمنزلة ثيمات حجاجية تتصاعد حسب قوتها الى أنْ تصل الى اقوى حجة ، متمثلة بالقول الاول (الطعن على العلماء) ، ويمكن وضع هذه الادلة في السلم الحجاجي الاتي :-



ثانيا - قوانينه :-

وضع الباحثون اوبعض الباحثين لهذا السلم قوانين ثلاثة هي :-

١- **قانون الخفض :** ومقتضى هذا القانون : ((انه اذا صدق القول في مراتب معينة من السلم ، فأن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها))[2] ، اي أنّ ((الخفض الذي ينتج عن النفي لا يتموقع في السلم الحجاجي))[3] ، فمثلا قول الصولي : ((إعلم – أعزَّك الله – إن ألفاظَ المحدَثين مُذْ عهدُ بشارٍ إلى وقتنا هذا كالمنتقلةِ إلى معانٍ أبدعَ ، وألفاظ أقربَ ، وكلامٍ أرقَّ))[4] ، وهو قول مثبت ، فلا يمكن أنْ يكون القول المنفي (ليس كلام المحدثين برقيق) ،في درجة من درجات السلم، كيلا يدل على تناقض القول، كما

---

(١) اخبار ابي تمام ، ص٦ .

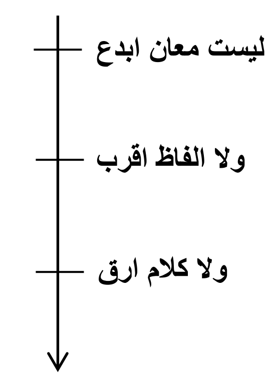
(٢) اللسان والميزان ، ص١٧٧ .

(٣) اللغة والحجاج ، ص٢٤ .

(٤) اخبار ابي تمام ، ص١٦ .

إنّ نقيض القـــــول يصدق في المراتب التي تحتها ، فاذا ما صدق قول الصولي حول رقة كلام المحدثين ، فإنّ نقيضه يصدق في المراتب التي تحتها بمعنى إنّ كلام المحدثين ليس صعب الالفاظ او فلسفي الافكار ، يصدق على الدرجة السلمية التي تحتها وهي (كلام المحدثين رقيق) .

٢- **قانون تبديل السلم** : او ما يسمى بقانون النفي إنّه : ((اذا كان القول دليلا على مدلول معين ، فان نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله))[١] ، بمعنى إنّه إذا تم نفي احدى الحجج ، ادى هذا النفي الى نفي مدلول الخطاب فـ((اذا كان قول (أ) مستخدما من قبل متكلم ما ، ليخدم نتيجة معينة ، فان نفيه (اي ~ أ) ، سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة))[٢] ، فإذا ما نفينا وافترضنا انّ الصولي قال عن كلام المحدثين عكس قوله السابق بأنّ (لفظ المحدثين مذ عهد بشار الى وقتنا هذا ليست منتقلة الى معان ابدع ، ولا الى الفاظ اقرب ، ولا الى كلام ارق) ، فإنّ هذا يدل على نفي مدلول الخطاب ، لتترتب قوة النفي ترتيبا عكسيا ،ويتضح هذا من خلال السلم الحجاجي الاتي :-



وهذه الحجة ، هي حجة الراي المخالف ، الذين إذا سمعوا شعر المحدثين ممثلة

(١) اللسان والميزان ، ص٢٧٨ .

(٢) اللغة والحجاج ، ص٢٢ .

بشعر ابي تمام يقولون : ((خَرِّقْ خَرِّقْ))[١] .

٣- قانون القلب :

ويفيد هذا القانون إنّه : ((اذا كان احد القولين اقوى من الاخر في التدليل على مدلول معين فان نقيض الثاني اقوى من نقيض الاول في التدليل على نقيض المدلول))[٢] ، بمعنى إنّه اذا وجدت قيمتان من المدلول الحجاجي نفسه ، وكانت قيمة احد المدلولين اكبر من الاخرى ، فإنّ نقيض / نفي الاخيرة تكون اقوى من نقيض / نفي الاولى في التدليل على نقيض المدلول إذ ((يرتبط هذا القانون ايضا بالنفي ... اي أنّ السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الاقوال الاثباتية))[٣] ، ففي قول الصولي إنّ (كلام المحدثين رقيق) وإنّ (الفاظهم منتقلة الى معان ابدع) ، فأنْ تم عكس القضية ، ونقضنا القول الثاني بقولنا (ان الفاظ المحدثين ليست منتقلة الى معان ابدع) يصبح نقيضه اقوى من نقيض القول الاول ، فـ(الفاظ المحدثين ليست منتقلة الى معان ابدع) اقوى من (ليس كلام المحدثين رقيق) ، وما يقع ادنى السلم هو نفي اقوى لمدلول الخطاب .

<u>ثالثا – الروابط اللغوية للسلم الحجاجي :-</u>

أنّ المهمة الاساسية للروابط الحجاجية ، هي الربط بين قضيتين ، وترتيب هذا الربط بحسب درجات القوة والضعف في داخل الخطاب من الحجج ، ويتحدد هذا الربط حسب الرابط نفسه إذ إنّ ((كل اداة من ادوات الربط قد يكون لها اكثر من خاصية دلالية وتداولية))[٤] ، بمعنى إنّ هذه الروابط وبحسب طبيـــــعتها الدلالية -

---

(١) اخبار ابي تمام ، ص١٧٦ .

(٢) اللسان والميزان ، ص٢٧٨ .

(٣) اللغة والحجاج ، ص٢٢ .

(٤) النص والسياق ، ص١٣٣ .

التداولية ، هي التي تحدد الاتجاه الحجاجي من الفاظ ومؤشرات لغوية ، بالإضافة الى السياق اللغوي الذي يناط به الخطاب الحجاجي ، بغية الاقناع والتأثير في المتلقي / السامع إذ أنّ ((الوظيفة التداولية لأدوات الربط ينبغي ان تتحدد تبعا للبنيات وترتيب نتائج قوى افعال الكلام))[1] ،ومن هذه الروابط التي سنتناولها (لكن – بل) .

أ- **لكن** : وتستعمل للربط بين جملتين ، تكون الجملة الاولى بمنزلة جملة اصلية ، والجملة الثانية جملة فرعية ناشئة عن الاولى وتدل على الاستدراك إذ ((اكد الزمخشري ت٥٣٨هـ ، أنها للاستدراك وتتوسط بين كلامين متغايرين نفيا وايجابا يستدرك بها النفي بالإيجاب والايجاب بالنفي))[2] ، اي ((تعقيب الكلام برفع ما يتوهم ثبوته ، او اثبات ما يتوهم نفيه))[3] ، اي يكون المعنى الاصلي مخالفا للمعنى الفرعي ، فوجودها يعد وجود مخالفة وتغير بين معنى الجملتين التي تتوسط (لكن) بينهما أي((ان المرسل يستعمل لفظ (لكن) لعكس الاستدراك وتوجيه الحجاج لما سيتلوها ، اعتمادا على ما قيل قبلها ... فكل خطاب تالٍ لها هو الحجة الاقوى صوب الدعوى التي يدعيها المرسل))[4] ، اي منح الحجة التي تأتي بعدها قوة اكبر في حجتها ، بمعنى ان الجملة الثانية اعلى مرتبة مقارنة بما قبلها ، فمثلا قول الصولي : ((راسلَ أبو تمام أمَّ البحتري في التزويج بها ، فأجابته وقالت له : اجمعِ الناسَ للإمْلاك ، فقال : اللهُ أجلُّ من أن يُذكرَ بيْننا ، ولكنْ نتماسَحُ ونتسافحُ))[5] ، فتكون حجة التصافح والتسامح اقوى حجـــــة ،

---

(١) النص والسياق ، ص١٢٩ .

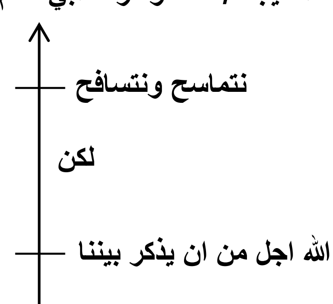
(٢) معاني الحروف ، الامام ابي الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي ت٣٨٤هـ ، حققه وخرج حديثه وعلق عليه. الشيخ / عرفان بن سليم العشاحسونة الدمشقي ، المكتبة العصرية ، سيدا – بيروت ، ط١ ٢٠٠٥ ، ص١٩٦ .

(٣) النحو الوافي ، ج ١ص٦٣٢ (الهامش).

(٤) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٥١١ .

(٥) اخبار البحتري ، ص١٤٤ .

لأنّ ((الحجة الثانية اقوى من الحجة الاولى ، فأنها ستوجه القول بمجمله نحو النتيجة))[1] ، فجاءت هذه الحجة في الدرجة العليا من السلم ، ويمكن التمثيل لها بالسلم الحجاجي الاتي :-



وقوله ايضا (الصولي) : ((ولا إدعيا التقدمَ – يقصد ابا العباس محمد بن يزيد ابن عبد الاكبر الازدي وابا العباس احمد بن يحيى الشيباني – على غيرهما في علم العروض والقوافي والنسبِ والرسائلِ والمكاتباتِ والبلاغةِ ، ومعرفةِ استِراقاتِ الشعراء وأخْذِ بعضِهم من بعض ، والمحْسنِ منهم في ذلك والمسيئ . ولا ادعى ذلك مدَّعٍ لهما ، ولكنهما كانا يتقدَّمان في النحوِ واللغِة))[2] ، ويعني بقوله أنّ العالمين المذكورين لم يتقدما في معرفة الشعر وفنونه او استراقات (سرقات) الشعراء او معرفة علم العروض او القوافي ، ولكن الصولي يستدرك كلامه بإنّهما عالمان في اللغة والنحو ، فيكون القول الثاني بمنزلة النتيجة النهائية فـ((بيان التغيير الاستدراكي قد يستعمل ايضا للدلالة على عدم استيفاء الامكان او الاحتمال او الشروط الضرورية))[3] ، فجاءت الجملة الثانية اعلى مرتبة ، مقارنة بما قبلها ، فاراد الصولي أنْ يبين افضلية العالمين في مجال اللغة والنحو ، وايضا الى اشارته (الصولي) إلى إنّه ليس كل عالم في مجال ما هو عــــــالم بكل شيء ، فهـــــــــي اشارة من الصولي الى المجــــــال الذي يخـــــــتص به العالـــــــمان الــــــذي

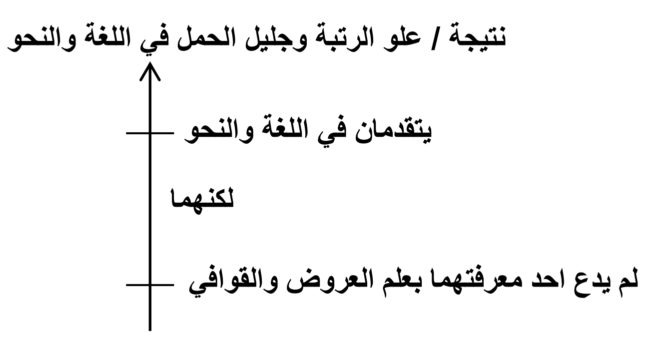
---

(١) اللغة والحجاج ، ص٥٩ .

(٢) اخبار ابي تمام ، ص٩ .

(٣) النص والسياق ، ص١٢٣ .

هو بعيد عن مجال الادب وفنونه ويمكن التمثيل لها بالسلم الحجاجي الاتي :-



ب- بل : وهي اداة ربط تربط بين قولين ، ومعناها ((الاضراب عن الاول والايجاب عن الثاني))[١] ، اي ((الاضراب الانتقالي على جهة الترك من غير ابطال))[٢] ، بمعنى إنّها تضرب عن القول الاول وتنتقل الى القول الثاني من غير ابطال للقول الاول ، اي تنتقل من درجة دنيا في الحجاج الى درجة عليا ، بمعنى أنّ ((المرسل لا يريد ابطال ما قبل (بل) ، بقدر ما يريد الانتقال من درجة دنيا في الحجاج الى درجة اعلى))[٣] ، إذ ((تكمن حجاجيتها في ان المرسل يرتب بها الحجج في السلم ، بما يمكن تسميته بالحجج المتعاكسة))[٤] فمثلا قول الصولي : ((... الذين تجتمع فيهم شرائطُهم ، ولم يعرِفوا ما كان يضبُطُه ويَقُومُ به ، وقصَّرُوا فيه فجِهلوه فعادَوْه ، كما قال الله جل وعز : (**بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ ...**)))[٥] ، فينتقل الصولي – في نصه – من درجة دنيا الى درجة عليا ، فهو لا ينكر القول الاول ، وانما ينتقل منه الى قول اقوى واعلى مرتبة منه ، فأصبحت الحجة الثانية اقوى من الحجة الاولى بفضل الاداة (بل) ، وخاصة اذا

---

(١) معاني الحروف ، ص٧١ .

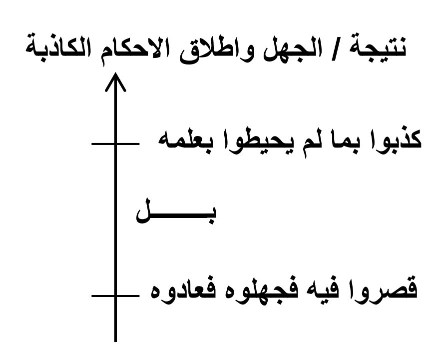
(٢) اللغة والحجاج ، ص٦٢ .

(٣) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٥١٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٥١٤ .

(٥) اخبار ابي تمام ، ص١٤ .

كانت الحجة الثانية من ((الادلة او الشواهد الجاهزة ، كالآيات القرآنية والاحاديث الشريفة واقوال السلف والحكم والامثال ...))[1] ، ويمكن التمثيل بالسلم الحجاجي الاتي :-



(١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٥٠٤ .

المبحث الثالث : الشاهد الحجاجي

تتجلى حجاجية الشاهد الحجاجي واستحضاره بأنّه يمثل سلطة تحظى بنفوذ ومصداقية لا يمكن معارضتها او التشكيك بها لأنّها ((حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها ومن مصادقة الناس عليها وتواترها))[١] ، فبهذا التواتر يلجأ المحاج اليها ، ويطلبها في خطابه لما تشكل من حضور وقيمة في مدلولها المعرفي (الابستمولوجي) لأنّها ((مشتقة من جنس ما هو ماثل في افقهما الثقافي يألفونه ويعرفونه))[٢] ، فـ((يكون بذلك قد قرع ابواب القلب قلب السامع متوسلا اليه بالحميم عنده والمألوف لديه))[٣] ، وايضا حضورها التاريخي لما تمثله من ((سلطة مرجعية معترفا بها قادرة على تجاوز معارضة الخصم وانتزاع تسليمة))[٤] ، لما تحتوي من طاقة حجاجية تثري خطابة الحجاجي وايضا استثمارها كمقوم حجاجي يدعم الطرح والرؤية من قبل المحاج إذ ((أنّ الخطيب لا يبتدع تلك الحجج او ينشئها بالنص على غير رسم . وانما هي موجودة يكتشفها او يكشف عنها . يجدها في المشهورات والمواضع* وما عليه الا أنْ يربط بينها حتى

---

(١) في بلاغة الخطاب الاقناعي ، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية ، الخطابة في القرن الاول نموذجا . محمد العمري ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، ط١ ١٩٨٦ ، ص٦٥ .

(٢) اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم ، ص٢٦ .

(٣) جمالية الالفة النص ومتقبله في التراث النقدي ، شكري المبخوت ، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ، بيت الحكمة ١٩٩٣ ، ص٤٣ .

(٤) بلاغة الاقناع في المناظرة ، ص٢٣٣ ، خطاب المناظرة في الادب الاندلسي ، ص٢٤٥ .

*يعود هذا المصطلح في اصله الى الادبيات الفلسفية ، وهو في معناه الاول مقولة ،وتقسيم لمختلف انواع الميادين وانواع الحجج المستعملة عادة في الخطاب ، وهذا المعنى العام الذي لأجله صاغ ارسطو كتابا كاملا هو كتاب الطوبيقا ...فهي حينئذ النقطة المركز التي تحوم حولها عملية نجاعة الخطاب،لذلك عرفها دومارسي بكونها الاقفاص التي يمكن لكل الناس ان يذهبوا اليها من اجل ان يأخذوا مادة خطاب ما وحجج حول كل نوع من =

تكون بنيتها الاستدلالية محكمة))[1] ، فـ((المواضع تمثل عامة مشتركة منها تشتق مقدمات القياس فتكون الحجة عندئذ قياسية في شكلها مبنية في جوهرها على موضع محدد من المواضع المختلفة))[2] ، ولا يكون ذلك إلا من خلال الاختيار والانتقاء الامثل لهذه الحجج المراد توظيفها ، ومدى ملاءمتها لذلك المقام الذي ترد فيه ، لتحصل المطابقة في ما بين هذه الحجج التي هي مقوم حجاجي ونوع ذلك الخطاب التي ترد فيه تلك الحجج لما تمثل ((من دعامة رئيسية وقارة تؤكد حجاجية الملفوظ بما توفره من قيمة استدلالية مرجعية))[3] ، وهذا ما قاله ارسطو في تعريفه للمواضع : ((عليك ان تحاول امتلاك المواضع احسن امتلاك فتحتها تقع الحجج في الغالب))[4] ، بمعنى إنّها ((ليست الحجج بالذات وانما هي الغرف التي نرتب تلك الحجج بداخلها من هنا فهي كل صورة تربط بين فكرة فضاء وفكرة خزان ... انها خاصية حيث يمكن العثور على الحجج))[5] ، لإعطاء خطابه ((شحنة منطقية يحاول بها المخاطب مخاطبة على التسليم الوضعي بمدلول رسالته))[6] ، والتي سماها ارسطو بـ(البصر بالحجة) ((وهو حسن التدبير والتقاط المناسبة بين الحجة وسياق الاحتجاج في صورتها المثلى حتى يسد المتكلم السبيل على السامع فلا يجـــــد منفذا الــــى

= الموضوعات . ونعتها بيرلمان بالمقدمات العامة ، وهي متمحضة للاستدلال الجدالي ، فهي القاسم المشترك من التقاليد والمنظومات والافكار والمبادئ بين افراد الامة الواحدة . وقد قسمها الى مواضع مشتركة ومواضع خاصة . العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، عزالدين الناجح ،مكتبة علاء الدين ،صفاقس _تونس .مطبعة .دار نهى ط١ ٢٠١١ ص٨٢-٨٨ .

(١) اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم ، ص١٤ .

(٢) الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه ، ص٢٨٧-٢٨٨ .

(٣) العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، ص٨١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٨٦-٨٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٨٧ .

(٦) التواصل اللساني والشعرية ، مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون ، ص٤١ .

استضعاف الحجة والخروج عن دائرة فعلها))[1] ، لأنّها تمثل ((مقدمات صادقة في اصلها بينة بنفسها ، لا بتقرير او تقدير منا))[2] ، فإذا ما وظف المرسل تلك المقدمات في خطابه يجعل خطابه ذا بعد سلطوي تسهم في بلورة حجاجة في افضل صورة نتيجة اختياره الامثل لها ، إذ إنّ ((انتقاء عناصر معينه وتقديمها للمتلقي ينطوي مسبقا على اهميتها وملائمتها للنقاش . وبالفعل يمنح هذا الاختيار لهذه العناصر حضورا يعتبر عاملا جوهريا في الحجاج))[3] ، لأنّها تمثل عناصر مسلم بها ، وبالتالي تكسب الخطاب الحجاجي قدرا كبيرا من الاقناع ، وفي تحقيق الترجيح لإيقاع التصديق كونها ((الية اعتبار واقناع معا ، فلا يتلوها بعد ذلك الا الصمت والتسليم))[4] ، بعدها ركيزة اساسية يسند عليها المحاج خطابه إذا ما اراد الاقناع والتسليم لأطروحاته لـ((ترسيخ قواعده في عقول المتقبلين واثبات خصائصه في كتابات السامعين يعملون بتعاليمه وينتهون بنواهيه))[5] ، فيعمد المحاج الى هذه الركائز (المقدمات الحجاجية) لأنّه ((يعرض من خلالها خطاطة علمه وسياسة فهمـــه للقضايا المبسوطة والمالات المنحوتة في مستقبل الزمان يصيبها عقل المخاطب وينفعل بها وجدانه حتى يعمل بها في طور ثان عمل الطاعة والاستجابة ويحدث من خلالها اثارا ارتجاها المخاطب يقيس بها نجاعة خطابه ويحدد من خلالها سعة نصابه لأنّ الكلام مقادير توزع قسمة معدولة على الدواعي والحاجات حتى لا يبطل مجراها ولا يسقط سنـــــــــام

---

(١) اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم ، ص١٤ .
(٢) اللسان والميزان او التكوثر العقلي ، ص١٣٨ .
(٣) الحجاج في البلاغة المعاصرة (بحث في بلاغة النقد المعاصر) ، محمد سالم محمد الامين الطلبة . دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت – لبنان ، ط١ ٢٠٠٨ ، ص٤٨ .
(٤) بلاغة الاقناع في المناظرة ، ص٢٣٨ .
(٥) الحجاج والحقيقة وافاق التأويل ، ص٤٧٠ .

مغزاها))[١] ، وذلك لرسوخها ووضوحها في اذهان سامعيها وتسليمهم لها لما تمثل المنهاج الواضح الذي تصغي له الاذان وتسلم وتذعن له الانفس والاذهان ، ومأتى ذلك إلى تواترها وقيمتها (الابستمولوجية) لكل زمان ومكان بتناغمها في جميع العصور ، إذ تكمن اهميتها بأنّها ((دعامات الحجاج القوية ، إذ يضعها المرسل في الموضع المناسب ... فهي ليست من انتاج المرسل بقدر ما هي منقولة على لسانه ... وتسهم هذه الالية في رفع ذات المرسل الى درجة اعلى ، وبالتالي منحها قوة سلطوية بالخطاب))[٢] ، لانّ ((الحجاج بحسب بيرلمان وتيتكاه هو "لقاء العقول"))[٣] ، فاذا ما وظفت هذه الدعامات الحجاجية القوية ممثلة بالشاهد الحجاجي في قول ما تجعله مسنودا إلى ((خلفيات معرفية ووجدانية . هذه الخلفيات كفيلة بأن تنقل القول من مجرد راي خاص الى اعتقاد مشترك ، ومعلوم ان الجمعي اكثر مصداقية واقرب للأقناع))[٤] ، إذ أنّ ((التواصل ليس فعليا عشوائيا ، او حدثا غفلا ، بل هو فعل مخطط له ، وموجه لتحقيق اهداف معينة ... يجري وفقا للأعراف الاجتماعية))[٥] ، فاذا ما حاد المحاج عن الاتفاق الجمعي في مسلماته واولوياته في سياقه المجتمعي اصبح قوله مجرد "حذلقات" وهذا ما اقره بيرلمان في امبراطورية البلاغة بقوله : ((اذا لم تدمج هذه الوجوه – يقصد الحجج الجاهزة من امثال وحكم ... – في بلاغة اقناع ، فأنها لا تصبح وجوه بلاغية بل حذلقات))[٦] ، ويكون قوله – إذا فقد هذه الاستراتيجية في التوظـــــيف -

---

(١) الحجاج والحقيقة وافاق التأويل ، ص١١٦-١١٧ .

(٢) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٥٣٧ .

(٣) بلاغة الاقناع في المناظرة ، ص١٨٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٢٤١ .

(٥) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص١٠ .

(٦) بلاغة الاقناع في المناظرة ، ص٩٢ .

مجرد زخارف لا طائل منها سوى اللف والدوران ما لم تخضع لاستراتيجية التوظيف لهذه النماذج المتواترة والمسلم بها لتزيد في عملية الاقناع فـ((الاجراءات والخطط الاستراتيجية والقواعد والمقولات ، كل ذلك يكون ضروريا لربط المعلومات وتنظيمها وتذكرها مما يحصل في فعل مشترك الانجاز))[١] ، اذ ((يبنى التخاطب في الرسائل باعتماد معطيات وثيقة الصلة بالمرجع الذي يحيل عليه الكتاب ، ولا شك في انها تستخدم لتدقيق المعاني واصابة الهدف))[٢] ، فـ((لا يركز في المحاج ... الا على الامور الداخلة في بنيته الموصلة الى الاقناع : فالأمثلة الجاهزة والجمل الوعضية او الارشادية وغيرها لا يتم التطرق اليها الا اذا كانت داخلة في بنية قولية خطابية ، وتؤدي هدفا في خطة حجاجية معينة))[٣] ، والتي سماها بيرلمان بـــ((مقومات حجاجية اقناعية))[٤] ، تثري الخطاب الحجاجي وتجعله نافذا الى اذهان متلقيه نتيجة لسلطتها ونفوذها في الخطاب الحجاجي ، ولا يكون ذلك إلا من خلال ((قابلية الاستعادة))[٥] ، اي بمعنى وجود خزين معرفي لهذه الاقوال في الذاكرة تعمل عملها في الامد البعيد نتيجة – كما اسلفنا – تواترها وحضورها في ذهن المتلقي / السامع وتسليمه لها في عملية حجاجــية والتي يسمــــــــــيها شيشرون

---

(١) النص والسياق ، ص٣٢٦-٣٢٧ .

(٢) الرسائل الادبية ودورها في تطور النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعرية) ، صالح بن رمضان ، الناشرون. دار الفارابي ، بيروت / لبنان ، ط١ ٢٠٠١ ، ص١٤٦ .

(٣) الحجاج مفهومه ومجالاته (دراسات نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة) ، تأليف مجموعة من المؤلفين ، ج١ ، ط١ ٢٠١٣ ، ابن النديم للنشر التوزيع ، الجزائر / وهران. دار الروافد الثقافية ، ناشرون. الحمراء / لبنان ، ص٢٨٦ .

(٤) الحجاج مفهومه ومجالاته (دراسات نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة) ، تأليف مجموعة من المؤلفين ، ج٢- تحرير حافظ اسماعيلي علوي ، ط١ ٢٠١٣ ، ابن النديم للنشر التوزيع ، الجزائر / وهران. دار الروافد الثقافية ، ناشرون. الحمراء / لبنان ، ص١٣٢٠ .

(٥) بلاغة الخطاب وعلم النص ، صلاح فضل . دار الكتاب المصري / القاهرة ، دار الكتاب اللبناني / بيروت ، ط١ ٢٠٠٤ ، ص٣١٨ .

الروماني بـ((مخازن الحجج))[1] ، ويعرفها بيرلمان بانها : ((مسلمات ذات طبيعة عامة وتكون مضمرة في الغالب تسمح بتأسيس القيم ومراتبها وتجلب لتسويغ اغلب اختياراتنا))[2] ، اي هي ((الحجج والبراهين الجاهزة كالآيات القرآنية والاحاديث النبوية والامثال والحكم والابيات الشعرية ، التي تنبثق حجاجيتها من تواترها بين الناس وتوسل المحاجج بهذه الحجج يزيد – حتما – من معدل تصديق المتلقي بالطرح المقدم))[3] .

الشواهد الحجاجية في اخبار ابي تمام واخبار البحتري لابي بكر الصولي ت٣٣٥هـ

١- الشاهد القرآني :

يمثل الشاهد القرآني النموذج الاسمى والاقوى على جميع الحجج ، لما يتسم به من قوة حجاجية الاكثر تأثيرا واقناعا داخل المجال التداولي الاسلامي لأنّه العقيدة والكتاب المقدس لعموم المسلمين لذلك يشكل محط اجماع عام ، دونه كل الحجج ، فالقرآن اعلى واكبر وسائل الاستشهاد في الثقافة العربية الاسلامية ، فالاستشهاد بشيء من القران يعد قوة سلطوية لهذه الخطابات لأنه ((القطب الذي تدور حوله مختلف المجهودات الفكرية العقائدية للمسلمين))[4] ، فإذا ما عمد المرسل الى الشاهد القرآني ، فأنّه يتوسم تقنيتين هما :

---

(١) خطاب الاخلاق والهوية في رسائل الجاحظ ، ص٦٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٦٨ .

(٣) حجاجية الخطاب في ابداعات التوحيدي ، ٢٨٢ .

(٤) الحجاج مفهومه ومجالاته ، ج١ : ٤٤٧ .

((التناص والافتراضات المسبقة))[١] ، لأنّه يمثل كتاب عقيدة وشريعة ودستور كامـــل متكامل للحياة البشرية في مختلف جوانبها الروحية والمادية ، وايضا لإظهـــــــــــار ((كفاءته التداولية ،اذ يكمن دوره في توظيفها التوظيف المناسب في خطابه))[٢] ، وهذا ما نجده حاضرا في توظيف الصولي لآيات القران الكريم ، لتعضيد خطابه الحجاجي وافحام الاخر (الضد) ، في تغليط الاخر لما ورد في شعر ابي تمام ، لإظهار تفرده (الصولي) في تكوين خطابه الحجاجي ((لما قال في آخره (فإنني صبٌّ قد استعذبتُ ماءَ بكائي) ، قال في أوله : (لا تسقني ماءَ الملام) ؟ وقد تَحمِل العربُ اللفظَ على اللفظ فيما لا تستوي معناه . قال الله جل وعز : (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) ، قالَ سيئةٌ ، فحمل اللفظَ على اللفظ ، وكذلك : (وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ) ، وكذلك : (فَبَشِّرْهُمْ بِعذابٍ أليمٍ) ، لما قال : بَشِّر هؤلاءِ بالجنة قال : بشِّر هؤلاءِ بالعذَاب ، والبِشَارةُ إنما تكون في الخيرِ لا في الشرِّ ، فحملَ اللفظَ على اللفظ . ويقال إنما قيل لها بِشارة لأنها تَبْسُط الوجهَ ، فأما الشر والكراهَةُ فإنهما يَقْبِضانه))[٣] ، فالصولي حينما يوظف الشاهد القرآني في خطابه ، يدرك – تماما – إنّه يتمتع بسلطة اجتماعية تؤهله لمعرفة الخطأ والصواب وايضا يوظف دليلا ذا سلطة اوسع من سلطة الاخر زمانا ومكانا ، بمعنى إنّ دليل الاخر لا يرقى الى مستوى سلطة الدليل القرآني ، والي تجعل الاخر يذعن ويسلم له ، وذلك ((لما ينطوي عليه هذا الخطاب من خصوصيات تعبيريه ومميزات مضمونيه تقصر عن ادائها امكانات البرهان الصوري))[٤] ، فإذا ما ادرجها المحاجج في خطابه الحجاجي فانه يحصل على تأييد الجميع لأنّ ((اللفظ في القران له تفرده ودقته من حيث المعنى والدلالة والسياق . مما ينتفي معه الترادف ، فالسياق يضفي على اللفظ مصاحبات دلالية وتصـــــــــــويرية تعطيه ملمـــــــح التفرد والتميز))[٥] ،

---

(١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٥٤٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٥٣٧ .

(٣) اخبار ابي تمام ، ص٣٥ .

(٤) اللسان والميزان او التكوثر العقلي ، ص٢٨٥ .

(٥) من جماليات التصوير في القرآن الكريم ، ص١٩١ .

إذ((يبني عليها السارد خطابه للحصول على التوافق بينه وبين المتلقي))[١] ، وايضا إنّ ((هذه المقدمات والفرضيات التي يؤسس عليها الحجاج ليس ذات فاعلية بمعزل عن كفاءة الخطيب ووعيه ، والذين تكتسب عناصر الحجاج شحنتها الحجاجية))[٢] ، بمعنى أنّ المحاجج حينما يلجا الى الشاهد القرآني يدرك أنّ الاخير يتمتع بسلطة مرجعية ، والتي تستلزم من الطرف الاخر عقد مقارنة ذهنية تدور في قوالب الكفاءة التداولية إذ إنّ ((استغلال الافتراضات المسبقة يعتبر من اهم الطرق التي تعمل بها السلطات الاجتماعية ، فهي تعرض النتيجة وتوظفها اجتماعيا دون ان تشير الى مقدماتها المنطقية ، او بدون ان تضع هذه المقدمات موضع تساؤل))[٣] ، نتيجة لقوة سلطتها ومرجعيتها وحضورها المسبق في ذهن السامع وتسليمه لها دونما تساؤل ، فهذه ((الافتراضات وان كانت مسلما بها من قبل المعنيين سلفا ، الا ان التسليم القوي بها في اطار الخطاب لا يكون كذلك ما لم تشفع بادله وانساق برهانية تدعمها))[٤] ، فاتكأ الصولي لتعضيد كلامه والتسليم لخطابه الحجاجي على الشواهد والادلة الجاهزة ، ممثلة باي من الذكر الحكيم وعلى كلام العرب الذي لا يشك بروايته ، لإعطاء خطابه الحجاجي شحنة منطقية برهانية لما يقول ويخبر ، كقول الصولي : ((وألفاظُ القدماءِ وإنْ تفاضلتْ فإنَّها تتشابه ... ولم يجدوا في شعر المحدَثين مُذْ عهدُ بشار أئمةٍ كأَئمتِهم ، ولا رُواةً كرُوَاتِهم ، الذين تجتمع فيهم شرُائطهم ، ولم يعرِفوا ما كان يضبُطُه ويَقُومُ به ، وقصَّرُوا فيه فجهِلوه فعادَوْه ، كما قال الله جل وعز : (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ) ، وكما قيل : الإنسانُ عدوَ ما جهِل ، ومَنْ جَهِل شيئاً عاداه))[٥] ، فبهذه الاستراتيجية – وهي المزاوجة بين الشواهد القرآنية وكلام العرب ـ تزيد في درجة الاقناع والتسليم ، وتكون سلطة الخطاب المتحققة اقوى تأثيرا واقناعا ويستلزم طاعتها ، لما تحيل هذه السلطة من مرجعية لا يمكن الطعن او التشكيك بها ، لأنّه استعمل دليلا ذا سلطـــــــــــة معروفة ،

---

(١) الحجاج مفهومه ومجالاته ، ج٢ : ١١٨٣ .
(٢) الحجاج مفهومه ومجالاته ، ج١ : ٢٩٥ .
(٣) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٥٤٠ .
(٤) الحجاج مفهومه ومجالاته ، ج١ : ٨٩٣ .
(٥) اخبار ابي تمام ، ص١٤ .

ومتفق عليها سلفا من قبل المعنيين ، فـ((اذا كان غرض البليغ نفي جهاله ، او توضيح فكره او تقرير رأي ، جزاه في اصـــابة غرضـــه الصـــحة والوضــــوح والمناسبة))[١] ، وهذا لا يكون الا بوجود مسلمات مرجعية تجعل السامع يذعن لها نتيجة لوضوحها وصحتها وحضورها في الاذهان باعتبارها ((القوة التي لا يملك اي عقل الا ان ينصاع لها من جهة ، ومن جهة اخرى كعلامة على صدق ذاك الذي يفرض نفسه كونه امرا بديهيا))[٢] ، لا يقبل التزييف والابطال ، فهذه الحجج المتواترة والمتوالية والمكرورة في معنى معين ومقصود – التي اتكأ عليها الصولي – ما هي الا حجج تسند دعواه ، وتبرر موقفه ازاء قضية ما او مجموعة قضايا لـ((تدعيم قاعدة وتوضيحها ، وربما تؤسس قاعدة))[٣] ، ويمكن القول أنّ الصولي في خطابه مع الاخر بهذه المسلمات (الحجج الجاهزة) ينطلق من مقدمتين :

(١) **المقدمة الكبرى** : والتي بنى عليها الصولي حواره مع الاخر وجعلها منهاجا / دليلا على صحة دعواه مفادها ((ان كل تكذيب ومعاداة اذا لم تكن خاضعة لدليل وبينة تبين سبب ذلك التكذيب والمعاداة ، فأنها توسم بالجهل لأنها تتخذ من استقباح الناس واستحسانهم قياسا دونما ضابط يضبط هذه الاقوال))[٤] ، وهذا ما تطرق اليه بيرلمان بقوله : ((ان الكلام غير المنضبط والكلام المستند الى المطلق قد يقودان الى اللاعقل والى التخريب والموت))[٥]كونها لا تستند الى دليل واقعي مسلّم به.

(٢) **المقدمة الصغرى** : والتي تبنى من المقدمة الكبرى باعتبار ان الاخيرة اعم واشمل لانّ ((الفروع لا محال راجعة الى اصولها .. وامور العالم ممزوجة بالمشاكلة ومنفردة بالمضادة ، وبعضها علة لبعض))[٥] ، فبالمقدمة الكبرى تضمر المقدمة الصغرى ، التي يستنتجها القارئ / السامع ،مفادها ان شعر ابي تمام لا يوجد عليه دليل بأنّه مخالف

---

(١) البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد، ص٢٠ .

(٢) حجاجية الخطاب في ابداعات التوحيدي ، ص١٧٨ .

(٣) الحجاج مفهومه ومجالاته ، ج٢ : ٨٠٩ .

(٤) خطاب الاخلاق والهوية في رسائل الجاحظ ، ص٤٨ .

(٥) بلاغة الاقناع في المناظرة ، ص٨٣-٨٤ .

(٦) خطاب الاخلاق والهوية في رسائل الجاحظ ، ص٤٧ .

على ما تعارف عليه العرب في قول الشعر او قرض قريضه ، فهي نتيجة مضمرة تدعو الى العلم والتبصر بشعره فاذا ما وظف المرسل الشاهد القرآني في خطابه الحجاجي فأنّه ((يكسب الخطاب سلطة رمزية تجعل المتلقي يذعن لمرامي المرسل ، حيث ان المرسل والمتلقي يفترضان في النص الديني انه اعلى نظريا من النص الشعري او غيره))(١) ، لأنها تمثل ((المرجعيات الثقافية التي تحظى بالنفوذ والمصداقية في الحقل الثقافي الذي ينتمي اليه المخاطب))(٢) .

٣- الشاهد الشعري :

١- يمثل الشاهد الشعري العلامة الفارقة لكل خطاب حجاجي يراد به الاقناع او الافحام ، لما ينماز به من خصوصية كونه ((قولا مأثورا وشاهدا يدخل في تركيب الخطاب الحجاجي بوصف الشعر هو الشاهد والحجة))(٣) ، فإذا لم يدرج او يتمثل المحاجج بكلام غيره بشاهد شعري فلا غرو أنْ يرد كلامه او يعاتب عليه ، لما يعد الشعر من حالة فطرية مجبول عليها الانسان او كما يسميها ارسطو : ((ميل مركوز في طبيعة البشر))(٤) ، شريطة أنْ يحكم هذا الميل المركوز والفطرة قانون ((الانتقاء ، فالمتكلم ينتقي مقدماته وحججه وينتقي ترتيبا من جملة تراتيب مختلفة وينتقي صوره بل تراكيبه والفاظه انتقاء يشي بحرصة الشديد على النفاذ الى مناطق المتلقي والفعل فيها))(٥) ، فيتوسمها المتكلم ويوظفها بالشكل المناسب لتحقيق مبتغاه في الاقناع والتأثير اي جعلها ((دعامة لعمليات الاقناع والافحام حيث يسعى الانسان من خلالها الى تمرير مواقفه لتغيير اعتقادات

---

(١) الحجاج مفهومة ومجالاته ، ج٢ : ١١٦٥ .

(٢) خطاب المناظرة في الادب الاندلسي ، ص٢٤٧ .

(٣) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداوليه ، ص٥٤٣ .

(٤) فن الشعر لارسطو طاليس ، مع الترجمة العربية القديمة ، وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد ، ترجمه عن اليونانية وشرحه وحقق نصوصه. عبدالرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية / القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص٤٠ .

(٥) الحجاج في الشعر العربي بنيته واساليبه ، ص٤٤٢ .

الاخرين))[١] ، من خلال الشاهد الشعري الذي عمل الصولي – نستطيع أنْ نقول – جاهدا على توظيفه وبقوة في خطابه ، لتغيير واقعا فكريا متوارثا اعتاد وسار عليه إذ أنّ ((الشعر يستدعي كحجة مرجحة وكشاهد عدل خلال المنافرة والمخاصمة))[٢] ، كقول الصولي – حينما اراد اثبات ان المتأخرين لهم نصيب في الاجادة والابداع كحال المتقدمين في قرض الشعر – : ((ولان المتأخَّرين إنما يجْرُون بريح المتقدمين ، ويصُبُّون على قوالبهم ، ويستمدُّون بلعابهم وينتجون كلامَهم ، قلما أخذ أحدٌ منهم معنًى من متقدمٍ إلا أجاده ... وشعرهُم مع ذلك أشبهُ بالزمان ، والناسُ له أكثرُ استعمالاً في مجالسِهم وكتبِهم وتمثُّلِهم ومطالِبهم وقد استحسن الناسُ – أعزَّك الله – لأمرئ القَيْس تشبيهَه شيئين بشيئين في بيتٍ واحد ، قالوا لا يقدر أحد بعدَه على أن يأتَي بمثله وهو قولُه في وصف عُقاب :

كأنَّ قلوبَ الطيرِ رَطْباً وَيابساً   لدى وكرِها العُنَّابُ والحشَفُ البالي

ولقد أحسن فيه وأجمل ، فقال بشار :

كأن مُثارَ النَّقْعِ فوقَ رُءوسِنا   وأسْيَافَنا ليلٌ تهاوَتْ كواكبهُ*

وهذا أعمى أكمهُ ، لم ير هذا بعينه قط ، فشبَّهه حَدْساً ، فأحسن وأجْمل))[٣] ، نتبين من نص الصولي إنّه ايد كلامه بالشاهد الشعري بكلام غيره (بشار بن برد) وجعله دليلاً على صحة كلامه وقوة حجاجية منطقية برهانية لذلك لـ((تغيير افكار المتلقي ومعتقداته والى دفعه الى تغيير وضعيته وسلوكه ومواقفه))[٤] ، ولا يكون ذلك الا بمراعاة وظيفة الاسناد فـ((المستشهد معني بالقيمة الاسنادية لهذه المقاطع الشـــعرية ، ومعني كذلك بمدى ملائمتها

(١) خطاب المناظرة في الادب الاندلسي ، ص٢٤٦ .

(٢) بلاغة الاقناع في المناظرة ، ص٢٣٩ .

(٣) اخبار ابي تمام ، ص١٧-١٨ .

(٤) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٥٤٣-٥٤٤ .

*ورد هذا البيت : كأنّ مُثارَ النّقع فوقَ رُؤوسهم   واسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكُبهُ

ديوان بشار بن برد ، جمعه وشرحه وكمله وعلق عليه ، محمد الطاهر ابن عاشور ، الجزائر ٢٠٠٧ ج١ : ٥٦ .

الاقناعية ...ويظهر مسنودا الى خلفيات معرفية ووجدانية))[1] ، وقوله ايضا : ((... وإن كان السَّبقُ للأوائل بحقِّ الاختراع والابتداء والطبِع والاكتفاء ، وأنه لم ترَ أعُينهم ما رآه المحدَثون فشبهوهُ عِياناً ، كما لم يرَ المحدَثون ما وصفوه هم مشاهدةً وعانَوْه مدةَ دهرِهم من ذِكر الصحارَى والبَرِّ والوحشِ والإبلِ والأخبية . فهم في هذه أبداً دونَ القدماءِ ، كما أن القدماءَ فيما لم يرَوْه أبداً دونَهم ، وقد بيَّنَ هذا أبو نُوَاس بقوله :

صفةُ الطُّلولِ بلاغةُ القَدْمِ   فاجعلْ صفاتِك لابنةِ الكرْمِ

ثم يقول فيها :

تصفُ الطُّلولَ على السَّماع بـها   أَفَذُو العِيَانِ كأنْت في الفهْمِ

وَإذا وَصفْتَ الشيءَ متَّبــــعاً   لم تخْلُ من زلَلِ ومِنْ وَهْمِ[2]

فالصولي حينما يستشهد بالشعر ، إنما اراد أنْ يثبت فكرته ويدحض من يشكك بقوله ، متخذا من (الاسناد والانتقاء) منهجا لذلك إذ إنّ ((انسجام المقال مع المقام شرط حجاجي جوهري))[3] ، إذ إنّ ((من ابرز مظاهر كفاءة المحاجج منهجه في بناء خططه القولية ورؤيته التي يؤسس عليها اختياراته في تقديم الفرضيات والمقدمات التي من حقها التقديم في مقام خاص ومع جمهور بعينه))[4] ، لـ((تقوية موقف او ترجيحه او نصره ، ومن ثم القيمة الاقناعية لهذا الشاهد))[5] ، من خلال ((اتساق مضامينها مع مضامين الافكار التي يسعى الى اثباتها او نفيها ومن ثمة كانت اضـافتها بحسب دعمها للمضامين المبلغة وترتيبها

---

(١) بلاغة الاقناع في الناظرة ، ٢٤١ .

(٢) اخبار ابي تمام ، ص١٦-١٧ .

(٣) الحجاج مفهومه ومجالاته ، ج١ : ٨٩٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٨٩٥ .

(٥) بلاغة الاقناع في المناظرة ، ص٢٤٢ .

بحسب خدمتها لهذه الوظيفة داخل السياق الذي ترد فيه))[١] ، اي أنّ ((النص الشعري ، ليس لعبا بالألفاظ فقط وليس نقل تجربة فردية فحسب ، إنّه يهدف كذلك الى الحث والتحريض والاقناع والحجاج ، وهو يسعى الى تغيير افكار المتلقي ومعتقداته))[٢] ، فـ((العمل العظيم هو العمل الذي ينجح في كشف التناقض بين المظهر والواقع))[٣] المعيش.

٣- **الحكم** : تعد الحكم من المسلمات التي يذعن لها السامع ويقابلها بالقبول والتأثير وخاصة إذا ((احتج بها كبير السن في خطابه كان قبولها اوسع وكانت حجة صادقة ، بل وكافية لان كبر السن وطول التجربة يجعلان منها ذات تأثير اقوى))[٤] ، إذ ((تزداد الرسالة المشحونة بخطاب متعال في قيمتها الابداعية كلما تمكن الباث من ارسال سلسلة وحدات خطابية ذات مدلول متجاوز للواقع الخالص ، متعال عن الحقيقة كما هي في وجودها الطبيعي))[٥] ، كقول الصولي : ((وما ضرَّ أبا تمام قولُ هؤلاء ، كما أنه لا يضُرُّ البحرَ أن يُقْذَفَ فيه حجر ، ولا يُنْقِصُ البدرَ أن ينْبَحه الكلبُ))[٦] ، فهذه الحكم لا ينطقها الا من درس الحياة وتفاعل معها وعاش متناقضاتها وتوقف عند كل جزئية منها ، فإذا ما جاش صدره بحكمة ما ثم نطق بها فإنما ينطقها بصفة عالم متبصر بها فتتناغم حكمته مع كل زمان ومكان اي أنّ ((الحكمة يمكن ان تصاغ حجة في سياقات متجددة تتقاطع مع السياق الاصلي لها ، وبخاصة اذا قبلها العقل السليم واعترف لها بالصواب))[٧] ، لأنّها تمثل ((الذاكرة الجماعية لامة من الامم ويختزل تجاربها في الحياة فيرويها الجيـــــــــــــــــل عن الجيـــــل

---

(١) الحجاج مفهومه ومجالاته ، ج٢ : ١٢٩١ .

(٢) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٥٤٣ .

(٣) تحليل الخطاب الادبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة ، دراسة في نقد النقد ، محمد عزام ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، مكتبة الاسد ، دمشق ٢٠٠٣ ، ص٢٤٥ .

(٤) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٥٤٢ .

(٥) التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون ، ص٣٥ .

(٦) اخبار ابي تمام ، ص٤٦ .

(٧) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٥٤٢ .

مجددا في كل عصر من العصور روح الحياة فيها))[1] .

(١) الحجاج مفهومه ومجالاته ، ج٢ : ١٣٤١ .

الفصـــــــل الثـــــــاني

الظواهر التداولية

المبـحث الاول : الاستلزام الحواري ومبدأ التعاون .

المبـحث الثانـي: الافتراض المسبــــــــق والقصد .

المبحث الثالث : الإشاريات والمقاصـــــــــــــد .

ترتكز هذه النظرية على الية مهمة تتخذها مرتكزا ترتكز وتتمحور عليها وهي الية اللزوم، فـ((اللزوم يفيد معنى الانتقال))(٣) ، اي ((الانتقال من معنى مباشر صريح الى معنى غير صريح او مستلزم حواريا))(٤) ، إذ لا يقتصر على المعطيات الظاهرة ، بل تتجاوزها بالانتقال الى المعنى غير المصرح به ، اي ((الاستدلال باللفظ على غيره او هي دلالة اللفظ على خارج معناه الذي وضع له))(٥) ، بمعنى أنّ ((التلفظ هو الذي يحدد دور الملفوظات التداولي ، ويسهـم في بيان دلالاتها ، وفي الـــــــــــــــــــكشف عن الـــــــــــــــــية الـــــــــــــــتعامـــــل اللغوي في السياقات المختلفة ، إذ يرتبط

---

(١) اللسان والميزان او التكوثر العقلي ، ص٨٨ .

(٢) الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة الى وضع القوانين الضابطة لها ، العياشي ادراوي ، منشورات الاختلاف ، دار الامان / الرباط ، ط١ ٢٠١١، ص٧ .

(٣) تحليل الخطاب في ضوء نظرية احداث اللغة دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والاقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القران الكريم ، محمود عكاشة ، دار النشر للجامعات مصر / القاهرة ، ط١ ٢٠١٣ ، ص٢٠٠ .

بسياق معين فيصبح فيصلا في بيان المرجعيات))[١] ،بمعنى أن((الخطاب يحتمل وجوها من المعنى والتأويل ، ولا يقف المعنى عند ظاهر اللفظ بل يتجاوزه الى التفكير والاستدلال والاستنباط))[٢] ، فالاستلزام الية تقوم على التفكير المنطقي ، إذ أنّ ((المنطق هو علم يبحث في قوانين اللزوم ... او هو علم اللزوم))[٣] .

تتحدد اهمية الاستلزام الحواري / التخاطبي فيما يتضمن من معنى غير معلن او مصرح به بحجة ((ان المتكلم يقول كلاما ويقصد غيره ، كما ان المستمع يسمع كلاما ويفهم غير ما سمع))[٤] ، وكأن المتكلم قصد المعنى غير المعلن او المصرح به ، فيلزم من المستمع / القارئ استنتاجه من خلال قرائن (سياقية – مقامية) تؤدي بالقارئ / السامع الوصول الى المعنى غير المصرح به والذي يكون ((اكثر خفاءً من لا يؤول الا بحسب معطيات الخلفيات المشتركة والسياق الذي قيل فيه القول))[٥] ، إذ أنّ ((السياق يعتبر عاملا مهما في تحديد محتوى القضـية لإمارات معينة من نقوش الكلام في مناسبات مختـلفة من

(١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ص٣٠ .

(٢) تحليل الخطاب في ضوء نظرية احداث اللغة ، ص١٩٠ .

(٣) اللسان والميزان او التكوثر العقلي ، ص٨٨ .

(٤) الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، ص٧ .

(٥) عندما نتواصل نغير، ص٤٨ .

النطق))[1] ، ولا يتم ((حصول عملية الافهام والفهم في السياق الا بالاتكاء على معرفة السياق))[2] ، تبعا لافتراضات مسبقة ، او ما هو مقصود ضمنا* ، بمعنى ان معنى الوحدة الكلامية يتجاوز ما يقال فعلا لحث المتلقي ((على اقتحام فضاءات النص))[3] ، وهو ما اسماه الفلاسفة وعلماء اللغة بـ((الافتراض المسبق من ان يشار اليه موجود وان له نوعا معينا او صنفا معينا))[4] ، ويكون ذلك بـ((معرفة السياق اللغوي وما فوق اللغوي وفهم معنى الجملة المنطوقة))[5] ، اي المعنى الكامن الذي قصده المتكلم ، شريطة أنْ ((يكون المتكلم حريصا على ابلاغ المخاطب معنى بعينة وان يبذل المخاطب الجهد الواجب للوصول الى المعنى الذي يريده المتكلم))[6] ، فـ((اذا حصل التطابق بين المصدر والهدف حصل التأثير ، وإذا انحرف المستمع عن فـــهم غـــــرض المتكلـــم لـــم يحصـــل التأثير

---

(١) اللغة والمعنى والسياق ، جون لاينز ، ص٢٢٣ .

(٢) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٢٣ .

(٣) اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة ، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي واشكالاته ، حافظ اسماعيلي علوي ، دار الكتاب الجديد ، بيروت / لبنان ، ط١ ٢٠٠٩ ، ص١١٤ .

(٤) اللغة والمعنى والسياق ، ص٢٤٨ .

(٥) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، ص١٤١ .

(٦) افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص٣٥-٣٦ .

* التضمين : يعني التعبير ما تتضمنه الكلمة من ايحاءات وتداعيات تحيط بها في تقابل مع المعنى الحرفي العاري ، اي مع ما تشير اليه ... واذا لم يستخدم الكاتب تلك المضمنات الاضافية في الكلمات تصبح كتابته مسطحة خالية من المذاق . معجم المصطلحات الادبية ، اعداد. ابراهيم فتحي ، طبع الثقافة العمالية للطباعة والنشر ، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين ، صفاقس / الجمهورية التونسية ، ١٩٩٨ ، ص٩٠-٩١ .

المقصود))[١] ، الذي يروم المتكلم الى ايصاله او اثباته من خلال ((القول الطبيعي* والذي يحمل نفس المعارف والاحكام والاعتبارات المشتركة بين الافراد الذين يشتركون في المقاصد والحاجات والذي لا يستطيع الخطاب العلمي بلوغها))[٢] .

تمثل نظرية الاستلزام التخاطبي واحدة من اهم الجوانب في الدرس التداولي ، فكان لظهورها على يد الفيلسوف الامريكي بول ١٩١٣-١٩٨٨ ، اثرا مهما في اثمار الخطاب الطبيعي (العادي) القائم على الحوار وضبطه وتقنينه وهذا ما اشار اليه سورل بقوله : ((ففي الخطاب الادبي عندنا مجموعة من ادعاءات (مثل ويجعلك تعتقد ... فالمتكلم ليس ملزما بصدق اخباره الادبي مثلما هو ملزم بصدق اخباره العادي))[٣] . نشأت هذه النظرية من نظريات سابقة عليها كان لها الدور الفاعل في اظهارها بالوجه الامثل على يد (كرايس) إذ ارتبطت ((بشكل اساس بنموذج من النماذج التداولية ، هو نموذج نظرية افعال الكلام ...التي مثلها كل من اوستن وسورل الذي اعاد كرايس صياغة النظرية وفق منظوره الخاص))[٤] ، إذ إنّ ((اهم التعاريف الحديثة التي قدمت بخصوص الاستلزام الحواري هي المعنى التابع للدلالة الاصلية للعبارة وما يرمي اليه المتكلم بشكل غير مباشر ، جاعلا مستمعه يتجاوز المعنى الظاهري لكلامه الى معنى اخر))[٥] ، يفهم من سياق الخطاب الطبيعي في مقام معين الغاية منه الافهام والفائدة من خلال هذه العملية التحاورية والتي تقتضي التفاعل بين طرفين او عدة اطراف شريطة أنْ تسير هذه العملية التفاعلية بين الاطراف المتحاورة على نغم منضبط حسب قواعد الخطاب ، لتحقيق الغاية المرجوة وهي (الافهام والفائدة) ، وهذا ما اشار اليه طه عبدالرحمن في كتابه اللسان والميزان بقوله : ((اعلم ان التخاطب هو اجمالا الكلام الملقى من جانبين بغرض افهام كل منهمــــــا الاخر

---

(١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص١٦ .

(٢) (ينظر) اللسان والميزان او التكوثر العقلي ، ص٣٦ .

(٣) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، ص١٤٥ .

(٤) الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، ص١٠ .

(٥) المصدر نفسه، ص١٨ . (الهامش) .

مقصودا مخصوصا ، ولما كان التخاطب يقتضي اشتراك جانبين عاقلين في القيام به ، لزم ان ينضبط كلام احدها للآخر بقواعد تحدد وجود فائدته))[1] ، وهذا مـــــــا ذهب اليـــــــه (كرايس) بـــأنّ ((القواعد العادية للحوار تشكل مبادئ تتم الاستجابة لها بوحي من العقل وعن اقتناع بضرورة التشبث بها اثناء كل مساهمة حوارية ، اذ هي الضابط للحوار في المقامات العادية))[2] ، ويكون ذلك من خلال (التواصل) لأنّه ((نشاط اجتماعي يتم بين طرفين او اكثر ، ويكون منظما حسب مقتضيات اللغة المستعملة فيه ، وذلك لتنسيق علاقات الناس))[3] ، إذ أنّ ((الهدف الاساس الذي يرمي اليه المتخاطبان هو خلق تواصل فيما بينهما لأجل احداث تغييرات في معلوماتهما وذلك لا يمكن ان يتم الا بوجود قدرة تواصلية))[4] ، تعمل عملها لدى المتخاطبين تبعا لظروف ومقامات معينة والطريقة التي يأتي بها الخطاب إذ اسقط كرايس ((الجانب التهذيبي من اعتباره واكتفى فقط بجانب التبليغ في التحاور))[5] إذ ركز على ما تضمره السياقات من معانٍ مضمرة* (المعاني المستلزمة) والتي يتطلب من المستمع استنتاجها ((والتوصل اليها بعد القيام بعملية استدلالية تصبح معها البنية اللغوية الظاهرة للملفوظ مجرد معبر للوصول الى ما يقصد اليه المتكلم بشكل غير مبـــــاشر . وعليـــــــه فأنّ مـــــا يضمـــــن نجاح هذه

---

(١) اللسان والميزان او التكوثر العقلي ، ص٢٣٧ .

(٢) الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، ص١٠٢ .

(٣) استراتيجات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص١٠ .

(٤) الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، ص٢٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ص١١٨ .

*القول المضمر : مصطلح اسلامي اصيل استخدمه الاصوليون والمفسرون والبلاغيون اذ قسم الاصوليون دلالة اللفظ على المعنى الى منطوق ومفهوم ، فالمنطوق ما دل عليه اللفظ في محل النطق ... فالمطابقة والتضمن تدخل فيه دلالة اللفظ على ما وضع له بالمشاركة او الاستقلال ، ويخرج منه ما لم يوضع اللفظ له ، ويلزم مما وضع له فيدل عليه بالالتزام ... تحليل الخطاب في ضوء نظرية احداث اللغة ، ص٢٠٧ (الهامش) . فالاصوليون لم ينظروا الى الخطاب مجردا عن صاحبه وعن متلقيه وعن وجوه العلاقات بين صاحب الخطاب والمخاطب،بل نظروا اليه في نطاق استعماله وتداوله... ومعرفة =

العمـــــــــلية هو توفر شرط القصد من طرف المتكلم من جهة وشرط قدرة المخاطب على الادراك من جهة ثانية))[١] ، من خلال معرفة اللغة وما تدل عليه لان الملفوظ لا يدل مباشرة على المعنى الضمني للخطاب ، وانما يستدل عليه المتلقي من خلال التأمل في اللفظ والاستنباط إذ أنّ ((الاقوال تدل على جانب من معانيها بصيغها ، ومنظومها ، او بفحواها ، او بأقتضائها وضروراتها))[٢] ، ((لان المتكلم قد يريد قول شيء اخر لم يقله بالفعل ومع ذلك ممكن له مبدئيا ، ان يقول ما ينوي ابلاغه))[٣] ، لإيصال الفكرة التي يريد المخاطب ابلاغها والتعبير عن مقاصده ولأجل ((هذا اعتمد كرايس على فرضية مؤداها ان القصد قصد مركب وانعكاسي ، يتمثل في سعي المتكلم ابلاغ المخاطب امرا بجعله يتعرف على قصده))[٤] ، وابلاغه اياه من خلال محددات سياقية – نصية مقامية تؤدي بالسامع / القارئ الى ترجمة هذه المقاصد التي يرمي المتكلم الى ايصالها / ابلاغها . بمعنى ((ان القارئ لا يقوم فحسب بعملية ترجمه للبيانات الواردة دلاليا في النص ، بل هو الذي يضع لها نوع الاطار الذي يراها من خلاله))[٥] ، لذلك ركز كرايس على اللغات الطبيعية مبتعدا عن اللغات الادبية ، متأثرا بأتجاهه لما ذهب اليه اوستن وسيرل اذ نعت(اوستن) الكلام الادبي وخاصة الشعر بـ((الاعمال الطفيلية))[٦] ، امـــا سيرل فقد نعت القول الادبي وخاصـــة

= المكان لمقاصد المخاطب ، فان اول ما يقوم به الاصولي هو النظر في حقيقة الخطاب ومعناه . الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، ص٤٢-٤٣.

(١) الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، ص١٣٣-١٣٤ .

(٢) تحليل الخطاب في ضوء نظرية احداث اللغة ، ص٢٠٢ .

(٣) الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، ص٨٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ص١٠١ .

(٥) بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص٣١١ .

(٦) التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ص٣٧ .

(الشعر) بأنّ فيه ((قواعد معطلة تنطبق اصطلاحا على الجمل التخييلية ... ونرى كيف يمكن لقائل جملة تخييلية ان يحقق مقصده في ادعاء القول دون نية مغالطة مخاطبه))[١] ، بمعنى ان الخطاب الشعري – حسب قول اوستن وسيرل وتبعهم بذلك كرايس – لا يتصل بالواقع ويكون مبنيا على الخيال والوهم ، يخالفه بذلك التعبير العادي كونه ناشئا من الواقع ، ولكن هذه النظرة غير الموضوعية حيال اللغة الادبية ، طالما تغيرت إذا علمنا إنّ مجمل النظرية الاستلزامية ، مبنية على الوظيفة الانفعالية والتعبيرية المتصلة بالواقع ، وهي جوهر ما يمثله الشعر لانّ الخيال الشعري يكون محتويا على واقع او جزء من واقع معاش ، او يكون خرقا لهذا الواقع ، لما يمثل (الشعر) من افكار جديدة وهو ما جعل سيرل وتبعه بذلك كرايس أذ ينفتح على الخطاب الادبي بـ((وضع مفاهيم اجرائية مفيدة لدراسة النص الادبي وبخاصة في كتابه (المعنى والتعبير والمقصدية) ، كما نجد لدى كرايس مفهوم (التضمين) الذي يتيح الفرصة للبحث عن التشاكل الجامع وترابط الكلام بعضه ببعض ، رغم ما يتعرضه من انقطاعات وثغرات))[٢] ، لتجاوز التعبير الظاهري الى ما يقتضـــــــــــيه وما يحـــــــــــوي اليه فالاقـــــــــتضاء هــــو : ((قضيــة معبر

(١) التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ص٣٨-٣٩ .

(٢) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، ص١٤٦ .

عنها بواسطة قول دون ان تحتويها منطقيا القضية المعبر عنها))[١] ، فمفهوم (الاستلزام) اقرب الى مفهوم (الاقتضاء) من خلال انبناء شيء على شيء ، وهذا ما ذهب اليه طه عبدالرحمن بقوله : ((اللزوم يفيد معنى الانتقال ، اذ نقول :لزم شيء من شيء ، اي تولد منه بنقلة مخصوصة ؛ كما انه يستعمل بصدد الاقوال فيقال (لزم عن قوله كذا) ويسمى القول الذي لزم منه قول اخر بـــ(الملزوم) ويسمى هذا القول الاخر بـــ(اللازم) ويفيد اللزوم كذلك معنى (الاقتضاء) ، الذي يتضمن مدلول (الطلب) ؛ فإذا لزم شيء ، من شيء ، فقد اقتضاه هذا الشيء وطلبه))[٢] ، لانّ لكل خطاب هدفاً وبهذا الهدف تتحدد الملفوظات ، اذ أنّ ((الهدف هو القوة الدافعة التي تقف خلف التواصل الانساني وبالتالي فالهدف يؤثر في انتاج الملفوظات ، كما يؤثر كذلك في تأويلها))[٣] ، تبعا لاستراتيجية معينة مخطط لها مسبقا من قبل المخاطِب ، تتلاءم ونوع الخطاب الذي ينشأ فيه ذلك الخطاب لانّ ((الكلام يتألف من تتابع خطي من الكلمات والتعبيرات ، يجب على المتكلم بصورة دائمة بناء خطة للتعبيرات الكلامية حتى يقرر ما يقوله وكيف يقوله))[٤] ، فيكون الاقتضاء والذي عبر عنه كرايس بانّه : ((ما الذي عناه المتكلم ولم يقله))[٥] ، مطابقا للواقع وتتوقف دلالته بـــ((تقديره على صدق الكلام او صحته لغة او عقلا او شرعا او عرفا))[٦] ، بدليل يدل عليه او يرشد اليه من خلال القول السابق ، فالاقتضاء ((هو ما ينبغي قبوله في التواصل حتى يـــــــتسنى

---

(١) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، ص١٤٣ .

(٢) اللسان والميزان او التكوثر العقلي ، ص٨٨ .

(٣) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص١٤٩ .

(٤) تساؤلات التداولية وتحليل الخطاب ، ص٦٩ .

(٥) افاق تداولية ،ج١:١٣٧.

(٦) تحليل الخطاب في ضوء نظرية احداث اللغة ، ص٢٠٩ .

للمتخاطبين ان يتواصلوا))[١] ، وهذا ما اكده ديكرو حول الاقتضاء بقوله : ((فليس الاقتضاء هو ما يضمن استمرار الخطاب وحسب ، بل أنّ القائل وهو ينتج عملا متضمنا في القول اخباريا ينجز بصفة ثانوية عملا متضمنا في القول اقتضائيا ، اي عملا متقنا اصطلاحيا في اللغة))[٢] ، ولا يكون هذا التواصل متحققا وفاعلا فيما بين المخاطبين الا إذا عرفت مقاصد المتكلم وما يحيل اليه ، ومدى استجابة المتلقي / السامع وقدرته الذهنية على التفسير واستنتاج المقاصد ، وهذا ما صرح به فريغ وراسل ان ((الاقتضاء يمثل شرطا للمحتوى))[٣] ، فـ((مقصدية المتكلم اذن ، هي العلة في توجيه الخطاب وفي جعله يصطبغ بلون معين))[٤] ، ((وصولا الى البؤرة الاصلية وسعيا الى اقامة المغزى الكلي للنص))[٥] ، وهذا ما صرح به كرايس الذي يلمح الى ((ان التعبير وادراك المقاصد هو السمة الجوهرية في معظم التواصل البشري))[٦] ، فعملية ادراك هذه المقاصد ناشئ من خلال المعارف المسبقة ، والتي يشترك بها المتكلم والمخاطب في الخطاب التواصلي ، إذ يحتوي مفهوم الاقتضاء والاستلزام الحواري على مقاصد ضمنية ، فـ((دلالة المفهوم او الدلالة المضمرة المسكوت عنها تعرف بمقتضى دلالة المذكور عليها ، فالمضمر او المسكوت عنه او المحذوف للعلم به او لتضمنه في المذكور ، يفهم من الظاهر والسياق والمقام ، وهو للإيجاز وللإثارة ولأعمال الذهن ، وقد يكون ابلغ من الذكر))[٧]،على اعتبار انّ((العديدمن العبارات اللغوية يتغيرمعناها بحسب السياق الذي تستـــــــتعمل فيـــــــه الامـــــــــــر

---

(١) التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ص٤٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٤٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٤٨ .

(٤) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجيات التناص) ، ص٥٩ .

(٥) النص الشعري واليات القراءة ، فوزي عيسى ، دار المعرفة الجامعية ، كلية الآداب / جامعة الاسكندرية ، ٢٠٠٦ ، ص٨ .

(٦) افاق تداولية ، ج١ : ٥٢ .

(٧) تحليل الخطاب في ضوء نظرية احداث اللغة ، ص٢٦٠ .

الذي يجعلها تفيد (معنى اضافياً)))[١] ، فيشترك مفهوما (الاقتضاء والاستلزام) على هذه المقاصد الضمنية ، والتي تندرج في كل خطاب تواصلي يقوم باستنتاجها السامع / المتلقي من خلال الدلالة الحقيقية لمضمون الكلمات وما تحيل اليه وايضا ما للسياق من دور بارز في تحديد هذه المقاصد الضمنية والتوجيه اليها . اما الفرق بينهما فهو أن الاستلزام يتولد من خرق لمبادئ الحوار الاربعة التي حددها كرايس ، اما في الاقتضاء فلا يشترط ذلك . فهذه المسلمات / المبادئ الحوارية ((تقود سير التحاور – في اللغات الطبيعية – مجموعة من الافتراضات والتقديرات مهمتها انها توجه الاستعمال اللغوي الحواري الفعال نحو تحقيق اهدافه التعاونية))[٢] ، ويكون ذلك عبر مبدأين :

أ- **مبدأ التعاون :** اقترح كرايس ١٩٧٥ نظريته المحادثية التي تنص على ان : ((التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام (مبدأ التعاون) (بمسلمات حوارية) . وينهض مبدأ التعاون على اربعة مسلمات :

١- مسلمة القدر : تخص قدر (كمية) الاخبار الذي يجب ان تلتزم به المبادرة الكلامية وتتفرع الى مقولتين :

أ- لا تجعل مشاركتك تفيد اكثر مما هو مطلوب .

ب- اجعل مشاركتك تفيد القدر المطلوب من الاخبار .

٢- مسلمة الكيف: ونصها : ((لا تقل ما تعتقد انه كاذب ، ولا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه)) .

٣- مسلمة الملاءمة : وهي عبارة عن قاعدة واحدة : ((لتكن مشاركتك ملائمة)) .

---

(١) الاستلزام الحواري في التداول اللسان ، ص٢٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٩٨ .

٤- مسلمة الجهة ، التي تنص على الوضوح في الكلام وتتفرع الى ثلاث قواعد فرعية :
أ- ابتعدْ عن اللبس .
ب- تحرْ الايجاز .
ت- تحرْ الترتيب .))[١] .

فتوجد في نظرية كرايس استلزامان (استلزام عرفي نموذجي – استلزام حواري/ خطابي

١- استلزام عرفي :

وهو إذا لم يخل المخاطب بأحد هذه المبادئ الحوارية في اثناء المحاورة اصبح الحوار نموذجيا خاليا من اي استلزام او معنى ضمني فـ((اطلاق الالفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة))[٢] ، فاذا ما راعى المخاطب الصدق والاخلاص في القول اتى خطابه خاليا من معنى استلزامي . وهذا المبدا اقره كرايس في أنّ ((المتخاطبين المساهمين في محادثة مشتركة يحترمون مبدا التعاون فالمشاركون يتوقعون ان يساهم كل واحد منهم في المحادثة بكيفية عقلانية لتيسير تأويل اقواله))[٣] ، وهو ما اسماه (كرايس) استلزام عرفي الذي يقوم على ((ما تعارف عليه اصحاب اللغة من استلزام لبعض الالفاظ دلالات بعينها لا تنفك عنها مهما اختلفت بها السياقات وتغيرت التراكيب))[٤] ، كقول الصولي: ((حضرتُ باب علي بن عيسى الوزير ومعي جماعة من أجلاء الكتاب فقدمت دواة وكتبت:

خلفت على باب ابن عيسى كأننــــي (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنـزلِ)

اذا جئت أشكو طول فقري وخَلَّتـي (يقولون لا تهلك أسىً وتجمَّــــــلِ)

ففاضت دموع العين من قُبح ردَّهم (على النحر حتى بلَّ دمعي محْمَلي)

---

(١) التداولية عن العلماء العرب ، ص٣٣-٣٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٤١ .
(٣) التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ص٥٥ .
(٤) افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص٣٣ .

لقد طال ترددادي وقصدي إليهـــــم (فهل عند رسمٍ دارس من مُـــعوَّلِ)

فنُمي الخبر اليه فاستدعاني وقال : يا صولي :

فهل عند رسمِ دارسٍ من معوَّلِ !

فاستحيتُ وقلت : أيَّد الله الوزير ، ما بقي شيء ، وأنا كما ترى ! فأمر لي بخمسة آلاف ، فأخذتها وانصرفت))[١] .

نلاحظ أنّ الصولي في خطابه التواصلي مع الوزير (ابن عيسى) نقل معاناته وما يجول في خاطره من طلب للمال بصورة واضحة دونما خرق لاحد هذه المبادئ الحوارية وهي (القدر – الكيف – الملاءمة – الجهة) ، فاذا ما ادمجت هذه المسلمات في الخطاب اصبح هذا الخطاب نموذجيا لوضوح المقصد وعدم جر السامع الى التأويل والتفسير لمعرفة هذا المقصد ، مما يؤدي في بعض الاحيان الى اللبس والمغالطة ، من خلال خرقه لاحد هذه المبادئ الحوارية ، فعمد الصولي الى تبيان مقصده وجعله بارزا على سطح خطابه التواصلي فـ((انسجام نص ما او خطاب يعتمد على قدرة المتكلم على امتلاك وحدة موضوعاتية ... يعتمد على العلاقات الخطية بين الجمل المتجاورة اي على الاتساق بين ازواج العبارات المتتابعة))[٢] ، شريطة أنْ يكون هذا الاتساق بين هذه الجمل المتتابعة محكوما بالصدق والاخلاص ، فجاء جواب الوزير (ابن عيسى) مطابقا لما جاء به الصولي حينما قال : (فهل عند رسم دارس من معولِ) ، لان خطاب الصولي يفصح عما المَ بهِ بصدق دون لبس او غموض ، فقال له الوزير : (فهل عند رسم دارس من معولِ) . واما قول الصولي : (ما بقي شيء وانا كما ترى) ، هي اشارة لكلامه السابق بقوله : (اذا جئت اشكو طول فقري وخلتي) ، اي ما بقى شيء من المال وانا فقير كما ترى ، فالصولي لم يخرق قواعد التحاور لأنه ذكر المبهم في سابق خطابه ، فتكون المبادئ الحوارية الاربعة تتطابق مع خطاب الصولي التواصلي. فـــــــفي خطـــــــــابه المتـــــــــمثل بالأبيــــــــات الشـــــــعري ما هـــــــــي الا مـــــقدمـــــات منطقيـــــة

(١) اخبار البحتري ، ص٢١ .

(٢) تساؤلات التداولية وتحليل الخطاب ، ص٦٧ .

للنتيجة التي اراد عرضها وتبيينها للوزير (ابن عيسى) ، وهي (الفقر والفاقة / خلتي) باعتبارها – المقدمات المنطقية – ((عملية منطقية تنطلق من عدد معين من المعلومات المعروفة (المقدمات المنطقية) لتتولد منها نتيجة او نتائج جديدة))(١) ، فتعد الابيات الشعرية مقدمات منطقية للحوار فيما بين الوزير والصولي ، والذي يتطابق خطابه مع المبادئ الحوارية دون الاخلال او الخرق لاحد هذه المبادئ ، ومرد ذلك هو الحالة التي جاء بها خطاب الصولي ، إذ جعل المؤوِل (ابن عيسى) بنفس القيمة والقدر فالتجأ بذلك (الصولي) الى الالتماس ((ووفق شروط نجاح الالتماس فانه على الشخص الذي نتوجه اليه بالكلام ان يكون قادرا على انجاز العمل المطلوب))(٢) ، والتي اطلق عليها كرايس استلزام محادثي والتي تتأسس على مبدأ التعاون والتي تتطلب من المتحدثين أنْ يجعلوا ((مشاركتهم في المحادثة على الصورة التي يتطلبها في المرحلة الواقعه فيها الغرض المقبول او اتجاه تبادل الحديث الذي يشتركون فيه))(٣) .

٣ – استلزام حواري / خطابي :

يمكن القول أنّ النظرية قائمة على هذا الاستلزام الحواري ، كونه يمثل قطب الرحى لهذه النظرية ، والشريان النابض لها ، لانّ المبدأ الاول وهو (الاستلزام العرفي / النموذجي) لا يوجد ما يستلزم ان يكون فيه معنى ضمني ، يحاول المؤوِل اكتشافه او استنتاجه لانّ دلالة الخطاب تطفو على السطح ، اما الاستلزام الحواري فانه قائم على ((انتهاك مبادئ الحوار* ، هو الذي يولد الاستلزام ... وعلى ذلك اذا انتهك المتكلم مبدا من مبادئ الحوار ادرك المخـــاطب

(١) التداولية اليوم علم جدي في التواصل ، ص٦٢ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٩ .

(٣) افاق تداولية ، ج١ : ٩٣ .

*نظرية الحوار : وهي نظرية يقصد بها انسجام الكلام وترابطه وتعير اقصى الاهتمام للخلفية المعرفية في عمليتي انتاج الخطاب او تلقيه ، ومعنى هذا ان الذاكرة تقوم بدور كبير في العمليتين معا ، ولكنها لا تستدعي الاحداث والتجارب السابقة كلها في تراكم وتتابع ، وانما تعيد بناءها =

اليقظ ذلك وسعى الى الوصول الى هدف المتكلم من هذا الانتهاك))[١] ، فـ((هي مبادئ تأويل اكثر من كونها قواعد معيارية او قواعد سلوك وعلى مخاطبه في هذه الحالة القيام بفرضيات تمكن من تفسير انتهاك القواعد))[٢] ، إذ إنّ ((اهم مميزات الاستلزام – من حيث كونه الية من اليات انتاج الخطاب – إنّه يقدم تفسيرا صريحا لقدرة المتكلم على ان يعني اكثر مما يقول بالفعل ، اي اكثر مما تؤديه العبارات المستعملة))[٣] ، ويكون ذلك معتمدا على الموؤِل وكيفية تفسيره / تأويله لهذا الخطاب والتي سماها (كرايس) بـ(استراتيجية الموؤِل) ، والتي تعتمد على المعارف المشتركة بين المتخاطبين إذ إنّها ((تتعلق بتأويل الملفوظات والخطاب وتجعل تأويل الخطاب مرتبطا بتأويل الملفوظات بشكل حاسم))[٤] ، والتي قال عنها دينات والتي سماها بـ(علم النفس الجمعي) بانها ((ليست النقطة الاساسية فيما نقدمه من اعتقادات ورغبات خاصة بالأشياء ، التي نجد فيها تمثلات داخلية فقط ، ولكن بالأحرى اننا عندما نكشف موضوعا حيث تشتغل الاستراتيجية القصدية ، نبحث في تأويل بعض من هذه الحالات الداخلية بأعتبارها تمثلات داخلية))[٥] ، وهذا يتطلب من المتلقي / السامع ادراك الفكرة التي يروم المتكلم التعبير / الافصاح عنها ، طبقا لخياله وتجربته وثقافته ومعرفته بشخصية المتكلم ، مما ينتج تواصلا بين المتكلم والمتلقي حول المعلومات الي يتبادلانها ، وهو ما اسماه (كريماس) بـ(العقد القولي) ، اي توجد ((بداية هيأه ايديولوجية للإعلان عن الحـــــدث وفي النـــــهاية هيـــــأه جديـــــدة

= وتنظيمها وابراز بعض العناصر منها واخفاء اخرى تبعا لمقصدية المنتج والمتلقي . تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، ص١٢٤ . فهو ((توزيع لكل خطاب الى لحظتين ، توجدان في علاقة خالية)) ، المقاربة التداولية ، ص٨٥ .

(١) افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص٣٥-٣٦ .

(٢) التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ص٥٧ .

(٣) الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، ص١٩ .

(٤) تساؤلات التداوليه وتحليل الخطاب ، ص٩٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٩٥ .

لتفسيره ومماثلته مع المكون القيمي الذي تتحكم فيه))[١] ، بمعنى أنّ ((المرسل يبحث عن افضل طريقة لينتج خطابا يؤثر به في المرسل اليه ، كما ان المرسل اليه يبحث عن افضل كيفية للوصول الى مقاصد المرسل كما يريدها عند انتاج خطابه لحظة التلفظ ... وفقا لعناصر السياق))[٢] ، إذ إنّ الخطاب يتضمن معنى غير مصرحٍ به ، مما يؤدي الى خرق لمبادئ الحوار التي نادى بها (كرايس) ، فيستلزم وجود قضية / قضايا غير مصرح بها كقول الصولي : ((حدَّثني أبو العباس عبدُالله بنُ المعتز قال : جاءني محمد بنُ يزيد المبرّد يوماً فأفضْنا في ذكر ابي تمام ، وسألته عنه وعن البحتري ، فقال : لأبي تمام استخراجاتٌ لطيفة ، ومعانٍ طريفةٌ ، لا يقولُ مثلها البحتريُّ وهو صحيحُ الخاطر ، حَسَنُ الانتزاع ، وشعرُ البحتريِّ أحسنُ استواءً ، وأبو تمام يقولُ النادرَ والباردَ ، وهو المذهبُ الذي كان أعْجَبَ إلى الأصمعي ، وما أُشبّهُ أبا تمام إلا بغائص يُخرج الدُرَّ والمخْشلَبَة ، ثم قال : واللهِ إن لأبي تمام والبحتري من المحاسن ، ما لو قِيسَ بأكثر شعر الأوائل ، ما وَجد فيه مثُله) قال أبو بكر : وقول أبي العباس المبرّد : ما أشبّهه إلا بغائص ...) فإنما أخذه من قول الأصمعي في النابغة الجعدي : تَجِدُ في شعره مُطرَفاً بآلاف ، وكساءً بوافٍ))[٣] .

نجد في نص الصولي خرقا لأكثر من مبدأ :

١- خرق لمبدأ الكم : والذي ينص : ((اجعلْ اسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون ان تزيد عليه او تنقص منه))[٤] ، من خلال ضخ كمية كبيرة من المعلومات ، التي لا تتـــــــــلاءم مع المساهمة الحـــــــوارية فيما بين المتــــــــحاورين ، وذلك عندما

---

(١) مدخل الى السيميائية السردية والخطابية ، تأليف. جوزيف كورتيس ، ترجمة. جمال حضري ، منشورات الاختلاف ، الدار العربية للعلوم ناشرون . الجزائر العاصمة / الجزائر ، ط١ ٢٠٠٧ ، ص٤٢ .

(٢) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٢٤ .

(٣) اخبار البحتري ، ص١٦٤-١٦٥ .

(٤) افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص٣٤ .

ينقل الصولي الحديث الذي جرى بين (المبرد و ابي العباس عبدالله بن المعتز) حينما سئل الاخير عن ابي تمام والبحتري ، فما كان جواب (المبرد) الا بضخ كميات كبيرة من المعلومات ، والتي لا تتلائم مع سؤال السائل . وهذا الخرق لمبدأ الكم استلزم دلالة أنّ ابا تمام والبحتري بنفس المستوى من حيث الاجادة والابداع في قول الشعر ، بدليل قول (المبرد) : (والله ان لابي تمام والبحتري من المحاسن ما لو قيس بأكثر شعر الاوائل ما وجد فيه مثله) .

٢- خرق لمبدأ الكيف : التي تنص : ((لا تقل ما تعتقد انه غير صحيح ، ولا تقل ما ليس عندك دليل عليه))[١] ، فنجد أنّ المبرد قد خرق مبدأ الكيف الذي يتطلب قول الصدق او القول بالدليل على صحة قوله حينما شبه المبرد ابا تمام (بغائص) بقوله : (وما اشبه ابا تمام الا بغائص) ، ((وهو قول مأخوذ من قول الاصمعي في النابغة الجعدي : (خمار بواف ، ومطرف بآلاف) : يريدون ان في شعره تفاوتا ، فبعضه جد مبرز . وبعضه رديء ساقط))[٢] ، وهذا الخرق لمبدأ الكيف استلزم إنّ شعر ابي تمام ليس كله جد مبرز ، وانما تشوبه الرداءة والضعف وهو يتنافى مع كلام المبرد السابق ، بوصف شعر ابي تمام بـــ(الدر والمخشلبة) ، وايضا ان المبرد ت٢٨٥هـ هو ((امام البصرة في العربية والنحو في عصره))[٣] ، إذ لا يوجد رابط يربط بين اللغة والنحو والمعرفة بالشعر (جيده ورديئه) ، وهذا ما جر الصولي متسائلا بقوله : ((أتُراهم يظُنون أنَّ مَن فسَّر غريبَ قصيدةٍ ، أو أقام إعرابَها ، أحسن أن يختار جيِّدها ، ويعرف الوسطَ والدونَ منها ، ويميزَ ألفاظَها ؟ وأيُّ أئمتِهم كان يُحسِنه ؟))[٤] ، وايده بـــــــذلك ابــــــــن

---

(١) افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص٣٤ .

(٢) اخبار البحتري ، ص١٦٥ . (الهامش)

(٣) اخبار البحتري ، ص١ .

(٤) اخبار ابي تمام ، ص١٢٧ .

رشيق القيرواني ت٤٥٦هـ بقوله : ((لا يكون عالما بالشعر جيده ورديئه بمجرد كونه نحويا من غير خوض في معاني الشعر والفاظه))[١] ، نتبين إن اجابة ابن رشيق هذه لا دليل على صحتها سوى (اخذه من قول الاصمعي في النابغة الجعدي) ، والذي عممه على شعر ابي تمام ، لكن الادلاء بقول الاصمعي ، كان يقصد (المبرد) من ورائه إنّ شعر ابي تمام ليس كله جد مبرز فيستلزم عدم الاخذ او الاستشهاد بجميع شعره ، كون فيه الضعف والرداءة . وهو خرق لمبدأ الكيف ، وخرق للصدق ، بدليل قول المبرد نفسه : ((أنا أُعاشرُ الكتّابَ كثيراً وخاصةً أبا العباس ابن ثَوابةَ ، واكثَرُ ما يجري في مجالِسهم شعرُ أبي تمام ولستُ أعلمه ...))[٢] . فـ((مقصدية المتكلم هي العلة في توجيه الخطاب وفي جعله يصطبغ بلون معين))[٣] ، فعملية ((التحليل على ضوء مفهوم خرق قواعد الانتقاء ينبهنا الى التعابير المجازية بصفة عامة))[٤] ، ((وتقدم الاقوال المجازية والاستعارية والتهكم والسخرية ، شواهد على الاستلزامات الحوارية التي تحصل تبعا للإخلال بقاعدة او قواعد حوارية))[٥] ، وستقتصر دراستنا على بنية المجاز والمفارقة :-

---

(١) العمدة في صناعة الشعر ونقده ، ابو علي الحسن ابن رشيق القيرواني ت٤٥٦هـ ، تحقيق محي الدين عبدالحميد ، ط٣ . مطبعة السعادة / القاهرة ١٩٦٣ .ج١ : ١٧١ .

(٢) اخبار ابي تمام ، ص١٥ .

(٣) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، ص٥٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ص١١٦ .

(٥) الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، ص١١٦ .

اولا :- الاستلزام التخاطبي في بنية المجاز : ينشأ الاستلزام التخاطبي فيما يمكن ((تقديره والمراد ان المخاطب يقوم بخطوات محسوبة يتجه بها خطوة خطوة الى الوصول الى ما يستلزمه الكلام))[١] ، كقول الصولي : ((ومن أعجب العجَب ، وأفظِع المُنكر ، أن قوماً عابوا قولَه :

كأنَّ بَني نَبْهانَ يومَ وَفاتهِ   نُجومُ سماءٍ خرَّ مِنْ بَيْنهِا البدرُ

فقالوا : أراد أن يمدحَه فهجاه ، كأن أهْلَه كانوا خاملين بحياته ، فلما مات اضاءوا بموته ، وقالوا : كان يجب أن يقول كما قالَ الخُريميُّ :

إذا قمرٌ مِنهم تَغَوَّرَ أَوْ خبَا   بَدا قمرٌ في جانبِ الأُفْقِ يَلْمَعُ

... ((وفي هذا كفايةٌ لمن خلع ثوبَ العَصبيَّةِ وأنصف من نفسِه ، ونظر بعينِ عقله ، وتأمَّل ما قلتُ بفكرِه ؛ فإن القلب بذِكْرِه وتخيُّله أنظَرُ من العينِ لما فَقدَتْه ورأتْه))[٢] .

نلحظ إنّ نص الصولي قائم على مقام تواصلي اساسه التعاون الخطابي ، ولكن هذا التعاون الخطابي خُرِقَ لأكثر من مبدأ منها :

١- مبدأ الكم : ((اجعل اسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون ان تزيد عليه او تنقص))[٣] ، إذ جعل الصولي اجابته لا تتلاءم مع قول القائل في الكمية والمقدار لأنه بالغ في إجابته بكثرة الشواهد والادلة ، وهذا يتنافى مع الاساس التعاوني ويعد خرقاً لمبدأ الكم .
٢- مبدأ الطريقة : ((كن واضحا ومحددا : فتجنب الغموض

---

(١) افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص٣٩ .
(٢) اخبار ابي تمام ، ص١٢٥-١٣٧ .
(٣) افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص٣٤ .

وتجنب اللبس واوجز ورتب كلامك))[١] .

إذ عمد الصولي الى بنية المجاز بقوله : (... لمن خلع ثوب العصبية ، وانصف من نفسه ، ونظر بعين عقله ، وتأمل ما قلت بفكره ...) ،إذ نرى فيها كلها مجازا ، إذ فيها خرق للعادة التعبيرية ، لـ((لاثارة والتأثير واعمال الذهن والتخيل والتصوير ، وله اثره القوي في تجسيد المعنى وتبيينه))[٢] ، وهذا ما اشار اليه عبدالقاهر الجرجاني في كتابه دلائل الاعجاز في باب (اللفظ والنظم - فصل في المجاز الحكمي) ، بقوله : ((... انك ذكرت الكلمة وانت لا تريد معناها ، ولكن تريد معنى ما هو ردفٌ له او شبيه ، فتجوزت بذلك في ذات الكلمة وفي اللفظ نفسه))[٣] ، وهو ما اسماه تودوروف بـ(الخطاب الاجوف) بأنه : ((يجذب الانتباه الى الرسالة في حد ذاتها))[٤] ، لكن هذا الانتباه من قبل المتلقي الى هذا الخطاب المجازي ما يلبث ان يبحث فيه المتلقي عن مكنوناته ودلالاته ، فنرى الصولي قد التجأ الى الغموض واللبس القصدي ، مما يبعد السامع عن قبول المعنى اللفظي فيبحث عن المعنى القصدي الذي يكمن فيه دلالة المعنى اللفظي ، اي إنّ ((معنى الجملة يسبق دائما معنى الكلمة منطقيا))[٥] ، بمعنى أنّ الصولي لا يريد تضليل / خداع المخاطب بقدر ما يريد أنْ يعبر عن المعنى بطريقة مجازية فيها خرق للعادة التعبيرية،فغرض الصولي من اللجوء الى

---

(١) افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص٣٤ .

(٢) تحليل الخطاب في ضوء نظرية احداث اللغة ، ٢٧٤ .

(٣) دلائل الاعجاز ، ص٢٩٣ .

(٤) بلاغة الخطاب وعلل النص ، ص٨١ .

(٥) اللغة والمعنى والسياق ، ص٥٢ .

المجاز هو لإضفاء ((قيمة للموضوع واحداث تغيير في المستمع))[١] ، اما سبب لجوء الصولي للمجاز هو لمعرفته ان المخاطب يستطيع ان يفهم المعنى غير اللفظي والذي يكمن وراء التلفظ التعبيري فـ((الصورة المنطقية للجملة تحددها الالفاظ الواردة في الجملة ، والتي يمكننا بفضلها تحديد النتائج الصحيحة التي يمكن اشتقاقها منها ويكون لها معنى))[٢] ، بمعنى أنّ ((العملية الكلامية بمختلف وظائفها تعكس مواقف الذات وافعالها فحالاتها العقلية وتمثل في الوقت نفسه العلاقات الانسانية المتفاعلة))[٣] ، فـ((طرافة الاداء ، والعدول عن المألوف والانحراف المنظم المحسوب عن اللغة العادية يبتدأ – اوضح ما يكون – من خلال المجاز والتصوير واستحداث العلاقات بين مكونات التركيب))[٤] ، وهذا ما تطرق اليه ارسطو (في باب وسائل تجميل الاسلوب) حينما عرف المجاز بقوله : ((ومعظم التعبيرات الرشيقة تنشأ عن التغيير (المجاز) ، وعن نوع من التمويه يدركه السامع فيما بعد ، ويزداد ادراكا كلما ازداد علما ... ونبلغ هذه الغاية اذا كان الفكر خارجا عن المألوف غير متفق مع الآراء الجارية))[٥] ، وهذا المعنى نجده حاضرا لدى الرازي ت٦٠٦هـ في اثناء حديثه عن المجاز بقوله : ((ان العدول عن الحقيقة الى المجاز : اما لأجل اللفظ او المعنى او لهما : واما الذي يكون لاجل المعنى ، فقد تترك الحقيقة الى المجاز لأجل التعظيم والتحقير ، ولزيادة البيان ، ولتلطيف الكلام))[٦] ، فيلاحظ أنّ الصولي اتجه الى ((النمط المضاد ، وهو ان يختار المتكلم استعمال صيغ تختلف عما تقتضيـــــه المعايير

---

(١) خطاب الاخلاق والهوية في رسائل الجاحظ ، ص٣٠٤ .

(٢) في فلسفة اللغة ، ص٢١ -٢٢ .

(٣) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ص١٦٩ .

(٤) ادبية النص (محاولة لتأسيس منهج نقدي عربي) ، صلاح رزق ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر / القاهرة ، ط٢ ٢٠٠١ ، ص٢١٥ .

(٥) الخطابة ارسطو طاليس ، ص٢٢٠ .

(٦) المحصول في علم الاصول ، ابوعبدالله محمد بن عمر بن الحسين ابو الفخر الرازي ت٦٠٦هـ ، علق عليه ووضع حواشية. محمد عبدالقادر عطا ، مج ١ ، دار الكتب العلمية ، ط١ / بيروت١٤٢٠هـ ١٩٩٩ م / ص١٢٥ .

الاجتماعية ... حتى يتجاوز النمط))[١] ، باحداث ((ثورة على الاساليب القديمة بقوة الطرح وتفجير الواقع ... والانتقال الى وضع اخر ، لا يهم ان كان افضل او اسوأ المهم الانتقال))[٢] ، وهذا ما عمله الصولي بـ((تحطيم الارتباطات العامة للألفاظ تلك الارتباطات التي يخلقها المجتمع ، وان يخرج عن السياق المالوف الى سياق لغوي مليء بالإيحاءات الجديدة))[٣] ، إذ ((اصبح لزاما على القارئ من اجل فهم النص ان يكون ذا ثقافة واسعة في المجال الروحي والثقافي الذي ينتمي اليه هذا النص))[٤] ، وخاصة إذا كان خطابا مجازيا لأنه يحمل ((دلالة عريضة بالقدر الكافي، تتجاوز ما استقرت عليه الاعراف البلاغية))[٥] .

ثانيا :- الاستلزام التخاطبي في بنية المفارقة : عاش الصولي تناقضات عصره وابرز هذه التناقضات هي (المفارقة) كونها تمثل ((تنافر الافكار المتداولة بتمحورها حول التناقض الناقض للمألوف .. اذ تعتبر شرخا للقيم الثقافية والجمالية والمعايير الاخلاقية))[٦] ، فمثلا قول الصولي : ((وشبيهٌ بهذا في الشناعةِ عَيْبُهم قولَه :

لو خرَّ سيفٌ من العَيُوقِ مُنصلِتاً   ما كان إلاَ على هاماتهم يقعُ

وقد رواهُ قوم : ((ما كان إلاَ على أيْمانهم يقع)) ولكنَّا نُبيِّنُ صوابَه وخطأَ عائبة على الرواية الاولى . وهي عندي التي قال . إنما اراد ابو تمام : كلُّ حربٍ عليهم ومعهم ، وان كلَّ سيف

---

(١) التداولية والحجاج مداخل ونصوص ، صابر الحباشة ، صفحات للدراسات والنشر . سوريا / دمشق ٢٠٠٨ ، ص١٣١ .

(٢) لغة النقد الادبي الحديث ، فتحي بوخالفه ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، اربد / الاردن ، ط١ ٢٠١٢ ، ص٢٤ .

(٣) قضايا النقد الادبي بين القديم والحديث ، محمد زكي العشيماوي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ص.ب ١٩٧٩ ، ص١٦ .

(٤) بنية القصيدة في شعر ابي تمام ، ص٢٢٣ .

(٥) بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص٨١ .

(٦) الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديد ، ص٥٠ .

يقاتلُهم لِيَسْلُبَهم عزَّهم ؛ وفي مثل ذلك يقول رجل من بني ابي بكر بن كلاب ، انشدناه محمد بن يزيدَ النحوي :

تَرْضَى الملوكُ اذا نالَتْ مقاتِلَنا ... ويأخُذُونَ بأعْلَى غَايةِ الحسَـــبُ

وكلَّ حيّ من الأَحيـــاءِ يَطلُبُنا ... وكلُّ حيّ له في قتلِنـــــــا أَرَبُ

والقتْلُ مِيتَتُنا والصَّـــبْرُ شِيمتُنا ... ولا نُراعُ إذا ما احْمرَّتِ الشُّـهُبُ

وأراد مع ذلكَ أنَّهم لا يموتون على الفُرُشِ – والعربُ تُعيَّرُ بذلك - ... ولذلك قال كعبُ بن زُهَير في قصيدتِه التي امتدح بها النبي – صلى الله عليه وآله – فآمَنَهُ بها بعد ان كان نذرَ دمَه ، واوَّلُها :

بانَتْ سُعادُ فقلْبِي اليومَ مَتبولُ ... مُتَيَّمٌ إثرَهَا لم يُفَدَ مَكْبُولُ

فقال فيها يمدحُ قريشاً :

لا يقعُ الطَّعنُ إلا في نحورهِمِ ... ليسَ لهم عن حِياضِ الموت تَهْليلُ

فِلمَ لم يعيبُوا هذا الشعر عَلى كعبٍ ، وقد سمعَه النبيُ – عليه السلامُ – وأَثاب عليه ؟))(١) ، نلاحظ في نص الصولي ،ان ظاهرة الاستلزام الخطابي في بنية المفارقة ، حاضرة من خلال التناقض في قول من يشكلون في قول ابي تمام ، ولا يشكلون على قول (كعب) مما ولد دلالة استلزامية او قصدا ليس موجودا ؛ يستنتجه المخاطب (بفتح الطاء) من خلال السياق ، ودلالة الجملة التلفظية ، مما يؤدي ((الى مفارقة الاعتقاد .. الحالات الذهنية للقائل والجمل التي ينجز فيها اعمالا متضمنة في القول ليست مقبوله في اقوى صيغها))(٢) ، وهذا ما تطرق اليه عبد القاهر الجرجاني ت٤٧١ هـ في كتابه اسرار البلاغة ، والذي عزا معرفة المفارقة على الرؤية لا على الحس ، بقوله : ((فلم تأتلف هذه الاجناس المختلفة للمتمثل ، و

---

(١) اخبار ابي تمام ، ص١٣٨-١٣٩ .

(٢) التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ص٤٢-٤٣ .

لم تتصادف هذه الاشياء المتعادية على حكم المشبه إلا لانه لم يراع ما يحظر العين ولكن ما يستحضر العقل ، ولم يعن بما تنال الرؤية ، بما تعلق الرؤية ، ولم ينظر الى الاشياء من حيث توعى فتحويها الامكنة ، بل من حيث تعيها القلوب الفطنة))[1] ، فنتج عن هذه الدلالة الاستلزامية (المفارقة) في نص الصولي خرقا لمبادئ الحوار وهما :

١- الكم : ((اجعل اسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون ان تزيد عليه او تنقص منه))[2] ، فنجد ان الصولي قد خرق هذا المبدأ ، اذ عمد الى الاطالة في الاجابة ، ولم يلتزم بالمقدار والكمية في التخاطب .
٢- الكيفية : ((لا تقل ما تعتقد انه غير صحيح ، ولا تقل ما ليس عندك دليل عليه))[3] .

فنُلاحظ إنّ احد المتخاطبين لم يدعم كلامه بالدليل الصحيح ، كي يوسم كلامه بالشرعي والمقبول ، وهذا ما مثله قول القوم الذين اشكلوا على ابي تمام وردَّ عليهم الصولي ، مما ولد هذه البنية الاستلزامية (المفارقة) ، بمعنى أنّ ((النظرية والاختبار لا يتجهان الى الموضوع نفسه))[4] ، والملاحظ أنّ كل دلالة استلزامية في خطاب الصولي من مجاز ومفارقة ... يعول بها على جمهور عالم / مكتشف لمكامنها فـ((الجمهور مرآة تعكس صحة وصلابة الفكرة ... وضامن الصحة فيها الواقع))[5] .

---

(١) البلاغة العربية اصولها وامتداداتها ، محمد العمري ، افريقيا الشرق ، المغرب / الدار البيضاء ١٩٩٩ ، ص٣٩ .
(٢) افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص٣٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ص٣٤ .
(٤) التداولية والحجاج مداخل ونصوص ، ص٢٧ .
(٥) الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة ، ص٤٣ .

ب- المبدأ التهذيبي :

عمل كرايس بنظريته الموسومة (الاستلزام الحواري ومبدأ التعاون) على ضبط الحوار وتقنينه لتحقيق الهدف من خلال العملية الحوارية ، فأقترح مبدأ اسماه (مبدأ التعاون) ، إذ ذكره لاول مرة في دروسه المرقونة بعنوان محاضرات في التحاور ومفاد هذا المبدأ ((ان على اطراف الحوار ان تتعاون فيما بينها لتحصيل المطلوب ، بمعنى انه يوجب ان يتعاون المتكلم والمخاطب على تحقيق الهدف من الحوار الذي دخلا فيه))[١] ، وهذا ما تضمنه مبدأ التعاون العام بـ((ان مشاركتك الحوارية تطابق ما هو مطلوب من طرفك في الميدان الذي تصله ، في اطار الهدف او الاتجاه الذي يقبله التبادل الكلامي الذي تساهم فيه))[٢] ، بمعنى أنّ الهدف / تحصيل المطلوب الذي ركز عليه كرايس من خلال مبدأه التعاوني هذا هو الجانب التبليغي هاملا بذلك الجانب التهذيبي ، من خلال العملية الحوارية ؛ لأنّه بنى نظريته على معطيات عقلية وخطط مضبوطة تضبط الحوار وتجعله نافذا بين المتحاورين من خلال هذه المعطيات العقلية التي يمتلكها المتحاورون ، والتي تتلاءم مع السياق والمقام التخاطبي لأنّ ((المتكلم عادة ينطلق في بناء خطابه من مقومات مقامية كثيرة وبالتالي يعدل عن الاسلوب المباشر الذي يعبر عن القصد – السؤال مثلا - الى اسلوب اخر مراعيا كل الظروف المحيطة وبالتالي فأن اسلوبه الظاهر ، هو الانعكاس لتفكيره السابق ، وعلى المتلقي ان يستحضر جميع هذه الظروف لينطلق من هذا الاسلوب الظاهر – النية المنجزة – الى المقاصد الكامنة))[٣] ، فهو بهذا إذ يؤكد (كرايس) إنّه اذا اتبعنا مبدأ التعاون وقواعده المتفرعة عنه ((حصلت فائدة قريبة ، او ما اسماه الاصوليون بـ(المنطوق) ، والا حصلت (فائدة بعيدة) ، او ما سماه الاصوليون بـ(المفهوم)))[٤] ، فينصـــــــــب اهتمام (كرايس) مـــن خـــــــلال نظريته الاستـــــــــلزامية ومـــــبدأه التعــــــــــاونـي

(١) الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، ص٩٧-٩٨ .

(٢) في التداولية المعاصرة والتواصل ، تأليف . أ.مولز – ك.زيلتمان – ك.اوريكيوى . ترجمة وتعليق . محمد نظيف . افريقيا الشرق ، المغرب / الرباط ٢٠١٤ ، ص١٣٢ .

(٣) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٥٩ .

(٤) الاسلزام الحواري في التداول اللساني (الهامش) ، ص١٠٠ .

(على الجانب التبليغي) بقصد ((نقل فعال للمعلومات بين شركاء يعزون اهمية قصوى لتبادل المعنى الوصفي باستخدام جهد اقل))[١] ، إذ ركز (كرايس) على المعرفة المتبادلة المشتركة بين المتحاورين التي يعلمون انها ستكون كذلك))[٢] ، ففكرة التعاون مهمة بعدها معياراً دافع عنها بشكل بليغ (فرونسيس جاك) بـ((ان مخالفات عقد التعاون والملاءمة التواصلية تحولان افساد وتغيير مجرى مبادئ اشتغال الحوار المضبوط))[٣] ، اما د. منتصر امين عبدالرحيم فيقول عن نظرية (كرايس) بأنها ((يمكن ان تتسع لتنوع كبير من الموضوعات التي تتناسب (او يجب ان تتناسب) بصورة طبيعية مع المقاربة التداولية التجريبية))[٤] ، إذ لم تكن ((معممة لتقديم توقعات تجريبية محددة او لتقديم فروق مهمة بين المنطوقات ، فهذه (الاستعارة) – تطور الاستهزاء – توصيل الاستجابات – فهم المشكلات . سوف تتخذ فروعا جانبية ذات ميل نظري ادراكي لانجاز قابلية تجريبية يمكن تحقيقها))[٥] ، امام العياشي ادواري فيقول عنها : ((ان نظرية كرايس تبقى في كثير من جوانبها قاصرة عن ضبط الحوار وتقنينه تقنينا مضبوطا ... لانّها لم تكن تهدف الى بسط نموذج نظري متكامل للتفاعلات الحوارية التي تتصل بالحياة اليومية ، بقدر ما استهدفت تحديد صنف من اصناف الاستدلال يتمثل في الاستلزامات الحوارية))[٦] ، اما طه عبد الرحمن فقد اقترب من منهج كرايس فيما يخص العملية الحوارية بقوله : ((ويستند التصور الاعتراضي للحوارية الى نموذجين هما : نموذج ((الابلاغ ونموذج القصد)) ،ثم ما لبث أنْ اردفها بـ(نموذج الصدق) الذي جعله موقوفا على قصد القائل وبه تتحقق شرط المحاورة،والذي اسماه بـ(نموذج الصدق)))[٧] ،اما محمد مفتاح فقد وصف نظرية كرايس

---

(١) تساؤلات تداولية وتحليل الخطاب ، ص٥٤ .

(٢) افاق تداولية ج١ : ٩٩ .

(٣) في التداولية المعاصرة والتواصل ، ص١٣٥ .

(٤) افاق تداولية ج١ : ١٠٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٩٣ .

(٦) الاستلزام الحواري ، ص١١٧-١١٨ .

(٧) ينظر في اصول الحوار ، ص٤٤-٤٦ .

بــ(النظرية الميكانيكية الاعلامية) والتي ((تفترض مرسلا متسلطا ومتلقيا خاضعا ، ورسالة شفافة لا ابهام فيها ولا غموض . ومتلقيا يعلم الظاهر وما يخفى))[١] .

ومهما يكن فأننا لم نجد في نظرية كرايس اهتماما يذكر بالجانب التهذيبي وهو ما تنبهت اليه ((روبين لايكوف في مقالتها منطق التأدب والتي افترضت :

مبدأ التهذيب : اي لتكن مؤدبا . ويقتضي بأن يلتزم المتكلم والمخاطب في تعاونهما على تحقيق الغاية التي من اجلها دخلا في الكلام ، من ضوابط التهذيب ما لا يقل عما يلتزمان به من ضوابط التبليغ . وقد فرع هذا المبدأ الى ثلاث قواعد :

أ- قاعدة التعفف . لا تفرض نفسك على المخاطب .

ب- قاعدة التشكيك : لتجعل المخاطب يختار بنفسه ، تقتضي هذه القاعدة بأنْ يتجنب المتكلم اساليب التقرير ، ويأخذ بأساليب الاستفهام ، كما لو كان متشككا في مقاصده بحيث يترك لمخاطبه مبادرة اتخاذ القرارات .

ت- قاعدة التودد : لتظهر الود للمخاطب ، والتي توجب على المتكلم أنْ يعامل المخاطب معاملة النظير للنظير ، ولا تفيد هذه المعاملة الا اذا كان المتكلم اعلى مرتبة من المستمع او في مرتبة مساوية له))[٢] .

فــ((المبدأ التأديبي للتخاطب الذي جاءت به روبين لاكوف ، يفضل المبدأ التعاوني الذي اورده كرايس ، من حيث انه يقف على الجانب التهذيبي من جوانب التخاطب ، فضلا اخذه بالجانب التبليغي منها ... بل يرجع اليه الفضل في فتح باب رد التبليغ الى التهذيب))[٣] ، فمثلا قول محمد بن العباس الخزاز : ((حضرتُ الصوليَّ وقد روى حديث رسول اللّٰه – صلى الله عليه وسلم – (من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال) ، فقال : (واتبعه شيئاً من شوال) ، فقلتُ : أيها الشيخ ، اجعل النقطتين اللتين تحت الياء فوقها فلم يعلم ما قصـــــدت ،

---

(١) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، ص١٦٥ .

(٢) الاستلزام الحواري ، ص١١٨-١١٩ .

(٣) اللسان الميزان ، ص٢٤٢ .

فقلتُ : إنمّا هو (ستا من شوال) فرواه على الصواب))[1] .

فنجد في نص الصولي مبدئين :

١)مبدأ التعاون القائم على الجانب التبليغي ، وعلى الجانب التهذيبي التي نادت به لا يكوف ، فيتحقق المبدأ الاول (مبدأ التعاون) ، من خلال اكتمال العناصر الاربعة : (الكم ، الكيف ، الملاءمة ، الجهة) في هذا النص التواصلي ، ويمكن توضيحها بــ:

١- مبدأ الكم : ((اجعل اسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون ان تزيد عليه او تنقص منه))[2] .

إذ نجد هذه المحاورة التي جرت بين محمد بن العباس الخزاز والصولي ، بعدهما طرفي العملية التواصلية ومتشاركين ومتفاعلين فيها ، فالسامع (الصولي) اجاب المخاطب بالقدر المطلوب نفسه ، حينما قال (الخزاز) للصولي : (انما هو ستا من شوال) ، فما كان من الصولي الا القول (ستا من شوال) ، بدليل (فرواه على الصواب) ، وهو (ستا من شوال) ، فتكون كمية المقدار من الاجابة مساوية لكمية المــــــقدار من القول من دون زيادة او نقص في كمية الاجابة .

---

(١) اخبار البحتري ، ص١٦ .

(٢) افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص٣٤ .

٢-مبدأ الكيف : لا تقل ما تعتقد انه غير صحيح ، ولا تقل ما ليس عندك دليل عليه))[١] .

فنجد ان قول (الخزاز) ، صادق ويستند الى دليل يثبت صحة دعواه بحكم معرفته بحديث رسول الله (ص) ، وصحة روايته . حيث جعل (الخزاز) حديث رسول الله دليلا على صحة دعواه

٣- مبدأ المناسبة : ((اجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع))[٢] .

فقد جعل الخزاز كلامه مناسبا لموضوع الحوار ، وذا علاقة مباشرة فيه ، مما ادى الى نجاح التفاعل التواصلي* بينهما بشكل معقول وتعاوني فيما بينهما (الخزاز والصولي)

٤- مبدأ الطريقة : ((كن واضحا ومحددا فتجنب الغموض وتجنب اللبس واوجز ورتب كلامك))[٣] .

فنجد إنّ قول الخزاز يتميز بالوضوح والتحديد في قوله (ستا من شوال) ، وذلك لوجود تصحيف في لفظ الرواية في لفظ الصولي حينما روى الاخير حديثا لرسول الله (ص) فقال : (شيئا من شوال) ، فأراد الخزاز تصحيح هذا الغلط فجاء قوله واضحا ومحددا ، ليس فيه غموض ولا لبس ، مرتبا و موجزا . فالمتحاوران (الخزاز والصولي) قد احترما

---

(١) افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص٣٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٣٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٣٤ .

* التواصل هو اشراك شخص او هيأة مموضع في فترة ما في نقطة معينة ، في تجارب منشطة لمحيط شخص اخر او نسق اخر مموضع في فترة اخرى ومكان اخر عن طريق استعمال عناصر المعرفة المشتركة بينهما (تجربة عوضية) ... بأنه اقامة اتصال مشارك بين كون فضائي زماني مرسل أ او كون فضائي زماني مستقبل ب . في التداولية المعاصرة والتواصل ، ص٧ . فهو الطريقة العملية التي تنتقل لها الافكار والمعلومات بين الناس ، داخل نسق اجتماعي معين ، يختلف من حيث الحجم ، ومن حيث محتوى العلاقات المتضمنة فيه . البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد ، ص٢٧٨ .

مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه ، وانطلقا بحوارهما التواصلي دون الاخلال بأحد هذه المبادئ فـ((الحوارية اذا ، تقوم على التعاون مع الغير في طلب الحقائق والحلول ، وفي تحصيل المعارف ، واتخاذ القرارات وبالتوجه بها الى العمل))[١] ، ولا يكون ذلك متناغما الا بوجود ((مفهوم التفاعلية الذي يعني التعاون الفاعل بين القارئ والكاتب ... فالنص ليس عملا مقصورا على الكاتب وحده ؛ بل يفترض دائما تعاونا فاعلا من الجمهور والقراء))[٢] ، كم أنّ((النص الناشئ كأبداع ديالكتيكي هو حوار بين المؤلف والقارئ))[٣] .

٢) مبدأ التهذيب : الذي اشترطت وجوده لاكوف في كل حوار تعاوني ، لانجاح عملية التخاطب بين المتكلم والسامع ، من خلال اظهار التأدب والود وعدم الزام السامع بأساليب التقرير ، وعدم فرض المتكلم على السامع ، وهو ما اسماه طه عبد الرحمن بـ(التخلق) وذلك بقوله : ((ثبت ان التخلق يدعو المتكلم الى الخروج عن الاغراض والفناء عن الاعواض ، فقد لزم أنْ يكون الباعث عليه تحقيق مزيد من الانسانية للمتكلم ، إذ لا انسانية بدون أنْ يزيد اعتبار الغير على اعتبار الذات ، بحيث لا تصح نسبتها الى المتكلم حتى يزيد انس المخاطب به ، ولا يحصل للمخاطب هذا الانس المطلوب حتى يشعر أنْ المتكلم قد تخلص في افعاله واقواله مما يقصر نفعه على نفسه لا يتعداه الى غيره))[٤] ، وهذا ما نجده جليا في خطاب الخزاز بقوله : (ايها الشيخ) يقصد الصولي ، إذ حذف حرف النداء من قوله (ايها الشيخ) ولم يقل (يا ايها الشيخ) ، لانّ حرف النداء ينوب عن جملة (انادي او ادعو) إذ ((يعتبر النحاة حرف النداء مع المنادى جملة فعلية انشائية للطلب ، برغم انها قبل النداء خبرية ، فهي تتحول معه الى انشاء طلبي جملته فعلية ، فالأصل في مثل : يا صالح . هو انادي / ادعو صالحاً ... حذف الفعل مع فاعله الضمـــــــير المستتر ، وناب عنهما حرف

---

(١) الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، ص١٠٧ .

(٢) افاق تداولية ، ج١ : ١٥٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص١٦٢ .

(٤) اللسان والميزان ، ص٢٢٤ .

النداء))[١] ، فلم يذكر الخزاز حرف النداء بقوله : (ايها الشيخ) ، لعلو مكانة الشيخ (الصولي) ، والتزام الخزاز بصفة الادب والتهذيب ، وابتعاده عن فرض نفسه على الصولي ، وابتعاد الخزاز عن اسلوب التقرير بجعل السامع (الصولي) أنْ يختار بنفسه ، نظرا لما يتحلى به الصولي من صفة العلم والفهم والدراية ، إذ نعت الخزاز الصولي بـــ(الشيخ) بقوله : (ايها الشيخ) والشيخ هنا نعت وهذا ما قاله النحوي الكبير سيبويه ت١٨٠هـ في باب (هذا باب لا يكون الوصف المفرد فيه الا رفعا ولا يقع في موقعه غير المفرد) : ((وذلك قولك يا ايها الرجلُ ، ويا ايها الرجلان ، ويا ايها المرأتان ، فأيٌّ ها هنا فيما زعم الخليل (رحمه الله) كقولك : يا هذا ، والرجل وصفٌ كما يكون وصفاً لهذا . وانما صار وصفه لا يكون فيه الا الرفع لأنك لا تستطيع ان تقول يا ايٌّ ولا يا ايُّها وتسكت ، لانه مبهم يلزمه التفسير ، فصار هو والرجل بمنزلة اسم واحد ، كأنك قلت يا رجل))[٢] ، فـــ((النعت انما يوضح متبوعه ويخصصه كذلك بأمور عرضية يدل عليها معنى النعت وتكون مما يطرأ على الذات كالعلم ، والفهم ، والذكاء ... اما توضيح الذات نفسها بلفظ يدل عليها وتكون هي المرادة منه مباشرة ، لا ان المراد امر عرض يطرأ عليها))[٣] ، ومما يلاحظ – ايضا – ابتعاد الخزاز عن الاساليب التقريرية في خطابه التواصلي مع الصولي ممثلة بأداة التوكيد (إن) ، إذ نجده (الخزاز) لم يعملها لتكون اداة توكيد ، وانما ادخل عليها (ما) الزائدة فكفها عن العمل ، اي إذا ((اتصلت ما الزائدة بأحد الحرفين الناسخين (إن - أن) منعتهما عن العمل ، وصار كل واحد منهما بعد الزيادة اداة من ادوات الحصر ، تزيد توكيد المعنى

---

(١) النحو الوافي ج ٤ :٩ ، ينظر الكتاب ج٢ : ١٨٢ . (الهامش) .

(٢) الكتاب ج٢ : ١٨٨ .

(٣) النحو الوافي ، ج٣ : ٤٣٨ . (الهامش) .

قوة ووضوحا))[1] ، وهذا ما تطرق اليه عبدالقاهر الجرجاني ت٤٧١هـ في (باب القصر والاختصاص - فصل في (انما) ومواقعها) بقوله : ((اعلم ان موضوع (انما) على ان تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته ، او لما ينزَّل هذه المنزلة ... لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته ، ولكن لمن يعلمه ويقر به ، إلا أنك تريد أن تنبهه للذي يجبُ عليه من حق))[2] ، بمعنى أنّ الصولي لم يجهل حديث الرسول (ص) ، او انّه لا يعلمه ، ولكن اراد الخزاز أنْ ينبهه ، ويذكره بأمر ثابت ومعلوم فأتى الخزاز بأداة الحصر (انما) ، لأنها تزيد توكيد المعنى قوة ووضوحا ، بالالتفات الى حديث الرسول (ص) وما اصابه من غلط في ذكره ، يعزو محمود احمد نحله بالقول ان ((هذه هي المبادئ – نادى بها كرايس – التي يتحقق بها التعاون بين المتكلم والمخاطب ، وصولا الى حوار مثمر وينبغي هنا اللفت الى امرين :

أ- إنّ بعض الباحثين رأى في مبدأ التعاون تعبيرا عن فردوس الفلاسفة الذي لا يمت الى الواقع بصلة فهو يرى الناس جميعا متعاونين صادقين مخلصين واضحين ، ... والحق ان الرجل (يقصد كرايس) لم يقصد بمبدأ التعاون الحواري ما عجل هؤلاء الى فهمه ؛ بل كان يقصد أنّ الحوار بين البشر يجري على ضوابط و تحكمه قواعد يدركها كل من المخاطب والمتكلم .

ب- أنّ الرجل (كرايس) لم يغب عنه إنّ هذه المبادئ التي يجري عليها الحوار كثيرا ما تنتهك ؛ بل أنّ النظرية كلها قائمة على ذلك ، فانتهاك مبادئ الحوار هو الذي يولد الاستلزام ، مع ملحظ شديد الاهمية هو الاخلاص لمبدئ التعاون))[3] ، لغرض الوصول الى هدف المتكلم من هذا الانتهاك ، مما يتطلب وجود المخاطب اليقظ لذلك اي أنّ ((الكلمة او الصورة تكون رمزية حيث تدل على ما هو

---

(١) النحو الوافي ج١ : ٦٣٦ . (الهامش) .

(٢) دلائل الاعجاز ، ص٣٣٠ .

(٣) افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص٣٤-٣٥ .

اكثر من معناها الواضح المباشر ، ويكون لها جانب باطني اوسع من أنْ يحدد بدقة او يفسر تفسيرا تاما ، او ان يأمل المرء بتحديده او شرحه تماما))[1] ، مما يتطلب من المتلقي معرفة المقام التواصلي الذي قيل فيه الخطاب ، ومعرفة السياق التخاطبي إذ إنّ ((محلل الخطاب يعتبر الكلمات والعبارات والجمل التي تظهر في المدونة النصية لخطاب ما دليلا على محاولة المنتج توصيل رسالة الى المتلقي ، مما يجعله يعنى على الخصوص ببحث كيفية وصول متلق ما الى فهم الرسالة المقصودة من قبل المنتج في مناسبة معينة))[2] ، للوصـــــــــول الى قصـــــــــد المتكلـــــــــــم (المـــــعنى المســـتلزم) الذي ابتغاه المتكلم .

---

(١) بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص٥٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٥٥ .

المبحث الثاني : الافتراض المسبق والقصد

يعد الافتراض المسبق الثيمة الاساسية في نجاعة الخطاب فيما بين المتكلم والسامع في اثناء خطابهم التواصلي ، لانّهما ينطلقان من معطيات وافتراضات مشتركة ((وهذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل ، وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة))[١] ، عبر ربط السياق والذي سمَاه دي بوجراند ((سياق الموقف))[٢] ، مع نظام اللغة والتي سمَاها فتجنشتاين (العاب اللغة) ، والتي ((تستدعي استعمال اللغة في سياق اجتماعي / تداولي معين ، ويستدعي ايضا استعداد المخاطب للاستجابة وتقبل ما يعنيه المخاطب لتحقيق غاية التواصل اللغوي))[٣] ، بمعنى إنّ مبدأ التسليم من قبل المخاطَب لما يلقى من قبل المخاطِب لأي قضية لما هو موجود من تصور ذهني عنها لانها (القضية) ((قاعدة وظيفية تقودنا من العالم الى قيم الحقيقة لأننا ننطلق عامة من العالم الواقعي .. فالقضية اذا وظيفة ، تنطلق من العوالم الممكنة الى قيم الحقيقة))[٤] ، وهذا ما اشار اليه الفلاسفة بـ((إنّ محتوى الحالات الذهنية (الامنيات والرغبات والاعتقادات والمخاوف والمقاصد .... الخ يمثل قضايا))[٥] ، اي إنّ احالتنا لاي قضية ما لا تكون الا عبر تصورات ذهنية مسبقة لمحتوى هذه القضية ، لمعرفتنا المسبقة بها ، فـ((نحن لا نتعرف الا على ما نعرفه))[٦] ، شريطة أنْ يكون الخطاب التواصلي عبر هذه القضية

---

(١) التداولية عند العلماء العرب ، ص ٣٠ -٣١ .

(٢) التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ص١٠٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص١٠٩ .

(٤) المقاربة التداولية ، ص٣٦-٣٧ .

(٥) التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ص١٠٠ .

(٦) الرمز والفن (مدخل الاسلوبية والسيميوطيقا الى الدرس الثقافي) . السيد ابراهيم ، مركز الحضارة العربية للأعلام والنشر والدراسات ، مصر – القاهرة ، ط٢ ٢٠٠٧ ، ص١٠ .

((منظما حسب مقتضيات اللغة المستعملة فيه ، وذلك لتنسيق علاقات الناس))[1] ، فـ((الطابع اللغوي مرتبط دائما وابدا بالفهم ما دام المعنى الذي تنقله لنا اللغة لا يصير ملموسا الا على هذا النحو . فالوجود الذي يمكن ان يكون مفهوما اولا هو اللغة))[2] ، التي تعمل عملها بين المتخاطبين في خطابهم التواصلي ، وايضا لكفاءة المخاطب والمستمع اي ((الكفاية الايديولوجية والثقافية للأشخاص ، اي مجموعة المعارف التي يملكونها والتمثلات التي يكونونها عنها من خلال احالتهم على مرجع والذي يكون حاضرا وقابلا للإدراك في الفضاء التواصلي))[3] ، إذ يكشف هذا الخطاب التواصلي عن ((طبيعة العلاقة بين المتكلم والمتلقي ومنزلة المتكلم ونوعه وكذلك المتلقي ، من خلال معطيات اللغة ، واثر المجتمع في اختيار اللفظ))[4] ، لتحقيق الافادة لأنّها ((مناط التواصل بين مستعملي اللغة))[5] ، فـ((الملفوظ دال ، مادام يتموضع في مجتمع القائمين بتلفظه ويمتلكون علاقة تخاطبيه))[6] ، بمعنى إنّ مسار العملية التخاطبية بين المتخاطبين لا تناط بالمقدرة اللغوية فقط مالم ((تنهض هذه المقدرة اللغوية بقدرات منطقية ومعرفية واجتماعية وادراكية ... تسهم في انجاح هذه العملية))[7] ، فتكون بذلك ((عملية التواصل ناجحة اذا خلا الخطاب من كل ما يمكن ان يحول بين المخاطب وبين تأويله وهو ما يسعى المتكلم في تحقيقـــــــه))[8] ، وقد سماها الفيلسوف المغربي طه عبدالرحمن (المـــعرفة المشتركة)

---

(١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص١٠ .

(٢) التداولية عند العلماء العرب ، ص٢١ .

(٣) في التداولية المعاصرة والتواصل ، ص٧٢ .

(٤) تحليل الخطاب في ضوء نظرية احداث اللغة ، ص٢٤١ .

(٥) التداولية عند العلماء العرب ، ص٥١ .

(٦) المقاربة التداولية ، فرانسوازارمينكو ، ترجمة. سعيد علوش ، مركز الانماء القومي الرباط - المغرب ١٩٨٦ ، ص٨٤ .

(٧) الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، ص٢٢ .

(٨) المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الاصول والامتدادات ، د. احمد المتوكل ، مكتبة دار الامان – الرباط ،ط١ ٢٠٠٦ ، ص٢٨ .

((وهي جملة من الاعتقادات والتصورات والتقويمات عن الذات والغير والاشياء والمعاني ، يشترك فيها المتكلم والمخاطب وجمهور الناطقين))[1] ، إذ أنّ ((لافتراض المعرفة المشتركة دورا اساسيا في دراسة الافتراض))[2] ، إذ ترتبط هذه المعارف المشتركة بالمقام / السياق التخاطبي ، دون الخوض في تفاصيلها بوصفها ((قرائن غير لفظية))[3] ، مضمرة ترتبط بسياق الحديث ، على اعتبار أنّ المتكلم يفترض ان السامع عارف بما يحويه الخطاب من معارف ذات اصول معرفية يشترك بمعرفتها المتكلم والسامع ، فتعامل هذه المعارف من قبل المتكلم في سياق خطابه التواصلي ، على إنّها معروفة من قبل السامع ، فالافتراض المسبق ((هو شيء يفترضه المتكلم يسبق التفوه بالكلام اي ان الافتراض المسبق موجود عند المتكلمين ... والذي يعتمد على المتكلم))[4] ، ((فهو من المسلمات العقلية والواقعية))[5] ، اي هو ((كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب ان يحتويها ، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث))[5] ، فالافتراضات المسبقة التي يمتلكها المتكلم كخزين معرفي (ابستيمولوجي) ويضمنها في خطابه التواصلي ، تبقى متصفة بـ((الاطراد عند النفي وتعني من حيث الاساس ان الافتراض المسبق لمقولة ما سيبقى ثابتا (اي صحيحا) حتى عند نفي تلك المقولة))[7] ، وهي ما سمَاها تودوروف بـ(الحضورية) بأنّها : ((عناصر غائبة من النص وهي علـــــــى قدر كبير من الحضـــــــــــور فـــي الذاكرة الجماعية لقراءة عصـــــــــــر معين الى درجة اننـــا

---

(١) اللسان والميزان ، ص١٥٢ .

(٢) التداولية ، ص٤٩ .

(٣) افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص٨٤ .

(٤) التداولية ، ص٥١-٥٢ .

(٥) تحليل الخطاب في ضوء نظرية احداث اللغة ، ص٢٣٠ .

(٦) التداولية عند العلماء العرب ، ص٣٢ .

(٧) التداولية ، ص٥٣ .

نجد انفسنا عمليا بإزاء علاقات حضورية))[1] ، بمعنى إنّ هذه الافتراضات تبقى محافظة على صحتها ويقينيتها حتى وان نقضت / نفيت بخطاب مضاد لها ، إذ تعد ((ذات اهمية قصوى في عملية التواصل والابلاغ .. بافتراض وجود اساس سابق يتم الانطلاق منه والبناء عليه ، اما مظاهر سوء التفاهم المنضوية تحت اسم التواصل السيئ فلها سبب اصلي مشترك هو ضعف اساس الافتراضات المسبقة .. الضروري لنجاح كل تواصل كلامي))[2] ، ويمكن انْ نعزو ذلك لسببين - :

١- عدم التوظيف المناسب / الملائم لهذه الافتراضات المسبقة من قبل المتكلم ((لان الكلام يتألف من تتابع خطي من الكلمات والتعبيرات يجب على المتكلم بصورة دائمة بناء خطة للتعبيرات الكلامية حتى يقرر ما يقوله وكيف يقوله))[3] ، - وايضا – غياب الرؤية المعرفية (الابستيمولوجية) من المخاطَب فلا يحدث بذلك التواصل المرجو لانّ ((كل شيء عند الانسان تواصل))[4] وتفاعل في الوقت نفسه.

٢- ضعف هذه الافتراضات المسبقة للنهوض بمستوى الخطاب التواصلي ، اذ ليس كل افتراض مسبق يصلح ان يكون اساسا معرفيا (ابستيمولوجيا) مشتركا بين المتخاطبين ، ما لم تتصف هذه الافتراضات المسبقة بـ((شروط مصداقية الافتراضات المعبر عنها في الجمل))[5] ، وخاصة إذا لم تتطابق هذه الافتراضات المسبقة مع المعنى الحرفي للجملة اي إنّ ((بنى معرفتنا الخلفية ومخططاتنا لفهم العالم ستحدد ثقافيا))[6] ، وهذا ما

---

(١) الشعرية ، تزفيطان طودوروف ، ترجمة. شكري المبخوت ورجاء بن سلامة ، دار توبقال للنشر ، المغرب – الدار البيضاء ، ط١ ١٩٨٧ ، ص٣٠ .

(٢) التداولية عند العلماء العرب ، ص٣٢ .

(٣) افاق تداولية ج١ : ٦٠ .

(٤) التداولية من اوستن الى غوفمان ، ص١٩ .

(٥) التداولية ، ص٢٤ .

(٦) التداولية ، ص١٣٢ .

تطرق اليه سبربر وويلسون في (نظرية الملاءمة) واشترطا على المتكلم ((ان ينتج مثيرا واضحا للمخاطَب ، فيصبوا المتكلم الى جعل مجموعة من الافتراضات واضحة او اكثر وضوحا لدى المخاطَب))[١] ، على اعتبار إنّ ((معظم افراد المجتمع اللغوي الواحد يمتلكون خبرات اساسية مشتركة عن العالم ، ويتشاركون في الكثير من المعرفة غير اللغوية))[٢] ، كونهم ((الممثلين الاجتماعيين ، على مبدأ الحوارية وتعدد الاصوات))[٣] ، امام المشكلة التي تواجهنا فهي ((حين نصطدم بقارئ مقطوع البعد الثقافي – عن الخلفية الثقافية التي تولدت فيها النصوص))[٤] ، ومجمل القول إنّ تحقيق الافتراض المسبق ((عندما يتوفر لدى كل من المتكلم والمخاطب معطيات لغوية مسبقة متفقة ومتعارفة فيما بينهم قبل الدخول في عملية التخاطب ... بنمطين تداوليين فرعيين :

١- افتراض مسبق منشؤهُ العرف .
٢- افتراض مسبق منشؤهُ القصد .))[٥] ،

---

(١) التداولية عند العلماء العرب ، ص٣٨ .

(٢) التداولية ، ص٢٢ .

(٣) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٢٥ .

(٤) الرمز والفن ، ص١٢ .

(٥) التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، ص٢٦٣-٢٦٥ .

اولا : افتراض مسبق منشؤهُ العرف :

وهو ((ذلك الخطاب التداولي ذو المعنى المحدد الذي يصاغ في مقام محدد وضمن ظروف انجازية مناسبة بالنظر الى عناصر السياق))[(١)] ، فـ((المعلومات والمعتقدات المشتركة والمتبادلة تعتبر جزءا مهما من مفعوم السياق))[(٢)] ، فمثلا قول الصولي لمزاحم بن فاتك ((وانت – اعزك الله – تشهدُ لي من بين الناس ان ابا موسى الحامضَ كان يَثْلُبُني عندك وتنهاه ، ويُكْثِرُ من عيبي والطعن على سائر ما امليتُه ، وانه لا فائدةَ في شيء منه . فلما توفّي وحُملتْ كتبهُ اليك ، وجدتَ اكثرَ ما امليتهُ من كتاب (الشامل في علم القرآن) وكتاب (الشبان والنوادر) وما مرَّ من شعر ابي نواس قد كتبه كلَّه بخطه واتّخذه أُصولا ينفقُ منه تفاريقَ على من يَقصِدُه ، ويطلُبُ فائدتَه ، فأكبُرْتَ ذلك وكثُر منه عَجَبُك))[(٣)] .

يُلاحظ من نص الصولي إنّه قد احتوى على معنى عرفي (دلالة مباشرة) قائم على مرجعية دالة ، وهو إنّ الصولي تربطه بمزاحم بن فاتك علاقة صداقة ومودة ، بدليل قوله : (كان يثلبني وتنهاه) يقصد (الحامض) ، وايضا توجيه الصولي حديثه الى مزاحم بن فاتك على ((اساس مما يفترض سلفا انه معلوم له))[(٤)] ، وذلك بقوله : (تشهد لي من بين الناس ان ابا موسى الحامض ...) ، فالحامض معروف سلفا من قبل المتكلم والسامع بأنه : ((كانت له اخلاق شرسة))[(٥)] ، يدلل ذلك خطابه الانجازي في اسلوب النهي بقوله (وتنهاه) ، دلالة على علاقة المودة والمحبة المعقودة سلفا فيما بين الصولي ومزاحم حيث ((يوظف الخطاب لبلوغ المقصد التواصلي عبر الربط بين النص وغرضه . بغية استكناه المعنى النموذجي ... من خلال (العنصر الذاتي في هذا التوجيه المتمثل بمعتقدات المتكلم ومقاصــــده ،

---

(١) التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، ص٢٦٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٢١ .

(٣) اخبار ابي تمام ، ص١٠-١١ .

(٤) افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص٢٦ .

(٥) اخبار ابي تمام ، ص١١ . (الهامش) .

والعنصر (الموضوعي) المشتمل على الوقائع الخارجية من استحضار المقام الذي يمثل الوضعية الاجتماعية للخطاب والعنصر (الذواتي) الدال على المعرفة المشتركة بين طرفي العملية التخاطبية))[١] ، اما الدلالة غير المباشرة (المعنى التداولي او قصد المتكلم) ، هو مما يفترض سلفا انه معلوم بأنّ للصولي تأليفات وذكر اخبار وهي : (كتاب الشامل في علم القرآن ، كتاب الشبان والنوادر ، وما مر من شعر ابي نواس) ، فهو بهذا (الصولي) ، لا يقصد الفعل الوصفي ؛ وانما يقصد الفعل الانجازي التداولي ، القصد منه الحيف الذي لاقاه ويلاقيه من مدعي العلم والفهم وإنْ لم يكن بأنهم يأخذون من كتبه ، وقول الصولي في مقام اخر : ((ثم أَرتني عَيْنُ الرأى بقيةً في نفسِكَ منه ، لم يُطْلِعْها لي لسانُكَ ، إما كراهَةً منك لتَعبي ، اوْ إشفاق من الزيادة في شُغُلي ، مع ما يقسِّمُني من جَوْرِ الزمانِ ، وجفاء السلطانِ ، وتغيُّر الإخوانِ))[٢] .

فالخطاب استند على مرجعية (ضمنية) دالة وبصيغة افادية محددة ، وهي إنّ المخاطَب ذا شأنية وسلطان وتعدد الاخوان ، ولا يمكن الجزم إنّ (الاخوان) هم الاخوة البايلوجيون ؛ وانما يمكن أنْ يقصد العشيرة او الاصدقاء .

وان هذه الامور الثلاثة الذي ذكرها الصولي (الزمان – السلطان – الاخوان) ، كانت مصاحبة غير منافية عنه – اذا علمنا – أنّ ((له ابوة حسنة فجدة (صول) كان هو واخوه فيروز ملكي جرجان .. وتقلد اولاد صول بعد جلائل الاعمال السلطانية ، وكانوا رؤوسا في الكتابة ، وكان بعضهم دعاة لبني العباس ...))[٣] ، حينما يذكرها فأنه يشتاق لما كان سابقا من عظيم الشأن والجاه ، فاسهمت هذه الامور الثلاثة في عملية انتاج الخطاب ؛ كونها تمثل عناصر سياقية تتطلب وجود متلق يقر بوجودها مسبقا ، فنُلاحظ إنّ خطاب الصـــولي

---

(١) التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، ص٢٤٩ -٢٥١ .

(٢) اخبار ابي تمام ، ص٥ .

(٣) اخبار البحتري ، ص١٣ .

يحمل افتراضا مسبقا انه ذو سلطة وجاه وعشيرة / اخوان ، وإنّ هنالك حالة استوجبت أنْ يوجد متلق لهذا الخطاب ممثلا بــ(مزاحم بن فاتك) ، وذلك لوجود علاقة حميمة تجمعهما ، فأتى الخطاب حاملا للصدق والوضوح ، وهذا مابينه سورل بقوله : ((ان مصداقية المتكلم في اعتقاده في ما يتلفظه ، تعقدا يتأتى من كون المرمى التداولي بإمكانه أنْ يغير كل شيء))[1] ، فنرى الصولي يلمح الى عدة افتراضات مسبقة لأثارة انتباه المستمع ولإيصال مقصده بشكل واضح بين وهذا ما عبر عنه اللساني كلود حجاج بقوله : ((الانسان كائن اجتماعي ، بقدرته اللغوية ، بوصفه كائنا مبينا))[2] ، والتي سمتها الدكتورة ذهبية حمو الحاج بــ(المقاصد الموضعية) اي أنّ ((الكلام يعتبر وسيلة للتعبير عن المقاصد عموما والافكار واحاسيس المتكلم .. وبالتالي فأننا نعير لكل ملفوظ مقاصد خاصة بالمتكلم))[3] فنلاحظ ان الصولي وظف في خطابه المثير الذي يشترك بمعرفته المخاطب ، لوجود خلفية مشتركة لهذا المثير ، مما يفترض سلفا صدقه ، شريطة ان يحكم عملية التوظيف لهذا المثير الملاءمة المقامية والسياقية في اختياره إذ أنّ ((اليات ادراكنا الحسي تميل بصورة ذاتية الى انتقاء المثير الملائم المحتمل ، وحيث أنّ اليات استعادة ذاكرتنا تميل بصورة ذاتية الى تنشيط الفرضيات الملائمة المحتملة))[4] ، لتحقيق الانسجام في خطابه التواصلي والذي يعتمد على ((العلاقات الخطية بين الجمل المتجاورة ، اي على الاتساق Cohesion بين ازواج العبارات المتتابعة))[5] ، فيزداد الخطاب بذلك تماسكا فـ((التماسك هو الذي يبرز خواص اي نظام للتفكير ، سواء كان نظرية او نصا ، ويعني ان اجزاء هذا النظام لابدّ من ترابطها الحميم فيما بينها ، مما يقتضي ان تقوم بينها روابط تمثل شبكة لضبط العلاقات القريبة والبعيدة))[6] .

---

(١) التداولية من اوستن الى غوفمان ، ص٤٣٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٤٩ .

(٣) تساؤلات التداولية وتحليل الخطاب ، ص٩٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٦٤ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٦٧ .

(٦) بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص٣١٣- ٣١٤ .

ثانيا : الافتراض الذي منشؤهُ القصد :

((هو ذلك الخطاب الذي ينفتح فيه التأويل على مديات استعمالية متعددة ، حيث المعاني المضمرة من قبل المتكلم عندما يتفوه بمثل هذا الخطاب او ذاك في سياقه القصدي الغرضي ، والدلالات الاضافية التي يستنتجها المتلقي من مضمون الكلام المتفوه ... انطلاقا من عامل المقام وقدرة التواصل الحاصلة للخطاب))[١] ، كقول الصولي : ((يُروَى عن أميرِ المؤمنين علي بن ابي طالبٍ – صلواتُ الله عليه – أن رجلاً ذَكَر له بعضَ أهلِ الفضلِ فقال له : صَدَقْتَ ولكنَّ السِّراجَ لا يُضيئ بالنهارِ . فلم يُرِدْ – رِضْوَانُ اللهِ عليه – أن ضَوْءَ السراجِ ليسَ حَالاً فيه ، ولا أنه زالتْ عنه ذاتُه ، ولكنه بالإضافةِ الى ضوء النهار لا يُضيئ ، ولم يُطْعَنْ على ضَوْءِ النهار ولا على السِّراجِ ، ولكنه قال : فاضِلٌ وأفضلُ منه ، وقال الشاعر وأحسن :

أصفراءُ كان الوُدُّ مِنكِ مُباحَـــا ... ليالَى كان الهجْر منكِ مُزَاحَــا

وكُنَّ جوارِى الحيِّ إذْ كنتِ فيهم ... قِباحاً ، فلما غِبْتِ صرْنَ مِلَاحَا

وما أراد إلا تفضيلَها ولم يَطْعُنْ على أحد ، والقِباحُ لا يِصرْنَ مِلاحاً في لحظةٍ ، ولكنه أراد أنهن مِلاحٌ ، وهي أمْلَحُ منهنَّ ، فإذا اجتمعْنَ كُنَّ دُونَها))[٢] .

نرى الصولي يعرض لقضية تأريخية اساسها الحوار المنطقي ، المعتمد على الحقيقة الادراكية ، وهذا ما تطرق اليه كرايس في نظريته التلويح الحواري بقوله : ((ان هنالك مجموعة سامية من الفرضيات التي تهتدي بها عملية الحوار وانها تنبع في ظاهر الحال من اعتبارات عقلانية اساسية يمكن صياغتها كأرشادات لاستخدام اللغة استخداما كفوءاً ومؤثرا في الحوار للحصول على غايات تعاونية))[٣] ، والوصول الى حكم صائب .

---

(١) التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، ص٢٦٥-٢٦٦ .

(٢) اخبار ابي تمام ، ص١٢٨- ١٢٩ .
(٣) التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، ص٢٧٥ .

فالصولي حينما يعرض لهذه الحادثة التاريخية مع امير المؤمنين (ع) ، والحوار الذي دار بينه وبين السائل (الرجل) عن امور عرفية ، ومما يفترض سلفا انه معلوم ، حينما قال امير المؤمنين (ع) ، (فاضل وافضل منه) ، فما كان جواب الرجل الا السكوت ؛ دلالة على المعرفة المسبقة إنّ ضوء النهار افضل من ضوء السراج في النهار . فالدلالة القصدية غير المباشرة او المعنى التداولي الذي اراده الصولي من خلال تسويقه للحادثة التاريخية هو بيان مقصده ، بأنّ ابا تمام لا يشكك به شاك بأفتراض مسبق انه مقدم على كل محسن وإنّ شعر ابي تمام له اساس يستند عليه وهو شعر الاولين ، ويحمل الصولي – ايضا – في اثناء استشهاده بهكذا نصوص قصدا تواصليا وغرضا تداوليا ، بانّ هؤلاء القوم يأخذون بسفائف الامور ولا يجهدون عقولهم ؛ ليعرفوا المكامن المخبوءة في شعر أبي تمام ، لذلك استهجن الصولي غفلة هؤلاء القوم بقوله : ((وليتَ شِعري ، متى جالس هؤلاءِ القومُ مَن يُحسن هذا ، أو أخذُوا عنه ، وسمعوا قولَه))[١] ، فالقضية الحملية التي ارادها الصولي هو بيان حقيقة ان شعر ابي تمام لا يعرفه الا الضالعون في العلم والفهم ، اما الذين ليس لديهم عقول فلا يعرفون مكامن شعره ، فالافتراض المسبق يبقى محافظا على حضوره ويقينيته لدى المتخاطبين بالرغم من اختلافه مع الغاية التي يريدها المتكلم عند سوقه لهذه الافتراضات المسبقة ، فالهدف كامن في نفس المتكلم ، ومهما يكن فأن ((السمة الطبيعية والمنطقية والعرفية تقع خارج نطاق اللغة من حيث كونها قرائن دالة على ذواتها وحسب ، بقدر ما تحيل على نظام تواصلي معقد يسعف المتواصلين على ادراك جملة من التبليغات التي تتجاوز المشاهد الى الغائب المستتر خلفها ، سواء كانت القران سببية او عقلية او وضعية ، فتـــزداد غـــزارة وعطـــاء كلمـــا كانت سبلها

(١) اخبار ابي تمام ، ص١٢٧ .

واضحة المبتدئ بينة التماثل والتشابه))[١] ، شريطة ان يحكم هذه الاعتبارات معرفة المتكلم بالمستمع اي إنّ ((معرفة المتكلم (او ظنه) سواء بالعالم بوجه عام او بالسياق ايضا . وبوجه خاص معرفته بالسامع ... لأنّ المتكلم يجب ان يفترض ان السامع لدية من قبل المعلومة المقدمة))[٢] ، فيحصل بذلك التواصل وهو ما اسماه د. احمد متوكل بـ((التواصل الناجح))[٣] ، فـ((التواصل الناجح هو ما حدث فيه التطابق بين قصد المرسل والمعنى المؤول من لدن المرسل اليه ، سواء أكان قصدا مطابقا للمعنى الحرفي ام مفارقا له))[٤] ، ويرتبط الافتراض المسبق بـ((استعمال عدد بين الكلمات والعبارات والبنى بأنها مؤشرات لافتراضات مسبقة كامنة ، والتي يمكن ان تصبح افتراضات مسبقة واقعية عند وجودها في سياقات مع المتكلمين))[٥] ، ومن هذه المؤشرات :

أ- ارتباط تركيب التملك بافتراض مسبق للوجود[٦] : كقول الصولي : ((وكأني – أعزَّك الله – بأشدِّ الناسِ حاجةً إلى ما أؤلُفه مما تقدَّمتُ فيه ، وأجهلهم به ، قد ادَّعاه بعد إملائي له ، وأجاب فيه بعدَ شرحي معانيه ، لا ينسُبُ ذلك إليَّ ولا يعترفُ به لي ، ولستُ أُبالي ذلك في رضاك ، ولا أحفِل به مع بلوغِ مرادِك ، وعلمِك بعجْزِ المدَّعين عما كلَّفتنيه ، وأن أحدا منهم لم يجسُر أن ينشِد قصيدةً من شعر هذا الرجـــــــــــلِ ضامنةً للقيام بمـا

(١) القراءة والحداثة مقاربة الكائن والممكن في القراءة العربية ، حبيب مونسي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، مكتبة الاسد ، سوريا – دمشق ، ٢٠٠٠ ، ص٢٢٨ .
(٢) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات . تون أ. فان دايك . ترجمةوتعليق. سعيد حسن البحيري ، دار القاهرة للكتاب ، مصر – القاهرة . ط١ ٢٠٠١ ، ص١٣٩-١٤٠ .
(٣) المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الاصول والامتدادات ، ص٢٢ . ينظر تساؤلات التداولية وتحليل الخطاب ، ص١٠٨-١٠٩ .
(٤) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٢٢٠ .
(٥) التداولية ، ص٥٤ .
(٦) المصدر نفسه ، ٥٤ .

فيها ...))[1] .

يتشكل خطاب الصولي في مدى ملاءمته للقضية التي يعبر عنها من خلال اشارات مسبقة لمضمون هذه القضية التي ترتبط ارتباط كلي بالواقع المعيش ؛ فالقضية التي شغلته وبمعنى ادق – ازعجته – هي (الجهل) ، والذي اصطبغ بألوان عدة ، لذلك نراه يتلفظ باقذع الالفاظ واشنعها لأنّه راى بعين اليقين أنّ الذين تزعموا العلم والفهم ليسوا الا (جهلة) لا يفقهون من العلم شيئا كقول احد أئمتهم : ((في مجلسِ بعضِ أجلاءِ الكُتابِ وقدَّ حلَّفه صاحبُ المجلسِ أن يُنْشدَه من شِعره أن كان قال شعراً ، فأستعفاه فلم يَزَلْ به الا أن أنشده لنَفْسه :

مَنْ يشْتَرِي شَيْخاً بِدرْهَمَينِ   قد شاخَ ثم دَرَّ مَرَّتْينِ

ليسَ له سِوَى ثَنْيتَّيْنِ

ثم يعلق الصولي مستهجنا ذلك بقوله : ((فهذه أشعارُ أئمتهم ، وما ظننتُ أن أحداً يتعلَّقُ بقليلِ ألادب يجهَلُ هذا الذي عابُوه على أبي تمام ولا أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُحوِجُني إلى تفسيرِ مثلِه أبداً ...))[2] ، فكثيرا ما نُلاحظ انّ الصولي يلتجئ الى الشعر في نقضه للدعوى ، وذلك لما يمثل الشعر من ((تذاوت تواصلي فعال وناجح ... فأن الشعر اكثر تداولية من اللغة العادية))[3] ، فهذه المعطيات وغيرها كثير تصبح افتراضات مسبقة على جهل هؤلاء القوم للمتلقي الذي يسوق الصولي اليه خطابه ، وهو مزاحم بن فاتك ، بقول الصولي : (وعلمك بعجز المدعين عما كلفتنيه ...) ، فهي اشارة الى علم (مزاحم) بعجز من ادعوا العلم والفهم ، من خلال ضمير التملك (الكاف) ، فهي مؤشر لساني يحيل على افتراض مسبق بعجز هؤلاء وكفاءة الصولي ومقدرته على العمل في شعر ابي تمام ، فضمير التملك في

---

(١) اخبار ابي تمام ، ص١١-١٢ .

(٢) المصدر نفسه، ص١٢٨ .

(٣) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، ص١٤٧ .

(علمك) يتضمن قصدين : قصد مباشر وهو الظاهر من سياق خطابه التواصلي وهو جهل هؤلاء القوم وتسويف للحقائق ، أما القصد غير المباشر / التداولي هو أنّ المدعين بأنّهم علماء ويحملون صفة العلم والفهم ليسوا كذلك ؛ لانّ بجهلهم يطلبون الرياسة دونما علم او اتعاب فكر كقول الصولي ساخرا منهم : ((وكيف لا يِفرَّ الى هذا مَن يقول : اقرءوا عَلَيَّ شعرَ الأوائل ، حتى إذا سُئل عن شيءٍ من أشعارِ هؤلاء جهِلَه ، وإلى أيِّ شيءٍ يَلجأُ إلا إلى الطَّعن على ما لم يعرفْه))[١] ، فأطلاق الصولي الحكم المسبق بعلم (مزاحم) بجهل هؤلاء من خلال ضمير التملك الكاف ، ما هو الا فهم الصولي للاطار الاجتماعي العام في ذيك الفترة فعملية فهم ((الاطار ضرورية للتفسير المحدد لأحداث اجتماعية اكثر تباينا ، لإسهام خاص كاف في تلك الاحداث ، وبوجه عام لإيجاد مدلول لسلوكنا الخاص وسلوك الاخرين))[٢] ، من خلال ما يمتلكه المتكلم (الصولي) من خزين لغوي ، يسهم في بلورة ايديولوجياته بالشكل الذي يتوافق مع النظام اللغوي فــ((اللغة في الواقع تكشف في كل مظاهرها وجها فكريا ووجها عاطفيا ويتفاوت الوجهان كثافة حسب ما للمتكلم من استعداد فطري وحسب وسطه الاجتماعي والحالة التي يكون فيها))[٣] ، باعتبار أنّ ((اللغة هي العروة الوثقى التي جعلت الاتصال في اللغة يهدف الى البحث في ماهية اللغة ، من حيث كونها اداة اتصال . يستعملها المشتغلون في وسائل الاتصال))[٤] .

ب- الافتراض المسبق الواقعي يرتبط الافتراض المسبق الواقعي بالصدق لأنّه ((يحتوي علــــــــــــى افتراضـــــــــــــات مســــــــبقة واقعية ؛ فمثلا لم ادرك انه كـــان

---

(١) اخبار ابي تمام ، ص١٥ .

(٢) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ، ص٢٧١ .

(٣) الاسلوبية والاسلوب . طبعة منقحة مشفوعة ببيلوغرافيا الدراسات الاسلوبية والبنيوية . عبد السلام المسدي . الدار العربية للكتاب ، ليبيا – طرابلس ، ط٣ ١٩٨٢ ، ص٤٠ .

(٤) البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد ، ص٢٧٧ .

مريضا اي انه كان مريضا))[١] ، بمعنى أنّ ((الشريكين تربطهما علاقة تسمح بطرح هذا السؤال))[٢] ، من خلال مؤشرات واقعية مرتبطة بالواقع تؤدي الى التواصل بما يمتلكانه من مخزون معرفي / ذهني ((ويشمل هذا المخزون كل ما يعرفه كل من المتكلم والمخاطب عن عالم الواقع وعن عوالم ممكنة اخرى))[٣] ، بمعنى ((انه يفترض مسبقا صحة المعلومة المذكورة بعده))[٤] ، فطالما أنّه (الافتراض المسبق الواقعي) مشروط بالصدق ، فأنه يشابه الافتراض المنطقي او الدلالي لان الاخير ((مشروط بالصدق بين قضيتين ، فاذا كانت أ صادقة كان من اللازم ان تكون ب صادقة))[٥] ، كقول الصولي : ((... وذِكْرِ مَنْ عرَفهم فقدَّمه وقَرَّظَه ، والاحتجاجِ على من جَهِلَه فأخَّره وعابَه ؛ ومَعَ مَنِ كان يمدحُه ويراسلُه وينتجِعُه طارئاً إليه ، وأذكُر جميعَ ما قيل فيه ، وإن كان قصدي تبيينَ فضْلهِ والردّ على من جهِل الحقّ فيه))[٦] .

نُلاحظ من سياق الخطاب الخارجي أنّ الصولي اراد انصاف الحق وتبيينه للسائل (مزاحم) ،بعدما كثر الحديث وانقسام الناس الى فريقين ، فريق يناصر ما ذهب اليه ابو تمام ، وفريق يناقض ويرد على كل ما جاء به ابو تمام ؛ فالصولي يلتزم مع الفريق الاول ويريد ان يجعل من نفسه موازنا وحاكما في الوقت نفسه بانه يعرض آراء من قدمه وقرضه ، وآراء من اخره وعابه ويوازن بينهما وفي الوقت نفسه يحكم لابي تمام بالجودة والابداع و (الرد على من جهل الحق فيه) ، فالخطاب التواصلي بين المتحاورين يكشف لنا افتراضا مسبقا واقعيا في قوله (تبيين فضله) ، اي كان له فضل مسبق ، وقوله : (والرد على من جهل الحق فيه) اي يوجد جـــــــــاهل فيه ، فالخلفية

---

(١) التداولي ، ص٥٤ .

(٢) التداولية عند العلماء العرب ، ص٣١ .

(٣) المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ، ص٢٣ .

(٤) التداولية ، ص٥٥ .

(٥) افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص٢٨ .

(٦) اخبار ابي تمام ، ص٥ .

التواصلية مشتركة بين اطراف العملية التواصلية (المخاطب والمخاطب اليه) ، لذلك لم نلحظ تطويلا في الخطاب التواصلي من قبل الصولي ؛ لانّ اطراف العملية التواصلية ذوا معرفة مشتركة لـذلك تجاوز ذكر المسلمات المعروفة ، فضلا عن شرحها .

ث- الافتراض المسبق غير الواقعي – او افتراض مسبق مناقض للواقع بمعنى إنّ الذي يفترض مسبقا ليس غير صحيح فحسب ، وانما هو عكس ما هو صحيح او مناقض للحقائق))[1] ، كقول الصولي : ((ولقد حدثني بنو نَيْبَخْت – وما رأيتُ أبا العباسِ أحمدَ بن يحيى على جلالِته عند أحدٍ أجلَّ منه عندهم وكلُّهم ينتسبُ إليه في تعلمِه ، أنه قال لهم : أنا أُعاشرُ الكتّابَ كثيراً و خاصةً أبا العباس ابن ثَوابةَ ، وـأكثَرُ ما يجري في مجالسِهم شعرُ أبي تمام ولستُ أعلمه ، فاختارُوا لي منه شيئاً ، فاخترنا منه له ودفعناه إليه ، فمضى به إلى ابن ثوابه ، فأستحسنه ، فقال له : إنه ليس مما اخترتُ، وإنما اختاره لي بنو نَوْبَخْتَ ، قال : فكان يُنشدُنا البيتَ من شعره ثم يقول : ما أراد بهذا ؟ فنشرحُه له ، فيقول : أحسنَ والله وأجاد !))[2] ، نُلاحظ من خطاب الصولي التواصلي والذي جرى بين الكتاب والمبرد ، والذي يفترض مسبقا أنّ الاخير ((كان يحفظ كثيرا من اللغة وغريبها ، واحفظ الناس في عصره للأخبار ، واسع الاطلاع في النحو .. وقد الف كتبا كثيرة في فروع الثقافة العربية المختلفة ، الف في النحو (المقتضب) وغيره ، والف في اعراب القرآن ، وفي قواعد الشعر ، وضروب الشعر ، وشرح كلام العرب وتخليص الفاظها))[3] ، فيعد المبرد افتراضاً مسبقاً أنّه استاذ في العربية والكل يشهـــد

---

(١) التداولية ، ص٥٧ .

(٢) اخبار ابي تمام ، ص١٥-١٦ .

(٣) ضحى الاسلام (مهرجان القراءة للجميع) ، احمد امين ، مكتبة الاسرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر – القاهرة ١٩٩٧ ، ج١ : ٣٣٢ .

بعلمه وطول باعه فيه وأنّ المتكلم (الصولي) له معرفة مسبقة به - إذا علمنا - أنّ الاخير قد تتلمذ على يده ، فهذه الافتراضات المسبقة حول علمية واستاذية المبرد تتنافى مع جهله لشعر ابي تمام ، واستعانته بـ(ابن ثوابه وبنو نوبخت) بشرحهما لشعر ابي تمام له ، فهذا يدلل على أنّ المعلومة المسبقة أنّ المبرد عالم واستاذ لم تكن خطأ فحسب بل مناقضة للحقيقة والواقع . وهذا ما اراد الصولي اثباته بقوله : ((فهذا قصة امام من ائمة الطاعنين عليه عندهم))[١] ، فلفظة امام افتراض مسبق لكل ما تحوية الكلمة من العلم والفهم والعدالة ... الخ تتنافى وتتناقض مع الحقيقة والواقع فـ((اهداف الخطاب تتراوح من مجرد ملء اوقات الفراغ بين اطراف الخطاب ، الى السيطرة على ذهن المرسل اليه ، او تغيير العالم الحقيقي من خلال الخطاب))[٢] .

ج- الافتراض المسبق المعجمي : ((الذي يفسر استعمال صيغة بمعناها المؤكد عادة بالافتراض المسبق ان معنى اخر (غير مؤكد) قد تم فهمه ، فكلما ذكرت ان شخصا تمكن من انجاز شيء ما ، يصبح المعنى المؤكد ان ذلك الشخص نجح بطريقة ما ... مثل بدأوا بالتذمر اي لم يكونوا متذمرين من قبل ، في حالة الافتراض المسبق المعجمي يؤخذ استعمال المتكلم لتعبير معين على ان يفترض مسبقا مفهوما اخر غير مؤكد))[٣] ، ومثال الافتراض المسبق المعجمي قول الصولي : ((وإنه ليخفُّ عَلَيَّ من حاجتك ما يثقُلُ عَلَيَّ من سواك ، لتقدُّمك وتقدُّمِ أخويك : أبي الفتح وأبي القاسم – أعزكم الله – في العلمِ والفهمِ والدينِ والصِّدقِ))[٤] .

يتضمن خطاب الصولي لآل مزاحم افتراضا مسبقا انهم مقدمون في العلم والفهم والصدق وذلك من خلال توظيفه للفعلين (لتقدمك - تقدم) اللذين يتضمنان افتراضا مسبقا على تقدم (آل مزاح) في العلم والفهم والدين والصدق وهو المـــعنى المباشر من

---

(١) اخبار ابي تمام ، ص١٦

(٢) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص١٤٩ .

(٣) التداولية ، ص٥٥ .

(٤) اخبار ابي تمام ، ص١٣ .

من سياق خطابه التواصلي ، اما المعنى التداولي او المعنى القصدي هو أنّ (آل مزاحم) لم يكونوا مشهورين او بارزين على الساحة الادبية بسبب التعتيم الاعلامي (اذا صح التعبير) ،والتركيز على اسماء بعينها احتلت الساحة الادبية دونما علم او معرفة ، فنُلاحظ أنّ الصولي قد عمد الى ذكر (آل مزاحم) بأسمائهم ، فالمعنى المؤكد أنّ فاتكاً وابا الفتح وابا القاسم افتراض مسبق انهم مقدمون في العلم والفهم والدين والصدق ، اي لم يخصهم (الصولي) بألفاظ التوكيد في هذا المقام وهما (نفس او عين) ، وانما اكدهما بـــ(العلم الفهم الدين الصدق) ، لان ((ليس المقصود هنا من نفس الشيء او عين الشيء مقصورا على حقيقته المادية المحسوسة (اي : التي ندركها بأحدى الحواس) وانما المقصود عام يشمل تكوينه المادي المحسوس كما يشمل تكوينه الذاتي الاصيل غير المحسوس بأحدى الحواس ، مثل العلم – الفهم- الصدق))(١) ، اما المعنى غير المؤكد أنّ فاتكاً وأخويه لم يكونوا بارزين على الساحة الادبية من قبل وهذا لا يكون من دلالة سطح الخطاب التلفظي وهو ما اشار اليه تودوروف على ضرورة ((اخذ المظهر التلفظي من النص الادبي بعين الاعتبار))(٢) ، فـ((اي دراسة تصبو الى تحقيق الشمولية ، والمنهجية ، العلمية لابد لها من الاعتناء بسطح الخطاب كما تعتني بعمقه لان الواحد منهما يعمل بشكل مستمر على كشف جمالية الاخر ، اي الكشف يقتضي تحليل الكل ، لان التجزيء يخل بالرؤية الشاملة))(٣) ، اي إنّ ((... هذه الايديولوجية المخبوءة في النصوص لا تأتي من الجانب الشكلي وحده المتصل بالألفاظ والنحو وغير ذلك مما يتعلق بالنص الظاهر على صدر الصفحات ، بل يجب ان نتحسس ما هو خارج النص من عالم موازٍ .. لا يمكن فيه بحال ان تنقطع الالفاظ ومعانيها عن سياقاتها المتصلة بها))(٤) .

---

(١) النحو الوافي ج٣ ، ٥٠٣ . (الهامش) .

(٢) الشعرية ، ص٣١ .

(٣) التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون ، ص٥٩ .

(٤) الرمز والفن ، ص١٧ .

ح- الافتراضات المسبقة البنيوية : في هذه الحالة تحلل بعض بنى الجمل عرفيا وبإنتظام على انها تفترض مسبقا ذلك الجزء من البنية الذي افترضت صحته .. وبذلك يقبلها المستمعون على انها صحيحة))[١] ، ومثال ذلك قول الصولي متسائلا : ((فكيف يستحسنُ قومٌ ذهبَ هذا عليهم أن ينطقُوا في الشعر بحرف بعدما فهموه ؟))[٢] .

نُلاحظ في خطاب الصولي وجود بنية الاستفهام فيه ، والتي تتضمن افتراضا مسبقا بأنّ هؤلاء القوم استحسنوا قول الخريمي على قول ابي تمام ، ظنا منهم أنّ ابا تمام احتذى حذو الخريمي ، فنرى الصولي يعلل ذلك بقوله : ((لأن المعنى الذي أراده أبو تمام ليس ما اراده الخريمي))[٣] ، فبنية الاستفهام (كيف) تحيل الى افتراض مسبق ، ان ذلك الجزء من البنية افترضت صحته فالقصد التداولي الذي اراده الصولي هو قصر معرفة اولئك الذين يطلقون الاحكام دونما معرفة او الغوص في معانيها وما تحيل اليه ، فيكون استحسانهم افتراضاً مسبقاً بصحة ما ذهبوا اليه وهو استحسانهم قول الخريمي وذمهم لقول ابي تمام ، بزعمهم أنّ الاخير اخفق في قوله وأنّ الخــــريمي اجاد وابدع .

---

(١) التداولية ، ص٥٥-٥٦ .

(٢) اخبار ابي تمام ، ص١٣٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص١٣٤ .

المبحث الثالث : الإشاريات

تعد الاشاريات الجانب الابرز والفاعل في الخطاب التواصلي ، لأنّها تشرك المتكلم والسامع في تفسيرها بسياق معين ، اي إنّ ((كل تلفظ يوضع في مجتمع معنى ، لابد ان ينتج بطريقة ثنائية تتوزع بين المتلفظين الذين يتمرسون على ثنائية الاصاته وثنائية العرض))(١) ، اي أنّها (الاشاريات) : ((تعتمد اعتمادا تاما على السياق الذي تستخدم فيه ولا يستطاع انتاجها او تفسيرها بمعزل عنه))(٢) ، وما ذهب اليه سيبويه ت١٨٠هـ اكثر من ذلك إذ ((عدَّ كلمات الاشارة والضمائر كلها اسماء لان كل منها يقع موقع الاسم الأصلي ، ويقوم مقامه))(٣) ، إذ ((تستعمل التعابير التأشيرية بشكل اساس ومتزايد في التفاعل المنطوق وجها لوجه ، حيث يكون فهم لفظ يسيرا جدا على الحاضرين ولكن الغائب قد يحتاج الى ترجمة لفهمه))(٤) ، إذ يشترط على المتلقي في المقام الاول أنْ يتصف بــ((الاستعداد والتهيؤ لقبول التواصل والاستمرار فيه وحضور الذهن والاقبال على المتكلم والانصات وتقبل الخطاب والتجاوب مع قائله والتأدب وتعزيز القائل وتحفيزه بتعبير الوجه والحركة والاشارة))(٥) ، اما إذا تعذر فهم المتلقي في المقام الثاني فيكون اللجوء الى السياق المقامي الذي ((يوفر جزئيا ، بعض العوامل او المحددات التي تسهم في تحديد معاني التعبيرات اللغوية))(٦) ، فيسهم علم الدلالة المقامي ، الذي تتلخص مهمته بـ(تفحص السياقات واستخراج

---

(١) المقاربة التداولية ، ص٨٥ .

(٢) افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص١٥-١٦ .

(٣) افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص٢١٠ .

(٤) التداولية ، ص٢٧ .

(٥) تحليل الخطاب في ضوء نظرية احداث اللغة ، ص٣٠ .

(٦) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٤٣ .

المقامات التواصلية جراء الاشارات))[1] ، إذا اعتبرنا أنّ ((الخطاب تجسيدا لحال متغيرة جامعة لألوان من العواطف والمشاعر والاشياء))[2] .

فالإشارة هي : ((تعبير عن العلاقات الزمكانية للغة عن طريق الوسائل الاشارية))[3] ، فمعرفة الاشاريات او تفسيرها يعتمد على ((معرفة السياق المادي الذي قيلت فيه ومعرفة المرجع الذي تحيل اليه))[4] ، إذ ((تحيل كل كلمة على مدلول معين ، إلا إنّ بعضا منها يوجد في المعجم الذهني دون ارتباطه بمدلول ثابت ، فلا يتضح مدلولة الا من خلال التلفظ بالخطاب في سياق معين))[5] ، بمعنى إنّ لهذه المفردات بنية ظاهرة (سطحية) وبنية عميقة ، تسهم هاتان البنيتان في تحديد المعنى المقصود لهذه المفردات ، وكما يقول هيلمسلف ((ينبغي ان نميز خلال اللفظ والمحتوى شكلا ، وجوهرا اما الشكل فهو مجموعة العلاقات المعقودة ، عن طريق كل اداة داخل نظام ، وأن هذه المجموعة من العلاقات هي التي تسمح لأداة معطاة كي تملأ وظيفتها اللغوية . اما الجوهر فهو الحقيقة العقلية والشكل هو هذه الحقيقة نفسها ، كما هي مبينة عن طريق اللفظ))[6] ،

---

(١) التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، ص٩٠ .

(٢) البنية الايقاعية في شعر ابي تمام ، بحث في تجليات الايقاع تركيبا ودلالة وجمالا . رشيد شعلان ، عالم الكتب الحديث ، اربد – الاردن ، ط١ ٢٠١١ ، ص٨ .

(٣) افاق تداولية ج١ : ١٣٥ .

(٤) افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص١٦ .

(٥) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٧٩ .

(٦) بنية القصيدة في شعر ابي تمام ، ص١٤ .

فاذا ما وجدت هذه الاشاريات في اي خطاب تطلب وجودها وجود المعرفة بها من قبل (المتكلم والمستمع) بمعنى أنّها ((تعتمد جميع هذه التعابير في تفسيرها على متكلم ومستمع يتشاركان في السياق ذاته))[١] ، بيد إنّ هذه المشاركة في المعارف اللغوية لا تتم بمعزل عن ((قدرات اخرى منطقية ومعرفية واجتماعية وادراكية ، فمستعمل اللغة يستخدم في اثناء عملية التواصل ، بالإضافة الى ملكته اللغوية ، ملكات ذات طبيعة غير لغوية تسهم في انجاح هذه العملية))[٢] ، فالسياق هو المحيط الذي يحوي هذه الوحدة اللغوية ، والذي من خلاله يتحدد المعنى المقصود ، لذلك ((قسمه الدراسون الى قسمين رئيسين هما :

١- السياق اللغوي : وهو ما يسبق الكلمة وما يليها من كلمات اخرى ، اي إنّه البيئة اللغوية المحيطة بالعنصر اللغوي . بما تشتمل عليه من عناصر لغوية مختلفة تفيد في الكشف عن معنى الكلمة او الجملة .

٢- السياق غير اللغوي : ويسميه الدارسون (سياق الحال او الماجريات) ، ويقصد به الظروف الخارجة عن اللغة . المتعلقة بالمقام الذي ترد فيه الكلمة ويشمل جميع الظروف المحيطة بالحدث اللغوي .))[٣] ، فيجعلها ((مقبولة وناجحة وملائمة في الموقف التواصلي))[٤] ، فمن خلال السياقين (اللغوي – غير اللغوي) يتبين المعنى المقصود وهذا يتوقف على وجود ((الكفاءة الايديولوجية والثقافية للاشخاص اي مجموعة المعارف التي يمتلكونها والتمثلات التي يكونونها عنه،مجـــــال امتدادها (اي

---

(١) التداولية ، ص٢٧ .

(٢) الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، ص٢٢ .

(٣) التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، ص١٢٣ .

(٤) البلاغة والنقد والمصطلح والنشأة والتجديد ، ص٢٨٠ .

امتداد الكفاية الايديولوجية والثقافية))[١] ، فـ((كلما ازدادت الاشياء المشتركة بين متكلمين قل استخدام اللغة التي يحتاجانها لتعريف اشياء مألوفة عندهما ، يوضح هذا المبدأ الاستعمال المتكرر لكلمات مثل (هذا ، وذلك) للاشارة الى اشياء تدخل ضمن سياق الملموس المشترك))[٢] ، فـ((المتكلم والمخاطب هما الطرفان الاساسيان في عملية التواصل))[٣] ، بمعنى إنّ قطبي التواصل (المتكلم والمستمع) يعرفان ما تحيل اليه هذه الاشاريات دونما الخوض في تفاصيلها بسبب تلك المعرفة ، وهذا ما تطرق اليه بارهييل بأنّه ((لا يمكن للاستعمال التواصلي للغة العادية ان يتخلى عن التعابير الاشارية))[٤] ، وما تحيل اليه .

فالتأشير : هو ((مصطلح تقني يستعمل لوصف احدى اهم الاشياء التي نقوم بها في اثناء الكلام ، التأشير يعني الاشارة من خلال اللغة ، ويطلق على اية صيغة لغوية تستعمل للقيام بهذه الإشارة مصطلح (التعبير التأشيري)))[٥] ، اي إنّ الاشارة ((اسم يعين مدلوله تعيينا مقرونا بإشارة حسيه اليه . كأن ترى عصفورا وتقول وانت تشير اليه (ذا) رشيق : فكلمة (ذا) تتضمن امرين معا ، هما : المعنى المراد منها (اي : المدلول المشار اليه ، وهو : جسم العصفور) ، والاشارة الى ذلك الجسم في الوقت نفسه ، والامران مقترنان يقعان في وقت واحد ، لا ينفصل احدهما عن الاخر ، لانهما متلازمان))[٦] ، فـ((الاشاريات هي تلك الاشكال الاحالية التي ترتبط بسياق المتكلـم

---

(١) في التداولية المعاصرة ، ص٧٢ .

(٢) التداولية ، ص٢٦ .

(٣) التداولية عند العلماء العرب ، ص١٨٦ .

(٤) المقاربة التداولية ، ص٤٤ .

(٥) التداولية ، ص٢٧ .

(٦) النحو الوافي ج١ : ٣٢١ .

مع التفريق الاساس بين التعبيرات الاشارية القريبة من المتكلم مقابل التعبيرات الاشارية البعيدة عنه))[١] ، بمعنى أنّ الاشاريات لا تختص بمدلول خاص وثابت ، وانما تتغير تبعا لسياق التخاطب ، وظروف المقام وما يلائمه من اشاريات خاصة بذلك المقام ؛ فالمقام يحدد نوع الاشارة وما تختص به من احالة بسياق تخاطبي معين نظرا لما ((تقدمه من خدمة للتواصل الكلامي ويتمثل ذلك في كون الكلمات والجمل والعبارات اللغوية تعتمد اعتبارا كبيرا على السياق القابعة فيه ، اذ لا معنى لها الا في ضوء هذا الانتماء وعند ذلك يحدث التغير ويكسر طوق الثبات))[٢] ، اي إنّ لكل ملمح لغوي لابدأنْ يكون له معنى في سياق ومقام معينين لــ((انها تجعل كل عنصر حاملا لدلالة ما ، ابتداءً من الشكل الخطي المادي الذي تتجسد فيه الحروف الى التركيب الكلي للنص))[٣] ، ((لأنها مدعمة بالواقع المادي الخارجي وبالمؤكد اللفظي ايضا ، وهي تفيد التأكيد والاختصار في اللفظ لإغنائها عن ذكر المشار اليه واستحضاره في اللفظ))[٤] ، بمعنى أنّ الاشاريات لها مرجع من الواقع المادي المحسوس وما نفاه الفيلسوف والسيميائي الامريكي موريس بأنّ ((وجود العلامة غير مشروط بالوجود الملموس للمرجع المشار اليه))[٥] ، اي إنّه نفى أنْ يكون للاشارة / العلامة مرجع في عالم الموجودات او العالم المادي الملموس بأنّ ((المسمى يضل مختلفا عن المؤول او الشيء المحيل او الشيء المرجعي ، ولكنه يحيل على صنف من الأشياء اكـــــــــــثر من كــــــــــــــــــونه يحيـــــــــــــــل علـــــــــــــــى

---

(١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٨١ .

(٢) التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، ص٩٠ .

(٣) بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص٢٤٧ .

(٤) تحليل الخطاب في ضوء نظرية احداث اللغة ، ص٢٣١ .

(٥) التداولية من اوستن الى غوفمان ، ص٤٤ .

شيء محدد))[١] ، وهذا ما اكدته نعوم تشومسكي بأنْ ((تفرض السمات الدلالية تحليلا في ضوء الخواص النوعية للتصميم المقصود والاستعمال ، خارجا مسماً ، وفي الواقع تعقيدا اكثر بكثير ... تنطوي الضمائر الشخصية على تبعية الاحالة ، لكن ليس بالضرورة الى الشيء نفسه))[٢] ، نتبين من ذلك أنْ استعمال المتكلم لهذه الاشاريات – بغض النظر عن كونها تطابق الواقع المادي المحسوس او غير ذلك – هو لغرض تحقيق غاية اي ((ليس الفعل الانساني العقلاني هو الغرضي فقط بهذه الطريقة ، بل كذلك حيث لا يكون هناك شك في تعيين الغايات واختيار الوسائل – كما في جميع العلاقات الحية))[٣] ، لذلك يمكن القول إنّها ((تنتسب الاشاريات الى حقل التداوليات ،لانها تهتم مباشرة بالعلاقة بين تركيب اللغات والسياق الذي تستخدم فيه))[٤] ، إذ يشترط التلفظ بها هو حضور المتخاطبين حضورا عينيا او ذهنيا لأدراك مرجعها ، لذلك عدت من المبهمات ((ويقال لهذه الاسماء مبهمات ، لأنّها تشير بها الى كل ما بحضرتك ، وقد يكون بحضرتك اشياء فتلبس على المخاطب ، فلم يدرِ الى ايها تشير ، فكانت مبهمة لذلك .. ومعنى الاشارة الايماء الى حاضر بجارحة او ما يقوم مقام الجارحة فيتعرف بذلك))[٥] ، بمعنى أنّ الاشاريات خالية من اي معنى في ذاتها ، ما لم توظف في سياق الخطاب التداولي إذ ((يقـــــف دور الاشاريات في الســـــياق التـــــداولي عـــــند الاشاريات الظاهرة ، بل يتجـــاوز الى الاشـــــــاريات

---

(١) التداولية من اوستن الى غوفمان ، ص٤٤ .

(٢) افاق جديدة في دراسة اللغة والعقل . نعوم تشومسكي ، ترجمة. عدنان حسن ، الناشر. دار الحوار للنشر والتوزيع . اللاذقية – سوريا . ط١ ٢٠٠٩ ، ص٢٧١-٢٧٣ .

(٣) الحقيقة والمنهج الخطوط الاساسية لتأويلية فلسفية ، هانز جورج غادامير ، ترجمة. حسن ناظم وعلي حاكم صالح . راجعه على الالمانية. جورج كتورة ، الناشر. دار اويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية . ليبيا – طرابلس ، ط١ ٢٠٠٧ ، ص٥٩٥ .

(٤) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٨٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٨٠ .

ذات الحضور الاقوى ، وهي الاشاريات المستقرة في بنية الخطاب العميقة ، عن التلفظ به ، وهذا ما يعطيها دورها التداولي في استراتيجية الخطاب ، وذلك لأنّ التلفظ يحدث من ذات بسمات معينة ، وفي مكان وزمان معينين ، هما مكان التلفظ ولحظته))[١] ، وقد لا ترتبط الاشارة بعنصر التلفظ او تكون ظاهرة في بنية الخطاب كي تكتسب القوة والحضور فهنالك ((التعبير الاشاري الجسدي جزء من التعبير اللفظي الذي يحتمل النقض والجدل ، بيد ان الاشارة ترتب عليها دليل قطعي لا يحتمل المراجعة))[٢] ، ومجمل القول أنّ الاشاريات ((ضرورية لضمان علاقة اللغة بالواقع))[٣] .

وقد يكون مرجع هذه الضمائر هو ذات المتكلم نفسه ، اي تكون عائدية هذه الضمائر الى المتكلم فتعكس هذه الضمائر الشخص المتكلم ، شريطة أنْ يحكم هذه العلاقة ((حدث يمكن ان ينعكس على الفاعل او يعود عليه ، فاذا لم يكن الحدث صالحا للانعكاس لم يكن استخدام الضميمة المنعكسة معه))[٤] ، اي ((ان الضمير يكون منعكسا اذا كان مفعولا للفعل ، متحدا مع الفاعل او عائدا اليه))[٥] ، ومن هذه الاشاريات هي :

١- الاشاريات الشخصية :

((وهي بشكل عام الاشاريات الدالة على المتكلم ، او المخاطب ، او الغائب . فالذات المتلفظة تدل على المرسل في السياق .. فذاته المتلفظة تتغير بتغير السياق الذي تلفظ فيه))[٦] ، شريطة أنْ تكون محددة المرجع ((وقد نبه بيرس الى ان الاشاريات ينبغي ان تكون محددة المرجع بتحقـــــــق

---

(١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٨١ .

(٢) تحليل الخطاب في ضوء نظرية احداث اللغة ، ص٢٦٧ .

(٣) المقاربة التداولية ، ص٢٩ .

(٤) افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص٢٥٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٢٣١ .

(٦) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٨٢ .

العلاقة الوجودية بين العلامة وما تدل عليه))[١] ، وتحدد الضمائر الشخصية بعائديتها او انعكاسها على ذات المتكلم وتقسم الى ثلاثة اقسام :

أ- عائدية ضمير المتكلم وانعكاسه على المتكلم : كقول الصولي : ((ولولا أنَّ بعضَ أهلِ الأدبِ ألَّفَ في أخْذِ البحتريِّ من ابي تمام كتابا ، لكنتُ قد سُقتُ كثيراً مثلَ ما ذكرنا ، ولكنَّني أكرهُ إعادةَ ما أُلِّفَ ، وأجْتنبُ أن أجْتذبَ من الأدبِ ما مُلِكَ قبلي))[٢] ، احتوى خطاب الصولي جملة من الاشاريات الشخصية الظاهرة والمضمرة أذ ((اقام الخطاب على اسس توثيقية توكده في الصدق ، اهمها الاسناد الى المتكلم والمباشرة بالتوجه الى المخاطب ، والقول المنجز والاحتجاج بالواقع والاحالة اليه))[٣] ، بمعنى أنّ الصولي حينما يوظف جملة من هذه الاشاريات ، والتي بمجملها تحيل اليه ، تكون نابعة من الواقع وموسومة بالصدق دونما تزييف في مصداقيتها لغرض تحقيق هدف يصبو / يرنو اليه الصولي وهو احقاق الحق ولجعل من ذاته ذاتا حاضرة وفاعلة ، لذلك اكثر الصولي من الضمير المستتر (أنا) في الافعال (اكره – اجتنب – اجتذب) ؛ لإعطاء الانا المتمثلة بالضمير المستتر سلطة لذات الصولي لانّ ((المستتر في حكم الموجود المنطوق به لأنّه يدل عليه اللفظ والعقل بغير قرينة فهو كالموجود ولذلك كان خاصا بالعمد))[٤] ، بمعنى إنّ ((اداة الاشارة التي تحيل على المرسل من اهم الاشاريات التي يستعملها لتأكيد سلطته او ابداعها))[٥] ، فنرى الصولي قد عمد الى الاضمار ليؤسس سلطته ويمنحها الامتداد الزمني الذي يريده ، إذ يحيـــل الصولي هذه الضمائر

---

(١) افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص١٨ .

(٢) اخبار ابي تمام ، ص٧٩ .

(٣) تحليل الخطاب في ضوء نظرة احداث اللغة ، ص١٥٩ .

(٤) النحو الوافي ج١ : ٢١٩-٢٢٠ . (الهامش) .

(٥) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٢٤٦ .

المستترة الى نفسه ، فعائدية هذه الضمائر له ، إذ إنّ ((الضمائر المستترة في النحو العربي ضرب من الاشاريات التي تدرك الاحالة عليها من السياق ، فلا يتلفظ بها المرسل لدلالة الحال عليها ، ويتطلب البعض منها حضور اطراف الخطاب حضورا عينيا))[١] ، إذ لا يشترط حضور اطراف الخطاب (المتكلم والمستمع) في بعض الاحيان حضورا عينيا في اثناء التلفظ بهذه الضمائر المستترة . فقوله : (قد سقت كثيرا مثل ما ذكرنا) فنلاحظ أنّ الصولي قد استعمل ضمير الجمع (نا) الذي يعكس ذاته فيه ، اذ يحيل الضمير (نا) للصولي الذي استعمله بصيغة الجمع والذي يدل على التعظيم وعلو الشأن وفيه نكته التواضع حيث ((ان الضمائر الشخصية بمثابة خدم اللغة المتواضعين ، لأنه يمكن لنا ان نطوعهم للخدمة في انجاز الوظائف الرمزية ذات المستوى الرفيع))[٢] ، بعدها بنية لغوية تسهم في تشكيل الخطاب وتوجيهه وجهة ما ، فـ((السياق العام وظروف الحدث اللغوي وما يتعلق به من ظروف المخاطب اليه والمخاطب لها الاثر الكبير في تغيير نمط هذه الدلالة وتوجيهها مع ما ينسجم ومقتضيات المقام))[٣] .

ب- عائدية ضمير المخاطب وانعكاسه على المتكلم : كقول الصولي في حواره مع عبدالله جار المبرد : ((دخلت إلى عبدالله مع أبنه أبي هاشم ، وكان لا يفارق مجلس أبي العباس ، فوجد البحتريَّ قد انصرف فساءني ذلك ، فقال لي عبدالله ، وكان ممَّن عليه الأدب والرواية : أنا أُحضره يوماً آخرَ لك))[٤] .

نلاحظ من خطاب الصولي التواصلي والذي جرى بينه وبين عبدالله جار المبرد ،

---

(١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٨٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٨٨ .

(٣) التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، ص٣٥٤ .

(٤) اخبار البحتري ، ص٥٢ .

احالة ضمير المخاطب (الكاف) في قول عبدالله للصولي : (انا احضره يوما اخر لك)، فعائدية ضمير المخاطب (الكاف) تعود للصولي و الذي يفهم من سياق الخطاب التلفظي ، فيسمى مع ضمير المتكلم ((ضمير حضور لأنّ صاحبه لابد ان يكون حاضرا وقت النطق به))[١] ، وقد ((ذكر ابن الباذش لإفراد الكاف اذا خوطب به جماعة تأويلين احدهما : ان يقبل بالخطاب على واحد من الجماعة لجلالته ، والمراد له ولهم . والثاني : ان يخاطب الكل ، ويقدر اسم مفرد من اسماء الجموع يقع على الجماعة ...))[٢] ، نتبين من ذلك أنّ الدلالة البنيوية لضمير المخاطب (الكاف) هو جلالة قدر الصولي من بين الجماعة الذين يتدارسون في مجلس المبرد ، إذ خصَّ المرسل (بفتح السين) عبدالله للصولي (المرسل اليه) بهذه الميزة والتي تدل عليه (كاف الخطاب) .

ت- عائدية ضمير الغائب وانعكاسه على الشخص المتكلم : كقول الصولي : ((وجدتَ أكثرَ ما أمليتُ من كتابِ (الشامل في علم القرآن) وكتاب (الشبان والنوادر) ، وما مرَّ من شعر أبي نواس ، قد كتبه كلَّه بخطِّه ، واتخذه أُصولاً ينفقُ منه تفاريقَ على من يَقصِدُه ويَطلبُ فائدتَه ، فأكبَرْتَ ذلك ، وكثَّر منه عَجَبُك))[٣] .

يسوق الصولي خطابة التواصلي مع (فاتك بن مزاحم) ،مستغربا ومتسائلا في الوقت نفسه للحال الذي وصل اليه مناؤوه من سرقة نتاجاته ونسبتها اليهم ، إذ يعبر ضمير الغائب على الصولي وذلك بقوله : (وجدت اكثر ما أمليت) ، فالمعبر عن هذا الضمير (الهاء) هو الكتب والمؤلفات التي املأها والتي تعود عائديتها للصولي ، فتعبر هذه المؤلفات عن ذات الصولي نفسه ؛ لأنّها ملكه والمعبرة عنه فـ((ضمائر الغيبة بصورة اعم جميع التعابير التي تشير الى شيء ما في الكون ، ولكنها اشارة غيـــــــر

---

(١) النحو الوافي ج١ : ٢١٨ .

(٢) استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ، ص٣٠٠ .

(٣) اخبار ابي تمام ، ص١١ .

مباشرة ظاهريا على الاقل من خلال تعيينه في قول سابق بواسطة تعبير احالي مختلف))[١] ، فنرى الصولي قد استعمل ضمير الغائب والذي عبر به عن كتتبه ومؤلفاته ، لغرض التفاعل مع قضيته والتي يريد بها اشراك المرسل اليه معه فيها ، إذ إنّه ((من الممكن ان يختار المرسل تلك الضمائر في التفاعل لاسباب تتجاوز تلك الاسباب التي تنعكس في المستوى التصنيفي او المستوى الصوري ، فتعمل اتصاليا كأدوات تعكس المظاهر المتنوعة لسلوك المرسل او الوضع الاجتماعي او الجنس ، او الدوافع وهلم جرا))[١] ، باعتبارها ((عماد الخطاب))[٣] .

٢- الاشاريات المكانية :

((وهي عناصر اشارية الى اماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم ، او على مكان اخر معروف للمخاطب او السامع ، ويكون لتحديد المكان اثره في اختيار العناصر التي تشير اليه قربا او بعدا او وجهة))[٤] ، إذ تعتمد الاشاريات المكانية اعتمادا كليا على ((السياق المادي المباشر الذي قيلت فيه))[٥]،كونه ((يعتبر عاملا مهما في تحديد محتوى القضية لإمارات معينة من نقوش الكلام في مناسبات مختلفة من النطق))[٦] ، وبواسطته يتم تحديد الموقع النسبي للأشخاص او الاشياء ويكون ذلك بـ((الانتساب الى نقاط مرجعية في الحدث الكلامي ، وتقاس اهمية التحديد المكاني بشكل عام انطلاقا من الحقيقة القائلة ان هناك طريقتين رئيسيتين للإشـــارة الى

---

(١) التداولية اليوم علم جديد في التوصل ، ص٢٠٥ .

(٢) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٢٨٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٢٦٧ .

(٤) افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص٢١ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٢١-٢٢ .

(٦) اللغة والمعنى والسياق ، ص٢٢٣ .

الاشياء هما : اما بالتسمية او الوصف من جهة اولى ، واما بتحديد اماكنها من جهة اخرى))[١] ، ((مع الاخذ بنظر الاعتبار الفرق الاساس بين التعابير التأشيرية التي تعبر عن حالتي قرب المتكلم وبعيدا عن المتكلم))[٢] ، ويكون ذلك من خلال المعنى الذي يقصده المتكلم ((واكثر الاشاريات المكانية وضوحا هي كلمات الاشارة نحو هذا وذاك للاشارة الى قريب او بعيد من مركز الاشارة المكانية وهو المتكلم ، وكذلك هنا وهناك وهما من ظروف المكان التي تحمل معنى الاشارة الى قريب او بعيد من المتكلم ، وسائر ظروف المكان مثل فوق وتحت وامام وخلف ... الخ كلها عناصر يشار بها الى مكان لا يتحدد الا بمعرفة موقع المتكلم واتجاهه))[٣] ، فمثلا قول الصولي : ((وأوّلُ ما رأيتُ البحتريَّ سنةَ ستٍ وسبعين ومائتين ، ونحن في مجلس المبرّد في مسجدة ، وكان يجلس على ُدكّان في المسجد قليلِ الارتفاع ، بابُ المسجد عن يساره ، فاذا سلَّم عليه من يُعظِّمه التفت بجُمْعِه عليه))[٤] ، يبتدىء الصولي ساردا فيها الحادثة التي شهدها ، إذ يعرض فيها زماناً ومكاناً معينين اي ((ان لكل حادثة زمن فلابد لها من مكان ايضا ، واذا استحال ان يخلو زمان من حادثة استحال ان يخلو مكان من حادثة ايضا))[٥] ، فنلاحظه يفصل / يشرح مكان الحادثة لما لها من دور بارز في معرفة الشخصية المعنية والتي تتمركز / تتمحور في مضمون الخطاب التداولي / الاستعمالي ، فيمثل (المجلس) مكان اجتماعهم (الصولي وجماعته) ((اي : مكان الجلوس – مكان الرجوع

---

(١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٨٤ .

(٢) التداولية اليوم ، ص٢٨ .

(٣) افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص٢٢ .

(٤) اخبار البحتري ، ٤٩ .

(٥) النحو الوافي ج٢ : ٢٥١ .

ـ مكان القصد ـ مكان الوثوق ـ مكان الوأل (اي : الالتجاء))[1] ، فهذا الاجتماع حدث في مكان محدد يدلل على قرب المجتمعين (المبرد وطلابه) ومن ضمنهم الصولي ، ثم يبين الصولي علم المبرد وطول باعه فيه من خلال وصفه للمكان إذ كان يجلس المبرد على دكان في المسجد قليل الارتفاع ، فيلاحظ أنّ الدكان وهو (الدكة) مكان يرتقيه الاستاذ الذي اهله علمه وحصافته ، بأنْ يجلس على هذه الدكة (قليل الارتفاع) دلالة على الفوقية والتمايز ، ولغرض تمييز الاستاذ عن طلابه ، والظاهر أنّ الصولي قد عمد الى تحديد موقع جلوس المبرد وفي اي جهة من المسجد فقد كان الاخير يجلس و (باب المسجد عن يساره) ، فـ((ان معرفة المواقع في كل من الخطابين ، تستلزم شيئين هما : معرفة مكان التلفظ واتجاه المتكلم ؛ لانه قد يقود استعمال اشاريات المكان في غياب الدقة في التحديد عن التلفظ الى اللبس))[2] ، وقوله في موضع اخر ((وسأذكر شيئاً مما عابه عليه مَنْ لا يدْرِي ، وأُبينِّهُ لك ـ اعزَّك الله ـ ها هنا ، إلا أن يمرَّ غيرهُ في موضعه من شعره إن شاء الله))[3] .

نُلحظ من الخطاب التواصلي الذي جرى بينه وبين مزاحم ، إنّه عامل الاشياء القريبة الى نفسه انها قريبة مكانيا ، لذلك استعمل (هنا) إذ يشير الى مكان قريب ((التي تدل على القريب))[4] ، فإذا ما كانت هذه المعلومات قريبة الى نفسه وحاضرة في الوقت نفسه استعمل لها استعمالا مكانيا ، نتيجة لحضورها في الذهن فيستلزم هذا الحضور مكانا قريبا للألقاء وقوله ايضا : ((وأن السُّيوفَ تقعُ في وجوهِهم ورءُوسِهم لإقْبالِهِمْ ، ولا تقعُ في أقفائِهم وظُهورِهم لإنَّهمُ لا ينهزِمون ، ولذلك قال كعبُ بن زُهَير في قصـيدتِه

---

(١) النحو الوافي ج٣ : ٣٢٠ .

(٢) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٨٥ .

(٣) اخبار ابي تمام ، ص٢٩ .

(٤) استراتيجيات الخطاب ، ص٨٥ .

التي امتدح بها النبي – صلَّى الله عليه وآله – فآمَنَهُ بها بعد أنْ نذرَ دمَه))[1] ، استعمل الصولي في خطابه التأشيري الشخصي المتمثل بالأداة (ذلك) التي تعبر عن البعد ، اي بعد المشار اليه وذلك ((بزيادة حرفين معا في اخر اسم الاشارة ، هما (لام) في اخره تسمى : (لام البعد) ، يليها وجوبا (كاف الخطاب) الحرفية))[2] ، فحينما يستعمل الصولي اداة التأشير (ذلك) يرجع الى بعد المشار اليه كعب بن زهير عن مكان المتكلم (الصولي) بمعنى أنّ الصولي لـ(ذلك) هو التباعد المكاني والنفسي بينه وبين كعب بن زهير .

٣- التأشيرالزماني : هي ((كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس الى زمان التكلم ، فزمان التكلم هو مركز الاشارة الزمانية في الكلام ، فاذا لم يعرف زمان التكلم او مركز الاشارة الزمانية التبس على السامع او القارئ))[3] ، اي إنّها ((تشير الى نقطة او فترة زمنية يشكل زمن كلام المتكلم مركزها))[4] ، فـ((الزمن له مركزه – مركز توليدي ومحوري معا – في حاضر لغة الكلام))[5] ، إذ((تعتمد هذه التعابير في تفسيرها على معرفة وقت الكلام ذي العلاقة ، ... ويمكننا معاملة الاحداث الزمانية كأشياء قادمة الينا او مبتعدة عنا))[6] ، شريطة أنْ يحكم هذه الاشاريات الزمانية التحديد لمرجع التلفظ من قبل المرسل اليه ، إذ ((يلزم المرسل اليه ان يدرك لحظة التلفظ

---

(١) اخبار ابي تمام ، ص١٣٨ -١٣٩ .

(٢) النحو الوافي ج١ ، ٣٢٥-٣٢٦ .

(٣) افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص١٩ .

(٤) التداولية ، ٢٨ .

(٥) المقاربة التداولية ، ص٤٧ .

(٦) التداولية ، ص٣٤-٣٥ .

، فيتخذها مرجعا يحيل عليه ويؤول مكونات التلفظ اللغوية بناء على معرفتها))[١] ، من خلال معرفتها ، كقول الصولي : ((قد كان الخليلُ بن أحمد اذكى العربِ والعجمِ في وقته بإجماعِ أكثرِ الناس ، فَنفذ ُطبعه في كلِّ شيءٍ تعاطاه ، ثم شرع في الكلام فتخلفتْ قريحتُه ، ووقع منه بعيداً ، فأصحابُه يحتجُّون عن شيء لَفِظَ به إلى ألآن))[٢] .

اشتمل خطاب الصولي على جملة من الافعال الماضية وهي (كان – نفذ – تعاطى - شرع – تخلف – وقع) اشارة منه الى بعد الخليل بن احمد الفراهيدي (نفسيا وزمانيا) ، بدلالة زمنية الفعل الماضي ، اي لم يقتصر على ذكر فعل واحد لعلمه إنّه لا يعطي الفائدة المرجوة التي ينتظرها من الكلام ، فكل فعل ماضٍ ورد في خطاب الصولي يحمل دلالة يختص بها من خلال :

١- ((معنى ندركه بالعقل .
٢- زمن حصل فيه ذلك المعنى (اي ذلك الحدث) وانتهى قبل النطق بتلك الكلمة ، فهو زمن قد فات وانقضى قبل الكلام))[٣] ، بمعنى أنّ الدلالة الفعلية لهذه الافعال يدركها العقل ، لانها تدل بنفسها مباشرة دونما واسطة لذلك ، فمثلا الفعل (نفذ) اي الولوج و(تعاطى) اي التناول و (شرع) اي الشروع ... وهكذا ، ونلاحظ أنّ الصولي قد ابتدأ خطابه بـــ(قد) التي اتت قبل الفعل (كان) ، وذلك لغاية ارادها الصولي وهي لـــ((تقريب الحدث))[٤] ، إذ جعلها مقترنة بفعل ناقص (كان) ولم يدرجها مع فعل تام ؛ لأنّ كل فعل ناقص ((يدل على حدث ناقص (اي : معنى مجرد ناقص) لان اسناده الى مرفوعه لا يفيد الفائدة الاساسية المطلوبة من الجمـلة

---

(١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٨٣ .

(٢) اخبار ابي تمام ، ص١٢٦-١٢٧ .

(٣) النحو الوافي ج١ : ٤٧ .

(٤) تحليل الخطاب في ضوء نظرية احداث اللغة ، ص٧٨ .

الفعلية الا بعد مجيء الاسم المنصوب ، فالاسم المنصوب هو الذي يتمم المعنى الاساسي المراد ... فـ(كان) الناقصة مثلا تدل مع اسمها على حصوله ووجوده وجودا مطلقا (وهو : ضد العدم)))[١] ، بمعنى إنّ زمن الخليل وما جاء به من فكر واحكام هو نافذ ومطلق (في وقته) اي في زمنه ، فيجعل الصولي نفاذ علم الخليل على كل علم في وقت / زمن محدد وهو (وقته) ، فزمنية الفعل الماضي تعبر عن شيء وقع وانقضى ، فيكون هذا الانقضاء بعيدا عن وضع المتكلم الحالي إذ ((يمثل الزمن الماضي الصيغة القصية تتم معاملة حدوث شيء ما في الماضي غالبا على انه بعيد عن وضع المتكلم الحالي))[٢] ، فنحن حينما نمعن في كل زمن لتبيان دلالته ما هو الا تحضير للأشياء الزمانية المتمثلة ب(الان) اي ((من اجل تحديد مرجع الادوات الاشارية الزمانية ، وتأويل الخطاب تأويلا صحيحا يلزم المرسل ان يدرك لحظة التلفظ ، فيتخذها مرجعا يحيل عليه ويؤول مكونات التلفظ اللغوية بناء على معرفتها))[٣] ، فأداة الاشارة الزمانية (الان) ((للإشارة الى الوقت الذي ينطق خلاله المتكلم قوله والى الوقت الذي يسمع فيه صوت المتكلم))[٤] ، للإشارة بها الى ((امر تقادم عهده اي : (حصل ووقع ما تقوله حين اذا كان كذا وكذا ، واسمع الان كلامي))[٥] ، فـ((مرجع الاداة الاشارية الزمانية (الان) هو لحظة التلفظ بها مع انه يصعب تحديد هذه اللحظة تحديدا دقيقا ، فقد يمـــتد لبضع سنوات وقد تقصر

---

(١) النحو الوافي ج١ : ٥٤٥ . (الهامش) .

(٢) التداولية ، ص٣٥ .

(٣) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٨٣ .

(٤) التداولية ، ص٣٤ .

(٥) النحو الوافي ج٢ : ٢٤٨ .

دلالتها على لحظة التلفظ فقط))[1] ، بمعنى أنّنا لا يمكن لنا أنْ نحدد مرجع لحظة التلفظ بمجرد معرفة دلالة الاشارة الزمانية فـ((العبارة لا تقدم مرجعا زمانيا يمكن ان يسهم في تحديد زمن العودة))[2] . او لحظة التلفظ الزمني .

---

(١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٨٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٨٤ .

الفصـــــــل الثـــــالث

الوظائف التداولية

المبحث الاول : الرسالة جنسا ادبيا .

المبحث الثاني : الافعـــــال الكلامية .

المبحث الثالث : الأساليب اللـــغوية .

المبحث الاول : الرسالة جنسا ادبيا :

تعد الرسائل من انجع الوسائل الادبية في العملية التواصلية ؛ كونها تسهم في تطور وسائل التخاطب ، ولأنّها ((تمثل اهم مقام ادبي تعززت فيه الكتابة ، وتعددت فيه فرص استخدام القلم ، فهي المقام الذي حظي بأقصى ما بلغته الاجناس النثرية من تنوع مقاصد الكتابة واغراضها . وهي كذلك اقواها تعبيرا عن الاحداث اليومية في لغة ادبية))(١) ، لأنّها تعد ((ظاهرة من ظواهر التواصل في مختلف الثقافات وهي في الاصل عمل تواصلي مرتبط بتاريخ العظماء بوجه خاص وبتاريخ المؤسسات المدنية بوجه عام))(٢) ، كونها ((تحقق الوظيفة التداولية ، وذلك لان هذه الوظيفة لا يمكن ان تتحقق الا بوجود مرسِل (وهو المتكلم) ومرسل اليه (وهو المخاطب) ورسالة (وهي الكلام او اللفظ)))(٣) ، فـ((الرسالة كما يرى بعض المحدثين وثيقة مكتوبة لا يخامر قارئها شك في صيغتها ، او انه لا يشك فيها بقدر ما يشك في الاقوال الشفوية المروية المتناقلة من مخبر الى اخر))(٤) ، إذ تكمن اهمية الرسالة فيما تؤديه من وظائف مختلفة ، تسهم في انجاح عملية التواصل بمعنى إنّه ((لا يمكن ان تكون هناك رسالة ذات وظيفة واحدة بل تؤدي وظائف مختلفة هرميا ... تشكل في مجملها دارة التواصل))(٥) ، فتتحول الرسالة ذات الوظائف المختلفة الى ((ذخيرة واسعة وعينة من النصوص او الانواع الجاهزة في الذاكرة الثقافية ، وفي هذه الحال لا يمكن تصنيف الرسالة في اطار نوعي محدد ، مادامت تقوم

---

(١) الرسائل الادبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعري) ، صالح بن رمضان ، الناشرون. دار الفارابي ، بيروت – لبنان ، ط١ ٢٠٠١ ، ص٦١٢-٦١٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٦١ .

(٣) البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد ، ص٣٠١ .

(٤) الرسائل الادبية ، ص١٧٣ .

(٥) التواصل اللساني والشعرية ، ص١٥ .

على شتات من الانواع التي تستدعيها لغايات معينة))[١] ، والتي اطلق عليها رومان جاكبسون بـ((الوظائف اللغوية))[٢] ، بيد إنّ هذه الوظائف اللغوية والمكونة للرسالة لا يمكن ان تعمل عملها في أي رسالة ما لم تندمج بعناصر غير لغوية ((خارجة عن النطاق اللغوي الصرف ، لان التأثير المستقل لكل شكل بلاغي لا يتوقف فحسب على الاليات البنيوية للتركيب اللغوي للخطاب فحسب ، بل يشمل ايضا البيانات الثقافية والاجتماعية))[٣] ، أي إنّ ((التفسيرات النحوية هي شكلية اساسا ، في حين تكون التفسيرات التداولية هي وظيفية اساسا))[٤] ، وهذا ما نفاه دي سوسير في كتابهCours Ingeneral linguisties بأنّ ((دراسة اللغة في ذاتها ومن اجل ذاتها ، ومعنى ذلك انه منهج لغوي خالص يدرس اللغة نفسها ، ولا هدف له الا كشف العناصر التي تتكون منها تلك اللغة المدروسة ، فالعلم اللغة الحديث منهجه المستقل في تناول النص اللغوي ، وتخليص هذا التناول من المناهج الدخيلة كالفلسفة والمنطق وعلم النفس وغيرها ، ادى الى اضطراب هذه الدراسة بجهود علمية غريبة عنها))[٥] ، فاللغة في تصوره مثل ((قطعة من الورق يمثل الفكر وجهها ويمثل المنطوق خلفيتها ، ولا يمكن للمرء ان يقطع الوجه دون ان يقطع الخلف – وكذلك اللـــــغة ...))[٦] ، نتبيـــــن من ذلك أنّ دي سوسير وأيـــــده في ذلك جلـــة من

---

(١) خطاب الاخلاق والهوية في رسائل الجاحظ ، ص١٩ .

(٢) التواصل اللساني والشعرية ، ص١٦ .

(٣) بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص٢٠١ .

(٤) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص١١ .

(٥) اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة ، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي واشكالاته ، حافظ اسماعيلي علوي ، الناشرون. دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت_لبنان ، ط١ ٢٠٠٩ افرنجي، ص٢٥١-٢٥٢ .

(٦) ادبية النص محاولة لتأسيس منهج نقدي عربي ، صلاح رزق ، الناشر. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، شركه ذات مسؤولية محدودة . مصر – القاهرة ، ط٢ ٢٠٠١ ، ص٢٠٢ .

اصحاب اللغة المعاصرين امثال (تمام حسان واميل بديع يعقوب وكمال بشر) في الوجوب على دارس اللغة الا يأخذ بنظر الاعتبار القضايا الاجتماعية والنفسية وحتى الثقافية التي من شأنها ان تسهم في نشوء النظام / البعد الداخلي للغة وعلى هذايمكن القول :أنّ اي رسالة في نظر هؤلاء هي نتاج لغوي صرف وهذا ما مثله نص دي سوسير السابق بقوله : (دراسة اللغة في ذاتها ومن اجل ذاتها) ، نافيا القضايا الاجتماعية والفلسفية والنفسية في انتاجها ((وهذا ما دعا الباحثين لتطوير الدراسات اللغوية بدراسة استعمالها في التواصل ضمن اطاره الاجتماعي ، مما استدعى دراسة السياق الذي يجري فيه التلفظ بالخطاب اللغوي .. وكذلك دراسة افتراضات المرسِل عند انتاج خطابه ووسائله واهدافه ومقاصده .. والتنبؤ بها ومعرفة انواع السياق مثل السياق النفسي والاجتماعي وادراك تأثير كل منها على توليد الخطاب والضوابط لكل ذلك))(١) ، ومعنى ذلك إنّه يجب على دارس اللغة ان يحيط بالعملية التواصلية ، والتي تمثل (اللغة) قطب الرحى فيها ، والاحاطة بجميع الظروف والملابسات التي رافقت انتاج اللغة من قبل المرسل (بكسر السين) في اثناء تلفظه بخطابه التواصلي لأنّ ((اللغة هي المجال الذي تنكشف فيه القصدية المقرونة بالتواصل بأجلى مظاهرها))(٢) ، فنحن – هنا – لا نريد أنْ نسرد كلاما عن ماهية اللغة وكيفية استعمالاها ، بقدر ما نريد أنْ نقول ؛ أنّ للغة بعدين : بعدا داخليا وبعدا خارجيا.

١- البعد الداخلي : والذي يتمثل بالألفاظ والتراكيب النحوية والصرفية .

٢- البعد الخارجي : والذي يتمثل بالظروف الاجتماعية والنفسية والثقافية والتي تسهم في انتاج هذه اللغة ، لاعتبارها الاداة الاهم والابرز في التفاعل بين المتخاطبين ، ومن خلال ذلك يلجأ المرسل الى اختيار ((استراتيجية الخطاب المناسبة التي يستطيع بها ان

---

(١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٩ .

(٢) التواصل والحجاج (سلسلة الدروس الافتتاحية) الدرس العاشر ، عبد الرحمن طه ، الناشر. مطبعة المعارف الجديدة ، المغرب – الرباط ، ١٩٩٣ – ١٩٩٤ ، ص١٠ .

يحقق هدفه ويعبر عن قصده))[1] . فيلجأ بذلك الى الرسالة التي ((يتنازعها وجهان في الاستعمال مختلفان :

أ- تستعمل خارج حدود الكتابة والانشاء استعمالا عاما فتطلق على كل بلاغ محمول ، وعلى مطلق التواصل بين المتخاطبين المتباعدين في المكان فلا تحيل على مقام من مقامات الكلام دون سواه ، او جنس من اجناس الخطاب دون غيره .

ب- تستعمل مصطلحا فنيا يطلق على جملة من الاجناس التي ينتجها مقام من مقامات الكتابة النثرية ، ويوضح بإزاء اسماء الاجناس الادبية ، عند تقسيم الكلام))[2] .

بمعنى أنّ الرسالة تستعمل بشكل عام لكل مقام تواصلي ، ويتحدد هذ المقام التواصلي بسياق معين ، بهدف ابلاغ خطاب ما فهي ((مجموعة الافكار والمفاهيم ، او المهارات او المبادئ او الاتجاهات او القيم التي يرغب المرسل توجيهها الى من هم بحاجة اليها من الافراد او الجماعات لإشراكهم فيها . ويتم نقل محتوى الرسالة الى المتلقي من خلال رموز لغوية او وسائل توصيلية اخرى))[3] ، ويكون ذلك من خلال ((التعاقد الثقافي بين المتخاطبين المنتمين الى سياق ثقافي واحد ، بل ان هذا التعاقد يحول بلاغة الرسائل احيانا الى بلاغة ذات قيمة مرجعية))[4] ، لأنّ ((النص الابداعي هو الذي يدفع القارئ الى مراجعة مواقفه ومعاييره ويرغمه على متابعته نحو الجديد دوما))[5] ، شريطة أنْ يتميز ذلك القـــــــــارئ

---

(١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٢٢٨ .

(٢) الرسائل الادبية ، ص١١٨ .

(٣) البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد ، ص٣٠٠ .

(٤) الرسائل الادبية ، ص١٥١ .

(٥) القراءة والحداثة ، ص١١ .

بـ((ملكة ثقافية تواصلية تمكنه من تفكيك رموز الرسالة ،ومن ادراك وجهتها البلاغية))[١] ، وبالمقابل يجب على المخاطب (بكسر الطاء) أنْ يتحلى بخزين / رصيد ثقافي كبير كي يوجه رسالته الوجهة المقبولة والمفهومة من قبل المخاطب (بفتح الطاء) ، بمعنى إنْ ((كتّاب الرسائل كغيرهم من المبدعين يخضعون في انشائهم لجملة من القواعد الادبية التي تكون ملامح الجنس ، فهم يكتبون في اطار رصيد ثقافي ووفق سنن في التخاطب الادبي يدرك القراء مقتضياتها ويعرفون نماذج سابقة انتجتها))[٢] ، وهذا ما اشار اليه ابن وهب الكاتب ت٣٣٥هـ بقوله : ((... واشبه من كلام العامة بكلام الخاصة ، والحاضرة بغريب اهل البادية . فمن الفاظهم السولوجسموس ، والهيولي ، والقاطاغورياس ، واشباه ذلك مما إذا خطابنا به متكلمينا اوردنا على اسماعهم ما لا يفهمونه الا بعد ان نفسره ، وكان ذلك عيا وسوء عبارة ، ووضعا للأشياء في غير مواضعها ، ومتى اضطرتنا حالة الى ان نكلمهم بهذه الاشياء عبرنا لهم عن معانيها بألفاظ قد عهدوها وعرفوها))[٣] ، فحينما يستخدم المرسل هذه الكلمات في رسالة ما ،يجب الاخذ بنظر الاعتبار حضورها في عقل القارئ / المستمع وما ترمي اليه من معان ، وهذا ما اشارت اليه ((نظرية فتجنشتاين القائلة ان معنى الكلمة هو مجموعة استخدامات الناس لها في اللغة العادية))[٤] ، فالغاية في كل خطاب – والرسالة احدى صوره – هو لإيصال القارئ الى نتيجة ما إذ ((ان كل متلفظ بخطاب يسعى الى ايصالنا الى نتيجة (او عدة نتائج) عامة (هي مقصده الاجمالي) ، وان كـــل شيء يقوله

---

(١) الرسائل الادبية ، ص١٤٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٩٥ .

(٣) البرهان في وجوه البيان ، ابي الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب ت٣٣٦هـ ، تقديم وتحقيق. جفني محمد شرف ، مكتبة الشباب مطبعة الرسالة . مصر – القاهرة ، المحرم سنة ١٣٨٩ / مارس ١٩٦٩ ، ص١٩٦ .

(٤) في فلسفة اللغة ، ص٩٧ .

انما يقوله لنا ليقرّبنا (او ليبعدنا في بعض الحالات النادرة) من هذه النتيجة))[١] ، إذ تستند الرسائل الى عدة اليات لدراستها ، وهي: (دور الكتابة في تحديد خصائص الترسل / اساليب الكتابة / الرسائل والاجناس الادبية) .

اولا : دور الكتابة في تحديد خصائص الترسل وتتمثل بـ:

أ- وضع المتكلم[٢] ، تبرز - كتابة الرسالة - مقام المتكلم وتمكنه في الترسل ، كونها تخلص المرسل (بكسر السين) من المواجهة مما يشتت الافكار ويجعلها غير متناسقة / مترابطة او غير مستوفية ، مما يبعده ذلك من مراجعة ما يريد طرحه وهذا ما تطرق اليه ارسطو في (الاسلوب الخاص بكل نوع) بقوله : ((فالأسلوب في الكتابة غيره في المناقشات ... واسلوب الكتابة ادق ؛ واسلوب الحديث اشد حركة وتنازعا))[٣] ، وقد اشار القدامى ((الى ان المتكلم يتمكن في وضع الكتابة من السيطرة على مقالة ، ومن تلقيه تلقيا اولاً ، يضع نفسه في موضع المخاطب فيراجعه ، ويحوره وفق مقتضيات المقام))[٤] ، شريطة أنْ يلازم كتابة الرسالة قوة التذكر والحفظ للشواهد بحسن توظيفها في رسالته ، اي أنْ ((تضمين المحفوظ في خطة الكتابة شرط من شروط تفوق المترسل .. ويظهر اثر التلفظ بالشاهد الادبي كتابة في السياقات التي تقتضي تنويع درجات الاستشهاد ومستويات الصناعة))[٥] ، لأنّ توظيف الشاهد في الرسائل يعزز من مقام المتكلم

---

(١) التداولية اليوم ، ص٢١٦-٢١٧ .

(٢) الرسائل الادبية ، ص١٢٤ .

(٣) الخطابة ، ص٢٢٥ .

(٤) الرسائل الادبية ، ص١٢٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ص١٢٣ .

لما يتصف من ((سلطة تحظى بنفوذ ومصداقية))[1] ، فينعكس ذلك بدوره على مقام المتكلم . فمثلا قول الصولي : ((فأما الصِّنفُ الثاني ممن يعيبُ أبا تمام ، فَمَنْ يجعلُ ذلك سبباً لنباهةٍ واستجلاباً لمعرفةٍ ، إذ كان ساقطاً خاملا ، فألف في الطَّعنِ عليه كتباً ، واستغْوَى عليه قوماً ، ليُعْرَفَ بِخِلاَفِ النَّاس ، وليَجْرِىَ له ذِكْرٌ في النقصِ إذ لم يقَعْ له حظٌّ في الزيادة ، ومكسبٌ بالخطأ إذ حُرِمَه من جهةِ الصواب ، وقد قيل : خالف تُذكَر . ولعله ظن أن هذا مِثلُ قولِ الشاعر ، وهو عبد ألاعلى بن عبدالله بن عامر :

إذا أنتَ لم تَنفَعْ فضُرَّ فإنما　　　يُرَجَّى الفتى كيما ما يضُرَّ ويَنفَعا

وقال آخَر : إذا فاتك الخيرُ فأرفع عَلما في الشَّرِّ . واحتجَّ آخَر في قولِه الشعرَ الرديءَ بأنه إنما أراد أن يُذْكَرَ به فقال :

سَوف أهجوكَ إنْ بقيتُ بشعرٍ　　　ليسَ إن قَوَّموه فَلْسين يَسْوَى

ويقولَون : ذا رديءٌ ، وحَسْبى أن يقولُوا له رديءٌ ويُرْوَى))[2] .

يُلاحظ من خطاب الصولي تسلسل الافكار واتساق الجمل والعبارات وترابطها لغرض الابلاغ عن مقصده ، واحداث التواصل فـ((الخطاب ليس بجمل مجردة مضموم بعضها الى بعض ، بل هو قول منجز يحمل مقاصد المتكلم ، واثار سياق التخاطب الذي ينشأ فيه هذا القول))[3] ، اي إنّه ((لا يقتصر التواصل الاشاري الاستدلالي على استخدام القول لتبليغ معلومة ، بل ان هذا التواصل يوجد كلمـــــا

(١) بلاغة الاقناع في المناظرة ، ص٢٣٣ .

(٢) اخبار ابي تمام ، ص٢٨ .

(٣) الرسائل الادبية ، ص١٣٦ .

بلغنا شيئا ما وكان مقصد التواصل واضحا))[1] ، وهذا لا يكون إلا بكتابة الملفوظ ، كي لا تتشتت الافكار او تكون جملها غير مترابطة / متسقة في دلالاتها ، مما يعزز – كتابة الرسالة – من مقام المتكلم ، ومما يلاحظ في نص الصولي إنّه قد ادرج الامثال والابيات الشعرية في نصه وهي ((سمة من سمات التكرار في الكتابة الادبية ؛ لأنّه اعاد مقولا ادبيا في مقول جديد ، ولكنه تكرار مفيد لأنّه كتابة جديدة تخضع لمقتضيات المقام الذي يدرج فيه الشاهد ، فهو تلفظ جديد بملفوظ قديم))[2] ، فيصبح هذا ((التداخل بين الاجناس قوة دافعة لكتابة الرسائل ، وهي قوة تغير بشكل مستمر صورة الجنس الادبي الذي قد يستقر في اذهان القراء))[3] ، الغرض منه تحقيق الفائدة والافهام ، وسماه المحدثون وخاصة في الغرب ((التداخل بين النصوص))[4] ، التي استخدمها الصولي بحسب مقاصده ومراتب المتخاطبين ، والتي يحكمها قانون / الانتقاء / الاختيار الملائم لهذه الاثار الذي يتناغم / يتلاءم مع سياق التلفظ في مضمون الرسالة بـ((ان يطرح كل اساليب الانتقاء والتفضيل الناتجة عن استخدام اليات استهلاكية معينة : عقلانية فكرانية ، وبأن ينبذ كل ما من شأنه ان يفوت عليه ادراك اجـــــــزاء التـــــــــــــراث في ترابطها وتماسكهـا))[5] ، لأنّها تـــــعد ((قوة راجعة

---

(١) التداولية اليوم ، ص٨٠ .

(٢) الرسائل الادبية ، ص٤١٧ .

(٣) خطاب الاخلاق والهوية في رسائل الجاحظ ، ص١٩ .

(٤) الرسائل الادبية ، ص٤١٤ .

(٥) تجديد المنهج في تقديم التراث ، طه عبدالرحمن . الناشر. المركز الثقافي العربي ، المغرب – الدار البيضاء ((ب - ت)) ، ط٢ ، ص٨٣ .

الى جودة نظم المحفوظ ، والى استخدامه في القياس))[١] ، فـ((هي حركة تفاعل بين اختيار الاثار ومحاولة تحديد المقومات الاجناسية الناظمة لها))[٢] ، قصد ((اشراك المخاطب في نفس الرأي الذي يعبر عنه))[٣] ، ولكن هذا التوظيف والتداخل النصي في رسالة الصولي لم يفقد عنصر (المواجهة) ؛ لأنّه يتحدث عن التحام زمن الكتابة بزمن التجربة من خلال ((اظهار التلازم بين الكتاب والمشاهدة او المعاينة حرصا منه على ابراز حيوية الكتابة وانبعاثها من خضم التجربة الاجتماعية وزمانها ومكانها))[٤] ، فهذه المواجهة او المشاهدة او المعاينة تقوي من مقام المتكلم .

فلجوء الصولي الى التداخل النصي ، اثراء لعملية التخاطب وعدم قولبتها في قالب محدد ومعين ، وجعل المتلقي يتعرف على الاثار الادبية ، والتي تنقله الى افاق ارحب ، بعدها خزيناً ثقافياً من قبل ألمتراسلين ، مما تقوي هذه الاستراتيجية من مقام المتكلم نتيجة هذا المحفوظ ؛ بوصفه (تداخلا نصيا) والذي يكشف عن النسق العام للخطاب ، بمعنى إنّ هذه الاثار الثقافية ، تـــكوِّن بمـــــــــــجلها المفـــــــــــهوم الـــــــــــعام للـــــخطاب وفـــــــــــي تمـــاسكه

---

(١) الرسائل الادبية ، ص٣٢٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٩٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٥٠٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٢٤١ .

ب- وضع المخاطب[١] : للمخاطب اثر كبير في تحديد نوع الرسالة وقيمتها لأنّه هو المستهدف من هذه الرسالة فيكون تحديد قيمة هذه الرسالة ونجاعتها من المخاطب نفسه . وهذا ما اشار اليه ارسطو في كتابه الخطابة في (الاسلوب الخاص بكل نوع) بقوله : ((يجب الا ننسى ان لكل نوع خطابي اسلوبا خاصا يليق به ... اما خطب الخطباء حتى لو كانت قد احدثت اثرا جميلا لدى إلقائها فأنها تبدو بين الايدي هزيلة ذلك لان مكانها الحقيقي هو في المناقشات))[٢] ، إذ ((يختلف وضع المخاطب في تلقي المكتوب عن وضع المخاطب في مقام المشافهة ، فوضع المخاطب القارئ تنعدم فيه المؤثرات الراجحة الى فضاء المواجهة كهيأة المتكلم واشارته ، وخصائص صوته وسائر وسائل الاداء المصاحبة للكلام))[٣] ، لما تمثله المواجهة ((من سلوكات بغرض الدفاع او استرداد الحق))[٤] ، اي إنّ وضع القارئ يختلف عن وضع المخاطب المباشر ، لأنّ الاخير يعيش لحظة الالقاء وما يصاحبها من اشارات وايماءات وحتى نغمة الصوت بإعتبار أنّ المخاطب المباشر محدد ومعين ، وهو ما يختلف عن القارئ . فمثلا قول الصولي مخاطبا مزاحم بن فاتك : ((وتَرَى بعد ذلك قوماً يعيبُونه ، ويَطْعُنون في كثيرٍ من شعره ، ويُسندون ذلك إلى بعض العلماء ، ويقولون بالتقليدِ والادِّعاء إذ لم يصحَّ فيه دليلٌ ، ولا أجابتهم إليه حُجّة ، ورأيـــــــــتُ مع ذلك الصِّـــــــــــنفين جمعياً ، وما يتضمَّنُ أحـــــدٌ مـــــــــــــنهم القيامَ بشــــعرِه

---

(١) الرسائل الادبية ، ص١٢٤ .

(٢) الخطابة ، ص٢٢٥-٢٢٦ .

(٣) الرسائل الادبية ، ص١٢٤ .

(٤) لغة النقد الادبي الحديث ، ص٢٧٠ .

، والتَّبْيينَ لمرادِه ، بل لا يّجسُر على إنشادِ قصيدة واحدةٍ له إذ كانت تَهجمُ – لابُدّ – به على خبرٍ لم يرْوِه ومثَلٍ لم يسمعْه ، ومعنىً لم يَعرِف مثلَه))[1] .

فيمثل وضع المخاطب المباشر عاملا مهما في تطوير عملية التخاطب ، ولا يشترط أنْ يكون المخاطب مباشرا في اثناء تلقيه الرسالة وانما يكون المخاطب غير المباشر ، وهذا ما ميزته ك . ك اوريكوني بين صنفين من مستقبلي الرسالة وهما : ((المرسل اليه مباشرة ، والمرسل اليه غير المباشر))[2] ، فوضع المخاطب والمتمثل بـ(مزاحم بن فاتك) يسهم في انماء عملية التراسل وتطويرها ، وخاصة اذا تكافأ المتخاطبان في المرجع الثقافي ، وهوما نلحظه في الفهم وابداء الراي لكلا المتراسلين (الصولي – مزاحم) ، وذلك بإيراده للفعلين (ترى – رأيت) اذ يتحد الفهم وابداء الرأي لـ(الصولي ومزاحم) ، لأنّ الفعل (رأى) إذا ((كان معناه الفهم وابداء الرأي في امر عقلي فقد ينصب مفعولا به واحدا او مفعولين ، على حسب مقتضيات المعنى .. وكذلك ينصب مفعولا به واحدا ان كان معناه : ابصر بعينه))[3] ، فالفعل (ترى) والذي يخص (مزاحم) نصب مفعولا به واحدا وهو (قوما) ، اما الفعل (رأيت) والذي يخص الصولي نصب مفعولا به واحدا ايضا وهو (الصنفين) ، فالتعاقد الثقافي حاصل بين الطرفين من خلال تكافؤ المتخاطبين في المرجع الثقافي .

---

(١) اخبار ابي تمام ، ص٤ .

(٢) التواصل اللساني والشعرية مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون ، ص٢٦ .

(٣) النحو الوافي ج٢ : ١٥ .

ت – تطور نوع التواصل[1] : تحقق الكتابة وظيفة الترسل الاساسية ، كونها تمثل الجانب الصوري الشكلي للرسالة فيعمد المرسل الى ابرازها بالشكل الجميل ، إذ لم تعد الكتابة طريقة للإبلاغ او الافهام او الفائدة وانما ((ارتقت من مجرد طريقة لابلاغ الرسالة ، وقضاء الحاجة الى عمل فني تقتضي صناعته حدا ادنى من المجال الشكلي))[2] ، وهذا ما تطرق اليه الجاحظ ت٢٥٥ هـ بقوله : ((ولم ارَ غاية رواة الاشعار الا كل شعر فيه غريب او معنى حسب يحتاج الى الاستخراج ، ولم ارَ غاية رواة الاخبار الا كل شعر فيه الشاهد والمثل . ورأيت عامتهم – فقد طال مشاهدتي لهم – لا يقفون الا على الالفاظ المتخيرة والمعاني المنتخبة ، وعلى الالفاظ العذبة ، والمخارج السهلة والديباجة الكريمة ، وعلى الطبع المتمكن وعلى السبك الجيد))[3] ، وهذا ما بينه ابن وهب ت٣٣٥هـ بقوله : ((فأما الرسائل فهي مستغنية عن جهارة الصوت ، وسلامة اللسان من العيوب ، لأنها بالخط تنقل فتحتاج الى ان يساعد حسنها حسن الخط ، فان ذلك يزيد في بهائها ويقربها من قلب قارئها ...))[4] ، لذلك عني الصولي بالخط والترسل حيث ((كانت ثقافة الصولي (الديوانية) في الذروة ، وكتابه (ادب الكاتب) او (ادب الكتّاب) يعطينا فكرة واضحة عن معارفه الواسعة في الكتابة والاملاء والخط والترسل))[5] ، وخير مثال على ذلك ما توضحه النسختان الاصليتان من اخبار ابي تمام واخبار

---

(١) الرسائل الادبية ، ١٢٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٢٧ .

(٣) البيان والتبيين ، ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت٢٥٥هـ ، حققه وشرحه. عبدالسلام محمد هارون ، الناشر. مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر – القاهرة ، ط٧ ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، ج٤ : ٢٤ .

(٤) البرهان في وجوه البيان ، ص١٧٢ .

(٥) اخبار البحتري ، ص١٧ . (مقدمة المحقق) .

البحتري اللتان توضحان مدى عناية الصولي بالخط بعده اداة للتواصل وطريقة مثلى في الاقبال والقراءة و التراسل*، وهذا ما اشار اليه الجاحظ ت٢٥٥هـ بقوله : ((وجعل البيان على اربعة اقسام : لفظ وخط وعقد واشارة))[١] ، وقال ايضا : ((وقد قالوا القلم احد اللسانين ، وقالوا : كل من عرف النعمة في بيان اللسان ، كان بفضل النعمة في بيان القلم اعرف . ثم جعل هذا الامر قرآنا ، ثم جعل في اول التنزيل ومستفتح الكتاب))[٢] ، وقال ايضا : ((ولولا الكتب المدوّنة والاخبار المخلّدة ، والحكم المخطوطة التي تحصن الحساب وغير الحساب ، لبطل اكثر العلم ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر ...))[٣] ، لما يحدثه الخط من ((تحول جذري في علاقة الكلام بقائله ومتقبله ، ومكن الكلام من التحرر من ظروف التواصل الشفوي ، في الزمان والمكان))[٤] . وسياق الخطاب التواصلي .

---

(١) كتاب الحيوان ، ج١ : ٣٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٤٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٤٧

(٤) ألرسائل ألأدبية،ص١٢٥ .

*يراجع اخبار البحتري ، ص٤٦ ، ومقدمة الناشرين في اخبار ابي تمام .

ثانيا : اساليب الكتابة :

أ- تقليد الخطبة[١] : انتحى الصولي اسلوب كتابه رسالته ، التي بعث بها الى مزاحم بن فاتك منحى شبيها بأسلوب الخطابة ،اذ افتتح رسالته بالحمد لله والثناء عليه بقوله : ((الحمد لله أهلِ الحمدِ أن يكونَ له ، وأهل النِّعمةِ أن تكونَ منه ، المتفضلِ على جميع خلقه ، والمبتدئ الذي أوضحَ سبيلَ حجَّتِه وسهَّل طريقَ طاعتِه ، وجعل كلَّ مل تقعُ عليه عينٌ ، أو ينزعُ إليه قلبٌ ، أو يجتازُ به خاطرٌ ، دليلًا على رُبوبيَّته ، وشاهداً بوحدانيته ؛ وصلَّى الله على محمدٍ خاتَم أنبيائه وخيرِ رسُلِه ، وعلى آله الطيبين وسلمْ تسليما))[٢] .

انتهج الصولي منهج الخطباء في خطبهم الدينية ((التي يميل فيها الخطباء الى استعمال السجع والترادف المعنوي من جهة ، والى التمثل بالقرآن من جهة ثانية))[٣] ، فجاء الحمد في مقدمة هذه الافتتاحية عاما شاملا، وذلك لاقتران(ال الاستغراقية)في الحمد؛((لأنّها تدل على أن المعنى يستغرق جميع أفراد الجنس أي:يحيط بافراده إحاطة شاملة حقيقة))[٤] ، فصفة المؤمن ان يكون حامدا لله في الشدة والخير ، ثم جاء بالنعمة وجعلها قرينة للحمد ، وبدأ بتفصيل هذه النعمة كي يهيئ القارئ الى ماهية هذه النعمة والتفضل من قبل الله على خلقه ،الى ان يصل لمضمون هذه النعمة .

ومن نماذج اساليب الكتابة ايضا :

ب-الاستهلال : يمثل الاستهلال الية مهمة ادرجها الصولي في بنية خبره ؛ ليكون خطابه مترابطا بين وحداته ترابطـــا بنائيا فـ((النص ذو بداية ومجال ووسط قد

---

(١) الرسائل الادبية.ص٤٦٦

(٢) اخبار ابي تمام ، ص٢ .

(٣) الرسائل الادبية ، ٣١٢.

(٤) النحو الوافي،ج١: ٤٢٦ (الهامش).

يطول وقد يقصر ، ونهاية ، وهي نقاط يمكن التوقف عند اي واحد منها وفصلها عن غيرها ، ولكنها لا يمكن ان تفهم معزولة عنها فكل مكون من مكـــوناته يمثل معلما تتقدم بها الاحداث ان كانت حدثا ، وتتعدد بها الذوات ان كانت ذاتا))(١) ، وهذا ما نجده حاضرا في خطابات الصولي إذ ((يحرص على احترام افتتاحية معينة ، وان شيئا من التفكير يجعلنا نقتنع بأنه يحترم كذلك خاتمة معينة تنبئ بأن السرد قد انتهى))(٢) ، والتي يكون الاستهلال واحدها فقد عرفه ارسطو بأنّه : ((بدأ الكلام .. تفتح السبيل لما يتلو))(٣) ، وهذا ما اكده حازم القرطاجني ت٦٨٤ هـ بقوله عن الاستهلال بأنّه : ((الطليعة الدالة على ما بعدها))(٤) ، إذ ينفتح النص بالاستهلال على مديات واسعة ويحصل التلازم والانفتاح على ما بعدها لتنبيه القارئ للغرض الذي استوجب حضور النص ، بمعنى أنّ السمة الابرز للاستهلال هو التنبيه والايقاظ للقارئ ، وبغض النظر عن مصداقية الاستهلال من عدمه ، لكن يبقى الاستهلال ذا اهمية بقدرته ((على اضفاء مستوى من الفاعلية والانتظام على ما يقوم داخلها من علاقات))(٥) ، والتي تعبر عن ((سلسلة مخبرين لا تتجرد عن شعورها ولا تصـــــــرح بشكل واضح بما تشعر او تظن

---

(١) نسيج النص ، الازهر الزّناد، الناشر. المركز الثقافي العربي ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٣ ، ص٤٣ .

(٢) الحكاية والتأويل ، عبدالفتاح كليطو ، الناشر. دار توبقال للطباعة والنشر ، الدار البيضاء ، ١٩٨٦ ، ص٣٤ .

(٣) الخطابة ، ص٢٣١ .

(٤) منهاج البلغاء وسراج الادباء ، ابي الحسن حازم القرطاجني ت٦٨٤هـ ، تقديم وتحقيق. محمد الحبيب ابن الخوجة ، الناشر. دار الغرب الاسلامي ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٦ ، ص٣٠٩ .

(٥) سرد الامثال ، ص٤٣ .

فتكتفي كما تقدم احدى حلقات السلسلة بالظن او التلميح بعدم صدق ما يروى))[١] ، يقول الخليل بن احمد الفراهيدي ت١٧٠هـ : ((زَعَمَ يَزْعُمُ زَعْماً وزُعْماً إذا شكّ في قوله ، فإذا قلت ذَكَرَ فهو احرى الى الصواب))[٢] ، وهذا ما وضحه ابن منظور ت٧١١هـ ، بقوله : ((وقال الليث .. سمعت أهل العربية يقولون إذا قيل ذكر فلان كذا وكذا فإنما يُقال ذلك لأمرٍ يُسْتَيْقَنُ أُنه حق ، وإذا شُكَّ فيه فلم يُدْرَ لعلَّه كذب أو باطل قيل زعم فلان .. وقيل : الزَّعْمُ الظن ، وقيل : الكذب))[٣] ، نتبين من ذلك أنّ الاستهلال بعده عتبة النص ، يتجه باتجاهين ، حسب غاية ومقصد المتكلم ومقام التخاطب وهما :

١- اتجاه للشك اوالظن اوالتكذيب وهو ما تمثله لفظة (زعم) ، كقول الصولي : ((وأولُ من نطقَ بهذا المعنى وزعمَ أن أعجميّاً شاقَهُ وشجَاه حُمَيْدُ بن ثَوْر ، إلا أنه وصفَ صوتَ حَمامةٍ))[٤] .

فيلاحظ أنّ الصولي حينما استهل قوله (بان اعجميا شاقه وشجاه حميد بن ثور بأنه وصف صوت حمامة) لم يكذب الخبر او نسبة الابيات الى حميد بن ثور او وصفه لصوت الحمامة التي يقول في اولها :

عجبْتُ لها أنّى يكونُ غِناؤُهَا فَصِيحاً ولم تَغْفُرً بمنطِقِهَا فَمَا

وانما كذب ناقل الخبر بدليل قوله (زعم) فدلالة (الزعم) دلالة افتراء ومحض كذب من خلال توضيحه (الصولي) لصـــــــاحب هذا المعنى حينما يعرض

---

(١) سرد الامثال ، ص٤٤ .

(٢) معجم العين ، الخليل بن احمد الفراهيدي ت١٧٠هـ ، ترتيب وتحقيق. عبدالحميد هنداوي ، منشورات محمد علي بيضون ، درا الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، باب الزاي مادة (زعم) .

(٣) لسان العرب ، مادة (زعم) .

(٤) اخبار ابي تمام ، ص٢١٥ .

(الصولي) لأبيات ابي تمام وتفرد الاخير بهذا المعنى بقوله :

سَمِعْتُ بهَا غِنَاءً كانَ أحْرَى بِـــــأنْ يَقْتَادَ نَفْسِي مِنْ غِنَاهَا

ومُسْمِعَةٍ تَقُوتُ السَّمْعَ حُسْناً وَلَمْ تُصْمِمْهُ لاَ يُصْمَمْ صَداهَا[1]

الى اخر الابيات ....

فالصولي – حينما – يعرض لألية الاستهلال بالقول (زعم) ، يريد تنبيه القارئ للغرض الذي استوجب حضور النص (ان اعجميا شاقه وشجاه حميد بن ثور) ، ليعرض من خلالها دور واسبقية ومكانة صاحب المعنى الاول (ابي تمام) ، وتكذيب صاحب القول الثاني بدليل الفعل (زعم) ، وهو السبب الذي ادى الى تغيبيه ، لأنه اراد اثبات الحق وتصحيح اعوجاج قائم حين ((روى خبرا في حق علي بن ابي طالب (رضى الله عنه) ، فطلبته الخاصة والعامة لتقتله ، فلم تقدر عليه ، وبذلك انطفأت شعلة اديب كبير))[2] .

---

(١) اخبار ابي تمام ، ص٢١٤ .

(٢) اخبار البحتري ، ص٢٢ . (مقدمة المحقق) .

٢- استهلال مبني على التصديق وعدم التكذيب : وتمثله الافعال (حدث – قال – ذكر) لان القول او الذكر او الحديث مصحوب بذكر اسم القائل او المحدث او الذاكر غير المشكوك بصحة ما يذكر او يقول . فمثلا قول الصولي : ((حدثني محمد بن عبدالله التميمي أبو عبدالله الحَزَنْبَل قال ، قال حدثني سعيد بن جابر الكَرْخي قال ، حدثني أبي قال : حضرتُ أبا تمام ، وقد أنشَد أبا دُلف قصيدتَه البائيةَ التي امتدحه بها))[١] .

يُلاحظ أنّ الصولي يستهل خبره بـ(حدثني) والذي يسنده لأكثر من محدث ، لإضفاء صفة نسبة الحديث الى قائليه ، لاثبات صحة ما يذهب اليه الصولي ، وذلك بأشراك جماعة من المحدثين و القائلين في صحة دعواه ، وهذا يتطلب الانتقاء الامثل للشخوص التي لها حضور واقعي من لدن المستمع ، فقولهم او ذكرهم او حديثهم صدق لا يشك بروايته ، للوصول الى ((ملفوظ او الى معقول ، اما الملفوظ الذي يدرك بطريق السند فهو (المتن) واما المعقول الذي يدرك بطريق السند))[٢] .

الدعاء : ((يمثل الدعاء في النثر القديم عملا قوليا اساسيا في صناعة الخطاب : وهو من الاعمال القولية الانشائية التي تبرز فيها اثار المقام ، وتحدد صلة المتكلم بالمخاطب اجتماعيا ، وتعبر عن آداب التخاطب))[٣] ، فالدعاء ((كلام انشائي دال على الطلب مع خضوع))[٤] ، ويتخذ طريقين :

١- قوالب جاهزة : يستعمل المتكلم صيغ دعاء جاهزة ، تعبر عن العلاقة التراتبية بين المتكلم والمستمع وما يقتضيه المقام ((فقد حرص بعض كتـــاب

---

(١) اخبار ابي تمام ، ص١٢١ .

(٢) اللسان والميزان ، ص١٣٤ .

(٣) الرسائل الادبية ، ص٥٢٩ .

(٤) تحليل الخطاب في ضوء نظرية احداث اللغة ، ص١٤٣ .

ادب الرسائل على التنبيه الى ضرورة اجتناب الادعية الجاهزة ، والى لزوم التصرف في صيغها بما يلائم المقام))[1] ، والسياق والمخاطب نفسه . فيستلزم وجود استراتيجية مسبقة لآلية التخاطب والتوظيف لهكذا قوالب جاهزة ، وبما يفرضه السياق والمقام ، فالغاية الاسمى هي التواصل واحداث التأثير وطلب الاستجابة ، ((نتيجة لما تحوي به المقولة من وجود ادب او ثقافة مؤثرة في اخرى تابعة تتأثر ، وهو ما يحوي بنوع من الطبقية الثقافية ان جاز التعبير، قد تجعل الموقف من ثقافة الاخر موقفا فيه قدر من التحفظ في كثير من الاحيان))[1] ، كقول الصولي : ((رأيتُ – أعزَّك الله – أكثرَ المتحلِّينَ بألادبِ))[3] ، فهذه القوالب الجاهزة من صيغ الدعاء ، وضِعت حسب المكانة الاجتماعية والسياسية ، لكل مخاطَب ، وهذا ما بينه ابن وهب الكاتب ت٣٣٥هـ في اصول المخاطبة في هذه الصيغ / القوالب الدعائية لكل فئة ، ومتى تستعمل ، وذلك بقوله : ((كاتب رئيسك بما يستحقه ، ومن دونك بما يستوجبه ، وكاتب صديقك كما تكاتب حبيبتك ، فأن غزل المودة ارق من غزل الصبابة))[4] ، وهذا كله مرتبط بـمدى حس المخاطب اللغوي ، وذوقه الادبي .

فنُلاحظ أنّ الصولي استعمل صيغة الدعاء (اعزك الله) دلالة على أنّ ((المكاتب من اهل العز فإنما ينبغي الله – عز وجل – ان يديم له ما منحه منه))[6] ، وهذا ما بينه محمد بن عبدالغفـور الكلاعي بقوله : ((مما يجب على

---

(١) الرسائل الادبية ، ص٥٣٣ .

(٢) الخطاب الشعري وتفاعل الابنية الثقافية ، ص١٨ .

(٣) اخبار ابي تمام ، ص٦ .

(٤) البرهان في وجوه البيان ، ص٢٧٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٢٧٤ .

الكاتب ان يتحرى في الدعاء الالفاظ الرائقة والمعاني اللائقة ، ويتوخى من ذلك ما يناسب الحال ويشاكل المعنى ويوافق المخاطب))[١] .

٢- الاستغناء عن الصيغ الجاهزة ،بتوليد صيغ جديدة من السياق اللغوي الخاص بالرسالة ، فيكون الدعاء متين الصلة بها[٢] ، وهذا ما تطرق اليه ابن وهب الكاتب ت٣٣٥هـ معلقا على هذا الاسلوب من صيغ الدعاء بأنّه ((خولف بعض ذلك في زماننا هذا))[٣] ، كقول الصولي : ((أدام اللهُ في أرْغَدِ العيْشِ وأكملِ السرورِ ، وأمَد العُمُرِ ، وأرضَى العملِ عزَّك ؛ وحسَّنَ الزمانَ الذي قلَّ فيه نظرُيك ببقائِكَ ، ووهبَ لأهلِ ألادبِ سلامتَك))[٤] .

يُلاحظ أنّ الصولي قد وظف السجع في صيغ الدعاء بنسق تركيبي متناغم مؤلف من تكرار الحروف المتماثلة في نهاية كل صيغة دعـــــــــاء في قوله : (عزك – بقائك – سلامتك) لمـــــــا له من تأثـــــير يســـــهم في

---

(١) الرسائل الادبية ، ص٥٣٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٥٣٤ .

(٣) البرهان في وجوه البيان ، ص٢٧٣ .

(٤) اخبار ابي تمام ، ص٢ .

((تطور مقاصد المتكلم من جهة ، وبتطور عملية التقبل ومراحل التواصل من جهة ثانية))[١] ، ((ولذلك يفضل ارسطو العبارة المقسمة المتقابلة على العبارة المسترسلة ، اي بفضل العبارة التي يدرك الطرف نهايتها .. وذلك ان الكل يسرون اذا رأوا النهاية))[٢] .

ت- اسلوب الحكمة والاقوال المأثورة : وهي الاقوال التي يصوغها الكتَّاب من انشائهم في اسلوب حكمة ، او في عبارة بليغة يمكن ان تتحول الى قول مأثور))[٣] ، نتيجة عوامل ترتبط بزمان ومكان المخاطب ، وبما يفرضه الواقع المعيش ، من نمط حياة معين ، مما ينتج فضاءً واسعا للتعبير بهذا الاسلوب الحكمي ، النابع من الذات المتكلمة المنتجة له ، ولا غرو ان يرتبط هذا الاسلوب بأساليب اخرى سابقة عليه بدلالة المعنى ، ولكنها اتت تتطابق مع لحظتها بديباجة ابستيمولوجية جديدة تتلائم والواقع المعيش مما ((يفترض نمطا من النضج الفكري والقدرة على التأمل))[٤] ، كقول الصولي : ((وما ضرَّ أبا تمام قولُ هؤلاء ، كما أنه لا يضُرُّ البحرَ أن يُقْذَفَ فيه حجر ، ولا يُنْقِصُ البدرَ أن ينْبَحه الكلبُ ، وقد قال الشاعر :

ما يضرُّ البحرَ أمسى زاخراً   أنْ رمَى فيه غلامٌ بحجرْ))[٥]

وقوله في موضع اخر – في المثل – : ((حدثني القاسم بن إسماعيل أبو ذَكْوَان قال : سمعتُ عمَّك إبراهيمَ بن العباس الصُّولي يقول : ما اتكلْتُ في مكاتبتي الا على يُجيلُه خاطري ، ويَجيش به صدري ، إلا قَوْلِي : وصـــــار ما كان يُحْرِزُه

(١) الرسائل الأدبية ، ص٥٦٢ .
(٢) في بلاغة الخطاب الاقناعي ، ص١١٢ .
(٣) الرسائل الادبية ، ص٥٤٢ .
(٤) سرد الامثال ، ص١٦٢ .
(٥) اخبار ابي تمام ، ص٤٦ .

يُبْرِزُهم وما كان يعقِلُهم يعتقِلُهُم ، وقَولي في رسالةٍ أخرى : فأنزلوه من مَعْقِل الى عُقَّال ، وبدَّلوه آجالاً من آمال ؛ فإني ألممتُ في قولِي : (آجالاً من آمال) بقولِ مُسلم بن الوليد :

مُوفٍ على مُهَجٍ في يومِ ذي رَهَجٍ كأنه أَجَلٌ يَسْعى إلى أملِ))[1]

نُلاحظ أنّ الصولي قد ساق خطابه في نصيه السابقين باسلوب صياغة المثل او الحكم بأسلوبه الخاص ، لاقناع المخاطب اليه وجره الى ساحته ؛ لما للمثل او الحكمة من سلطة تتقوى بها خطاب المتكلم (الصولي) لأن ((المترسلين يستعملون التلفظ الحكمي لعلمهم ان القارئ يقبل على استساغة القالب الحكمي فهم يستعيرون صورة المثل او الحكمة او اساليبهما لما فيها من سلطة قولية يقوى بها خطب الرسائل))[2] ، لأنّ المتكلم يصوغها بنفسه ويدرجها في خطابه التراسلي ، مما يعوض ذلك عن القوالب / الصيغ الجاهزة ؛ مما يزيد في درجة الاقناع والاقبال على الخطاب التراسلي ، وهذا ما عمله الصولي في خطابه التراسلي مما يزيد في حضوره ووجوده في خطاباته عن طريق صياغة هذه الامثال او الحكم بنفسه ، وجعلها في مصاف الحكم و الامثال الموروثة / المتوارثة من (شعر ونثر) وهذا ما اثبته ((اصحاب الاختراعات ان مقومات العلم والاختراع مبثوثة في محيطنا وانها فينا كالمهملة او الكامنة ، وفضل العالم او المخترع انما يكون في وعيه بتلك المقومات ووقوفه على اليات تماسكها او النظام الذي يشدها))[3] ، وهو ما عمله الصولي في جعل مثله / حكمته اساسا تستند عليه من (شعر ونثر) او الواقع المعيش ؛ كيلا يخرج من دائرة الصدق والاخلاص في الحكي ، لغرض الاقـــــــناع والاستمالة للمخاطب (بفتح الطاء) لــ((يحقق بها الكاتب بأستمرار

---

(١) اخبار ابي تمام ، ص١٠٢ .

(٢) الرسائل الادبية ، ص٥٤٣ .

(٣) لغة النقد الادبي الحديث ، ص٤١ .

التواصل بينه وبين القارئ المعاصر له ، بعد التمثل اداة تيسر التحاور وتوحد المراجع الثقافية بين المتخاطبين ، فضلا عما تضفيه من حيوية على الخطاب الشعري))[١] .

ث- الاستفهام[٢] :وهو ((طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل ، وهو الاستخبار الذس قالوا فيه : إنه طلب خبر ما ليس عندك وهو بمعنى الاستفهام اي طلب الفهم))[٣] ، بمعنى انه (الاستفهام) ((جزء من البنية التواصلية للخطاب الذي ينسجه المتكلم محاججا لدعواه ، فهو لا ينفصل عن هذه الدعوى وعن حججها ، مثلما لا ينفصل عن الصورة الذاتية الحجاجية التي يظهر بها المتكلم في خطابه ، وعن الاهواء التي يثيرها في المخاطب ، كما لا ينفصل عن ترتيب الخطاب واجزاءه))[٤] ، فالتجاء المرسل لهذه الالية هو ((للسيطرة على مجريات الاحداث ، بل وللسيطرة على ذهن المرسل اليه ، وتسيير الخطاب تجاه ما يريده المرسِل ، لا حسب ما يريده الاخرون ... القصد ان يبلور الاجابة (المرسل اليه) في عمل فعلي))[٥] ،

---

(١) الرسائل الادبية ، ص٥٥٥ .

(٢) المصدر نفسه و ص٥٧٩ .

(٣) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، احمد مطلوب ، مكتبة لبنان ناشرون ، لبنان / بيروت ٢٠٠٧ (باب الالف) .

(٤) خطاب الاخلاق والهوية في رسائل الجاحظ ، ١٢٣ .

(٥) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٣٥٢ .

لذا يُعد الاستفهام ((من اهم فنون المعاني التي سعى بها الكتاب الى تقوية صلة التخاطب في الرسائل ، لا بأعتباره استفهاما حقيقيا بل لكونه شكلا من اشكال اخراج المعاني يعوض الصورة الفنية احيانا))[١] ، إذ يرد الاستفهام في خطاب الرسائل بعدة سياقات استعملها الكتاب في عملية التخاطب وهي :

١- سياق التعظيم في صدور الرسائل : ((لأحداث ضرب من ضروب تفخيم الافتتاح وتقوية المطلع))[٢] ، الغرض منه مدح المخاطب اليه وتوقيره ، كقول الصولي : ((وليتَ شِعري ، متى جالس هؤلاء القومُ مَن يُحسن هذا ، أو أخذُوا عنه ، و سمعوا قولَه ؟))[٣] .

ُيلاحظ أنّ الصولي قد قرن اسلوب الاستفهام بأسلوب التعجب ، بمعنى أنّ الممدوح – يقصد ابا تمام – قد غيب من لدن هؤلاء القوم ، وهو احق بالتقديم والاخذ عنه ، فالغاية من استعمال الصولي للاستفهام هو لغرض التعظيم و لـ((تقوية درجة الذاتية في التلفظ .. يرمي الى اثبات احكام تتعلق بالمخاطب في افعاله واقواله))[٤] .

٢- سياق التقريع في متون الرسائل : فهو يقوم على مبدأ المحاسبة : محاسبة المخاطب على افعـــــــــاله ، وهو كذلك اسلوب من اساليب الاعتساف على

(١) الرسائل الادبية ، ص٥٨٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٥٨٠ .

(٣) اخبار ابي تمام ، ص١٢٧ .

(٤) الرسائل الادبية ، ص٥٨١ .

المخاطبين . يستخدم الاستفهام بهذا المعنى في وسائل الهجاء))[١] ، فمثلا قول الصولي : ((وفر العالم منهم من قوله اذا سئل ان يقرأ عليه شعر بشار وابي نواس ومسلم وابي تمام وغيرهم ، من (لا احسن) الى الطعن ، وخاصة على ابي تمام لانه اقربهم عهدا واصعبهم شعرا ، وكيف لا يفر الى هذا من يقول : اقرأوا علي شعر الاوائل ، حتى اذا سئل عن شيء من اشعار هؤلاء جهله ، والى اي شيء يلجأ الا الى الطعن على ما لم يعرفه ، ولو انصف لتعلم هذا من اهله كما تعلم غيره ، فكان متقدما في علمه ، اذ كان التعلم غير محضور على احد ولا مخصوص به احد ؟))[٢] .

يسوق الصولي خطابه بأسلوب التقريع او التوبيخ للمخاطب في عدم صحة دعواه ، وما ذهب اليه في المعرفة / العلم ، فينفي الصولي العلم الذي يدعيه المخاطب (بفتح الطاء) بقوله : (اقرءوا علي شعر الاوائل حتى اذا سئل (يقصد المخاطَب) عن شيء من اشعار هؤلاء جهله) ، فتفيد الاستفهام في نص الصولي الى ((النفي المعضد بالتقريع او التوبيخ . انه يشكل حجة تقريع الخصم ويمثل افعاله في صورة سلبية مبنية على موضع الاعتدال وقيمة التواضع))[٣] ، فجاء الاستفهام في نص الصولي مبنيا على التقريع والتحقير وردع المخاطَب وحمله ((على الاقلاع عن فعل ما ، فيكون اسلوبا من اساليب التحقير والاستصغار))[٤] ، فغاية الصولي من خطاب التقريع والتحقير هو تبيين الصواب والحق من خلال المعرفة المسـبقة عن المخاطب ، ولجعل ((المرسل اليـه يركـز علـى نقطة

---

(١) الرسائل الادبية ، ص٥٨٢ .

(٢) اخبار ابي تمام ، ص .

(٣) خطاب الاخلاق والهوية في رسائل الجاحظ ، ص١٢٦ .

(٤) الرسائل الادبية ، ص٥٨٢ .

محددة في الحوار ، او ليتحقق من ان المرسل اليه مركز على نقطة محددة سلفا))[١] ، وهذا ما اشار اليه ارنست جمبرش E.Gombrich بقوله ان قراءة الصور شأنها شأن التقاط اي رسالة اخرى ، انما تعتمد على معرفة مسبقة لابد من ان تكون موجودة سلفا))[٢] .

٣- سياق الانكار في صدور الرسائل وخواتيمها ، الذي يمثل وجها من الوجوه الاسلوبية في حركة الترسل يبرز لنا مدى تشتت المدونة التي وصلت الينا[٣] ، كقول الصولي : ((وقد ادَّعَى قومٌ عليه الكُفْرَ ، بلْ حقَّقُوهُ ، وجعلُوا ذلكَ سَبباً للطّعنِ على شعرِهِ ، وتقبيحِ حَسَنِه ، وما ظننْتُ أنَّ كُفْراً يَنْقُص من شِعْرٍ ، ولا أنَّ إيماناً يَزِيدُ فيه . وكيف يحَقِّقُ هذا على مِثْلِهِ ، حتى يَسْمعَ الناسُ لَعنَهُ له . مَنْ لـــم يشاهِدْهُ ولم يِسمعْ منه ، ولا سَمِعَ قولَ من يُوثَقُ به فيه ؟))[٤] ، فإنكار الصولي قول هؤلاء القوم بتكفير ابي تمام ونسبتهم صفة الكفر اليه (من لم يشاهده ولم يسمع منه) ، فنُلاحظ أنّ الصولي قد قرن اداة الاستفهام (كيف مع فعل مضارع) ، دلالة على انكار من يفعل ذلك او يتصف بهذه الصفة وهي (الكفر) ، وهذا ما تطرق اليه عبدالقاهر الجرجاني ت ٤٧١هـ بقوله : ((... الا ترى ان من المحال ان تزعم ان المعنى في قول الرجل لصاحبه : (اتخرج في هذا الوقت ؟ اتغرِّرُ بنفسك ؟ أتمضي في غير الطريق ؟) ، انه انكر ان يكون بمثابة من يفعل ذلك ، وبموضع من تجيء منه ذاك ، لان العلم محيط بأن الناس لا يريدونه ، وانه لا يليـــق بالحـــــــــــال التي

---

(١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٣٥٣ .

(٢) الرمز والفن ، ص١٠ .

(٣) الرسائل الادبية ، ص٥٨٣-٥٨٤ .

(٤) اخبار ابي تمام ، ص١٧٢ .

فيها هذا الكلام))[١] ، فجاء استفهام الصولي مقرونا بالتعجب والاستغراب ، لقول هؤلاء القوم بتكفير ابي تمام ، فتكون ((الوظيفة البلاغية لهذا الاسلوب هنا في تقوية دعوى المتكلم في ذمه لخصمه من خلال اضافة معنى التعجب الى انكار الفعل))[٢] ، الصادر من هؤلاء القوم .

ثالثا : الرسائل والاجناس الادبية[٣] :

تمثل الرسائل نموذجا مثاليا في ادراج الاجناس السردية التي تسهم بدورها في بلورة التفاعل بين المتخاطبين ، واثراء العملية الحوارية من خلال توجيه للأفعال والمواقف وتطور السرد وانمائه في مختلف انماط التراسل ؛ إذ تعتبر الرسائل عاملا مهما وفاعلا في حفظ المرويات الشفوية او المكتوبة التي تتخذ من الواقع مادة اساسية لها ، مما ينعكس ((الاطار القصصي الذي تدرج شكلا من اشكال تثبيتها ، فهو يمنحها البقاء ويحفظها من التلاشي))[٤] ، إذ يصوغها المرسِل حسب رؤيته وملاءمتها لرسالته بشكل يتلاءم وموضوع الرسالة ، مما يسهم ذلك في توظيف اكبر عدد من المرويات والتي تتيحها له اللغة لأنّها ((تشكل موردا حضاريا يستقي الروائي والفرد معا عناصر مرادهما منه))[٥] ، ويتوقف ذلك على ثقافة المرسِل الادبية ، وطريقة تأليفه لهذه المرويات والتي تعتبر شواهد تحظى بسلطة ونفوذ وتعزز من مضمون الرسالة فيقوم ((مقام التأليف بين الكلمات لتكوين الجمل . ويخضع هذا التأليف لنظام من القواعد التركيبية ، ولعل اولاها قاعدة تنويع الشواهد ، ولعل القـــاعدة الثانية تتمثل في تنويع طرق الادراج وفق قوانين الاستشهاد اختيارا

---

(١) دلائل الاعجاز ، ص١١٨ .

(٢) خطاب الاخلاق والهوية في رسائل الجاحظ ، ص١٢٦ .

(٣) الرسائل الادبية ، ١٦٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص١٨٨ .

(٥) لغة النقد الادب الحديث ، ص١٦٣ .

واقتباسا وتضمينا))[1] ، فـ((هذا التوسع في خطاب الرسالة ثمرة من ثمار التفاعل بين الرسالة القصة والمثلية والخطاب التاريخي الادبي))[2] ، ولا نغفل عن علاقة المرسِل بالمرسَل اليه ، لما للمرسِل من دور في تحديد نوعية السرد ، اذ يعد (لينتفلت)إن المتكلم هو ((مركز التوجيه في علاقته بالمتلقي ، بعده معيارا لتحديد وتمييز مختلف التجليات الاساسية للسرد في اشكاله الداخلية والخارجية))[3] ، بمعنى أنّ المرسِل يضفي الحياة والديمومة لخطابه ، ويجعله حاضرا في كل زمان ومكان ، وذلك لما يضفيه من الذاتية الى خطابه ، ((باعتباره مسؤولا عن مجموعة من العمليات الاجرائية غلى مدار النص))[4] ، اما رولان بارت فلديه روية تخالف ما ذهب اليه (لينتفلت) حول النص بـ((ان النص يكون انتاجه من غير منتج. فالمؤلف لن يضيف شيئا ما دام النص سيتقاطع مع نصوص اخرى ويجسد فضاءات لثقافات خارجية .. وترك النص كانتاجية لها وجود في الزمان والمكان))[5] .

ومهما يكن من امر فان ((ادراج الرسائل في الخبر الادبي فن من فنون الايهام بالواقع ، او التخييل ، وذلك لأنه يعتمد جنسا من الاقوال ذا قيمة تاريخية توثيقية ... وان في اختلاف روايات الرسالة الواحدة دليلا على ان المتكلم الحقيقي في الرسالة ليس كاتبها الاول فحسب بل هو كذلك راويتها ومدونها ، فكـــــل من يسهم في نشر

---

(١) خطاب الاخلاق والهوية في رسائل الجاحظ ، ص٨٥ .

(٢) الرسائل الادبية ، ص١٦٩ .

(٣) بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص٣٦٩-٣٧٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ص١٢٢ .

(٥) لغة النقد الادبي الحديث ، ص١٩ .

الرسائل يترك في روايته اثرا من اثاره))[1] ، ويمكن التطرق الى نوعين من هذه الاجناس السردية وهما :

أ- الرسائل في النادرة الادبية ... وتمثل النادرة الادبية وهي قصة قصير جدا جنسا من اجناس ادب الضحك والاضحاك ، تقوم احداثها حول شخصية طريفة في سلوكها واقوالها كالأحمق او المجنون او البخيل))[2] ، كقول الصولي : ((وحدّثني عليُّ بن العباس قال : كان البحتري معي جالساً ، فسلَّم علينا ابنُ لعيسى بنِ المنصور ، فقال لي : من هذا ؟ قلت : هذا ابنُ عيسى المنصوري الذي يقول ابنُ الرومي في أبيه :

يُقَتِّرُ عِيسى على نَفْسِهِ وَليْسَ بِباقٍ ولا خــالِدِ

فَلـــوْ يَسْتَطيعُ لِتَقْتِيرِهِ تَنفَّسَ مِنْ مِنْخَرٍ واحِدِ

فقال لي : أُفّ أُفّ وتُفّ : أهذا من خاطر الجن لا من خاطر الإنس ؛وَوَثب ومضى))[3] .

يُلاحظ من النادرة الادبية التي ذكرها الصولي والتي ساقها علي بن العباس للبحتري بانها مبنية على رسالة ابتداء ، وهو الاستشهاد بأبيات ابن الرومي للمستفهَم وهو (ابن عيسى المنصوري) حينما سئل البحتريَّ علي بن العباس عنه ، فيمثل قول علي بن العباس مستشهدا بأبيات ابن الرومي رسالة ابتداء ، اما الرسالة الثانية في هذه النادرة الادبية فهي رسالة جواب المتأتية من السائل (البحتري) بقوله : (افّ افّ وتف) ، فاراد الصولي أنْ يكشف بالمقام التراسلي عن الاشخاص الحقيقين من خلال هذه النادرة الادبيـــة واتخـــــــــاذها كوثـــيقة

---

(١) الرسائل الادبية ، ص١٩٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٧٠.

(٣) اخبار البحتري ، ١٢٠-١٢١ .

تاريخية ، فـ((المؤلف الذي يبتكر الرسائل او يمنحها صيغها المكتوبة ، وينسبها لفظا ومعنى الى اشخاص حقيقيين انما يستغل قيمة الرسالة من الناحية التاريخية ، ووظيفتها كشاهد على صاحبها الذي اليه تنتسب))[١] ، إذ تعد هذه النادرة الادبية انجع طريقة في معرفة الاشخاص وطبائعهم وما يميلون اليه من توجهات بعرض قصصي موجز لهذه الشخصية إذ ((يمثل الاطار القصصي الذي تدرج فيه شكلا من اشكال تثبيتها ، فهو يمنحها البقاء ، ويحفظها من التلاشي ان كانت فعلا من القول الشفوي الذي تناقله الرواة ، ولم تكن من اختلاف الاخباري ، ولكنه يستثمر قيمتها الادبية ويثري جانب الامتاع في القص ويُلاحظ أنّ المجيب (علي بن العباس) قد استعمل الفاظاً قرآنية من قبيل (اف – انس – جن) ، فيعطي بذلك شرعية لخطاه وعنصرا تداولا في طريقة استعماله لمثل هذه الالفاظ وادراجها في رسالته الجوابية ((مما يتيح الفرصة لتمثيل موقفه الخاص عبر الشفرة ، اللغوية التي يستخدمها على مستوى التعبير الذي يلم عنها اكثر مما يدل على المحتوى المنقول))[٢] ، فتمثل رسالة الجواب لـ(علي بن العباس) بـ(مركز رأي) ، لما تلقاه من (مركز التوجيه) والمتمثل بقول البحتري وهي (رسالة ابتداء) وتمّثّله بأبيات ابن الرومي .

اما دور الراوي (الصولي) فلا دخل له ، وانما يقوم بدور نقل ما قاله المتحاورون دونما تدخل ، وهو ما يطلق عليه بـ(الحوار غير المباشر) وهو ((حوار يقوم فيه الراوي بعرض ما قاله كل من الخصمين على التوالي ، فكل كلام صـــادر على لسان احدى الشخصيات الفاعلة في الخطاب المناظري يتكفل الراوي

---

(١) الرسائل الادبية ، ص١٧٣ .

(٢) اللسان العربي واشكالية التلقي ، مركز دراسات الوحدة العربية . سلسلة كتب المستقبل العربي (٥٥) ، حافظ اسماعيلي علوي ... (وآخ) . ط١ ٢٠٠٧ ، بيروت – لبنان ، ص١٢٩ .

بعرضه علينا بدون تدخل))[١] .

ب- الرسائل سردا لحادثة : يمثل نواة الكتابة القصصية او السرد الموهم بالإحالة على الواقع ، لان مقام الترسل يضفي عليها صبغة الاخبار ويمعن في الايهام بمطابقتها للواقع ، على النحو الذي يوهمك به السند في الخبر ذي القيمة المرجعية))[٢] ، فـ((في هذا الجنس الادبي يدعي الكاتب انه مدفوع الى السرد بطلب من القارئ (المرسل اليه) ... ولعل هذه الصيغة التي يقتضيها الترسل سرعان ما يندثر اثرها في الرسالة بتحول الكاتب من مترسل الى راوٍ))[٣] ، كقول الصولي : ((ثم أرتْني عَيْنُ الرأي بقيةً في نفسِكَ منه ، لم يُطْلِعْها لي لسانُكَ ، إما كراهَةً منك لتَعبِي ، أوْ إشفاقا من الزيادةِ في شُغُلي .. فسألْتُكَ إبانتَه وتكليفِي جميع ما تريدُ منه ، فعرّفْتَني أنَّ تكميلَ ذلك لك ، وبلوغي فيه أقصى إرادتك ، إتْباعي أخبارَه بعملِ شعرِه كلِّهِ مُعَرَّباً مُفسَّراً ...))[٤] .

يلاحظ من نص الصولي أنّ (مزاحما) بعث برسالة يطلب من الصولي بيان ما أُختلف من امر ابي تمام ، بانقسام الاطراف فيه بقول الصولي : (وتكليفي جميع ما تريد منه) ، فهذا التكليف من قبل (مزاحم) للصولي باعث على السرد ، دافع الصولي الى تحويله الى قصة يسوق فيها كل ما جاء من امر التفضيل او الذم ، بأسلوب قصصي ((فقد عمل السرد على بناء حادثة يكون الكاتب شاهدا عليها او طرفا فيها او معبرا عن وضع ذاتي وثيق الصلة بحياته اليومية))[٥] ، من خلال الاحداث والمواقف التي عاشها وعاصرها في امر ابي تمام وما لاقاه من حيف من قبل منـــــــــــاوئيه ، وما يقابله من علو شأنه من قبل مناصـــــــــــريه .

---

(١) خطاب المناظرة في الادب الاندلسي ، ص٢٠٢ .

(٢) الرسائل الادبية ، ص٢١٨-٢٢١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٢٢١ .

(٤) اخبار ابي تمام ، ص٥ .

(٥) الرسائل الادبية ، ص٢٢٠ .

المبحث الثاني : الافعال الكلامية :

يمثل الفعل الكلامي نواة مركزية للفهم الدلالي وما يراد منه ، لأنّ الغاية منه هو الفهم والتأثير في المخاطب ، ((وفحواه انه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي انجازي تأثيري))[1] ، وبما يتلائم ذلك مع الاعراف المجتمعية ، ولهذا يطلق عليها ((اسم الافعال الدلالية او (العلامة) .. ومن مميزات هذه الافعال انها تتطلب المشاركة بين طرفين ، وانها ذات معنى تقوم على تبليغه ، وايصاله من طرف الى طرف من اطراف الاتصال ، على اتفاق صريح ، او غير صريح ، يتم داخل الاعراف الموجودة في المجتمع))[2] ، فالفعل الكلامي حسب تعريف غاردنر هو : ((فعل فردي ذو بعد اجتماعي))[3] ، وهو ما ذهب اليه (اوستن) و وافقه بذلك (دكرو) في دور ((العرف الاجتماعي ، اي التعاقدي لإنتاج اللغة من قبل المرسل في المجتمع))[4] ، اي أنّ المجتمع له الدور في تحديد وصياغة اللغة وبما يتلاءم مع واقعها الخارجي ، اي أنْ تكون (اللغة) مطابقة له ، كي توسم هذه اللغة بالصدق إذا طابقت الواقع ، والعكس يكون غير ذلك وهذا ما رآه فلاسفة الوضعية المنطقية بأنّ ((اللغة وسيلة لوصف الوقائع الموجودة في العالم الخارجي بعبارات اخبارية ، ثم يكون الحكم بعد ذلك على هذه العبارات بالصدق ان طابقت الواقع وبالكذب ان لم تطابقه فاذا لم تطابق العبارة واقعا فليس من الممكن الحكم عليها بصدق او كذب ، وهي من ثم لامعنى لها))[5] ، فاللغة باعتبارها اداة للتواصل والتفاعل معا ، ترتبط ارتباطا وثيقا بالمجتمع ، وبأعرافه ومعتقداته ، وهذا ما بينه ماي بقوله : ((ان العالم الذي يعيش فيه الناس عالم متماسك ، يرتبط فيه كل شيء بعضه ببعض ، وليس من بين ظواهره ما يمكن تفسيره

---

(١) التداولية عند العلماء العرب ، ص٤٠ .

(٢) البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد ، ص٢٨٦ .

(٣) تساؤلات التداولية وتحليل الخطاب ، ص١٩ .

(٤) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص٤٠ .

(٥) افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ٤٢ .

منعزلا))[1] ، اي أنّ ((اللغة تدرس عالما اجتماعيا لا ينفصل عن البيئة التي تعطي دافعه ، ولا ينفصل عن المستمع الذي يبرهن بفعل او باستجابة لفظية على توظيفه العملي ، أنّها آلية لتوصيل الفكر فهي ليست نظيره او روحه))[2] ، فـ((كل عمل ادبي يتغلغل في بيئة اجتماعية وجغرافية ما ، اذ يؤدي وظائف محددة بها ، ولا حاجة الى حكم قيمي ، فكل شيء وجد لأنه بجب ان يوجد))[3] ، اي بمعنى إنّ مهمة اللغة هي وصفها للواقع ، وهذا ما عبر عنه اوستن في عام ١٩٥٥م ، إذ استقى هذا المفهوم ، وهو ربط اللغة بالواقع من لودفينغ فتغنشتين (١٨٨٩-١٩٥١م) إذ اكد الاخير أنّ ((الاقوال المنطقية هي من تحصيل الحاصل ومن ثمة فهي فارغة من المعنى ، بما انها لا تحيل على الواقع ، بل تشكل اطارا صوريا ما قبليا للمعرفة العلمية))[4] ، لذلك عرض لودفنغنشتين ، وتبعه بذلك اوستن عن دراسة المنطق وربطه باللغة ، لأنّ عملية ربط اللغة بالمنطق ((تسبب الكثير من المشاكل لمعلم اللغات ، ومتعلمها .. مما يعيق عملية استيعاب المادة ، وبالتالي حفظها ، ولان اللغة لا تتصرف تصرفا منطقيا في كثير من الاحيان كما بين البحث ، فيستطيع المدرس كسر هذا الحاجز النفسي بتسليط الضوء على مسألة عدم ربط اللغة بالمنطق))[5] ، فاللغة ((هي المفتاح السحري الذي يفتح مغاليق الفلسفة))[6] ، فالغاية من ذلك هو (احداث التواصل) ، شريطة أنْ تكون هذه ((الاقوال واردة في سياقات اجتماعية محكمة التقنين)) ، فـ((السياق المقامي، الذي يشكل جزء من

---

(١) افاق تداولية ، ج١ : ١٢٤ .

(٢) تساؤلات التداولية ، ص٣٠ .

(٣) القراءة والحداثة ، ٢٠١ .

(٤) التداولية من اوستن الى غوفمان ، ص٣٠ .

(٥) التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، ص٢٩٠ .

(٦) التداولية عن العلماء العرب ، ص٢٣ .

(٧) التداولية من اوستن الى غوفمان ، ص٦٠ .

البواعث الاجتماعية الفاعلة في الخطاب الحواري ، وهي بواعث تؤطر الحوار ليسير وفق حدود واضحة ، لأنّ التلفظية المقامية للحوار تساعد في تفسير الكثير من مجرياته ومساراته))(١) ، لأنّ مقام المتكلم يعد ((فعالية يتفاعل فيها المشتركون من خلال اللغة بطريقة عرفية معينة للوصول الى ناتج معين))(٢) ، وهذا ما بينه اوستن بـــ((انه عندما يتلفظ متكلم بعبارة معينة داخل سياق تواصلي محدد ، فانما يكون بصدد انجاز فعل معين ، تتحكم فيه ظروف مقامية محددة))(٣) ، اي (ان الجمل اللغوية لا تنقل مضامين مجردة ، وانما تؤدي وظائف تختلف باختلاف السياقات والمقامات المتنوعة))(٤) ، فالسياق ((هو الديناميكية او المسرح الذي تتمظهر وتتوالى من خلاله افعال الكلام))(٥) ، إذ تتحدد هذه الظروف المقامية بشرط الاحالة المرجعية ، وهذا امر اساس في نظرية اوستن لأدراك ماهية اللغة ، إذ ((تصبح فيها اللغة افعال التواصل لا اقوال متراصة خالية من الدلالات والاحالة المرجعية ... في الاشياء ، وتطورت عملية التواصل التي ينتج عنها بالضرورة عادات واعراف وعوائد ، ولا يجوز ان يكون اتصال مستمر وتفاهم ما لم ترسخ العوائد))(٦) ، بمعنى أنّ اللغة في نظرية افعال الكلام لا تكون ((مجرد اداة للتواصل كـــــــــــما تتصورها المدارس الوظيفية ، او رموز للتعبير عن الفـكر كما تتصورها

---

(١) الحوار وخصائص التفاعل التواصلي ، ص٨ .

(٢) التداولية ، ص٩٤ .

(٣) الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، ص٨١ .

(٤) التواصل والحجاج ، ص٩ .

(٥) التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، ص٣٢٢ .

(٦) نظرية الافعال الكلامية العامة ، كيف ننجز الاشياء بالكلمات ، ترجمة. عبدالقادر قنيني ، افريقيا الشرق ، ١٩٩١م ، ص٨ .

التوليدية التحويلية ، وانما هي اداة لتغيير العالم وصنع احداثه والتأثير فيه))[١] ، من خلال التقبل وقبول الفعل القولي ((لتحقيق اغراض إنجازيه (كالطلب والامر والوعيد ... الخ) وغايـــــات تأثيرية ، تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول ، اي يطمح ان يكون ذا تأثير في المخاطب ، اجتماعيا او مؤسساتيا ، ومن ثم انجاز شيء))[٢] ، فـ((الفعل الكلامي الملفوظ المتحقق من قبل متكلم محدد في سياق معين والذي لا تكون اللغة معه مجرد اداة تواصلية : بل فعلا اجتماعيا او سلوكا فرديا ومؤسساتيا))[٣] ، بغية ((تحويل وضع المتلقي ، وتغيير نظام معتقداته ومواقفه السلوكية))[٤] ، ويكون ذلك من خلال التأثير في المتقبل فـ((التأثير بالقول يقع من ناحية التقبل ، ولذلك يعسر على الباث ان يتحكم فيه . فهو يقبع في مجال التأويل الذي يقوم به المتقبل))[٥] ، اي إنّ ((نظرية الافعال كلامية لا تقر بأن الوحدة الاساسية للتواصل الانساني هي الجملة ، ولا اي تعبير اخر : بل هي (انجاز) بعض انماط الافعال ، وذلك انطلاقا من موقف معين))[٦] ، فـ((قد بين (اوستن) الفعل الكلامي يمثل وحدة مركبة من ثلاثة عناصر فعلية مرتبطة فيما بينها . ولا يمكن فصلها بعضها عن بعض . وهذه العناصر او الافعال هي : (فعل القول) و (الفعل المتضمن في القول) او (الفعل الانجازي) ، والفعل الناتج عن القول (الفعل التأثيري)))[٧] ، فيقوم تصنيف اوستن لنظرية الافعال الكلامية على اساسين رئيسين هما :

---

(١) التداولية عن العلماء العرب ، ص١١ ،

(٢) المصدر نفسه ، ص٤٠ .

(٣) التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، ص٣٢٠ .

(٤) البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد ، ص٢٨١ .

(٥) التداولية من اوستن الى غوفمان ، ص٥٩ .

(٦) التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، ص٢١٣ .

(٧) التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، ص٣١٥ . (الهامش) .

(١) ((القصدية : وتتجلى انطلاقا من الربط بين العبارات اللغوية وغرض المتكلم او مقصده من الفعل الكلامي .. فكل فعل كلامي يقوم على قصد معين ، وله تأثير ودور في ضبط القوة الانجازية المرادة .

(٢) السياق العام بأنواعه ، اي السياق الذي يجري فيه القول : بكل معطياته الثقافية والاجتماعية والنفسية .. ان الاقوال تنتج ضمن سياقات محددة ، فتضحى دلالاتها جزءا لا يتجزأ من هذه السياقات))[١] .

فاراد اوستن من ذلك أنّ ((ينقض التقسيم الفلسفي القديم للكلام على انه خبر وانشاء ، فالفلاسفة طالما توهموا ، حينما افترضوا ان شأن الحكم في القضية اما ان (يصف) حالة شيء ما واما ان (يثبت) واقعة عينية ، مما يعين ان حكم القضية اما ان يكون صادقا او كاذبا))[٢] ، إذ بيّن إنّه ((من غير الممكن اعتبار الوظيفة الوحيدة للغة هي (الوصف) ، ولذلك اطلق شعاره المشهور في معارضة هذه الوظيفة وهو (الوهم الوصفي ، ليثبت ان القول هو بدون شك نقل معلومات معينة لآخرين حول موضوع ما تتكلم عنه فحاول ابراز (الوجه الانجازي) من القول ، والذي تمثله استعمالات معينة من اللغة بعد ان كان (الوجه الاخباري) المسيطر في الدراسات اللسانية الفلسفية))[٣] ، بمعنى أنّ ((اللغة حديثا وسيلة اتصال تكتسب حقيقتها من كونها نافعة ، اما قديما فمهمتها تقتصر على الاخبار عن العالم))[٤] ، فأراد اوستن بهذه النظرية ان يثبت نوعا من الانشاء هو الانشاء غير الطلـــبي الذي ((لا يحتمل الصـــدق والكـــذب لذاته ، لأنه لـــــيس لمدلول

---

(١) التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، ص٣١٣ .

(٢) البلاغة والنقد ، ص٢٨١ .

(٣) التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، ص٣١٢ ، ينظر افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص٦١ .

(٤) البلاغة والنقد ، ص٢٨٥ .

لفظة قبل النطق به ، واقع خارجي يطابقه او لا يطابقه))[1] ، فالأنشاء غير الطلبي : ((هو ما لا يستدعي مطلوبا اصلا ، مثل صيغ العقود (بعت ، اشتريت) ، والقسم ، واساليب المدح والذم (نعم – بئس) ، والدعاء))[2] ، وهذا ما عبر عنه اوستن بقوله : ((ان صدق عبارة ما او كذبها لا يعتمد فقط على معاني الكلمات ولكن على الفعل الذي تشكله في ظروف معينة))[3] ، إذ قام اوستن بتمييز بين نوعين من الافعال هما :

(١) افعال اخبارية ، تخبر عن وقائع العالم الخارجي وتكون اما صادقة واما كاذبه .

(٢) افعال ادائية ، وهي تنجز بها في ظروف ملائمة افعال ... ، اذ هي تستخدم لإنجاز مثل التسمية ، والاعتذار ، والترحيب ، والنصح ... الخ ، وهي من ثم لا توصف بصدق ولا كذب بل تكون موفقة او سعيدة))[4] .

فقد قدم اوستن تصنيفا للأفعال الكلامية حسب قوتها الانجازية من خلال العبارات المتلفظ بها ، وهي خمسة اصناف :

(١) القرارات التشريعية : وهو الاحكام والقرارات ، يختص بكونه ناتجا عن اصدار حكم في المحكمة ، سواء اكان ذلك الحكم من هيأة قضائية ام من محكمة تختاره الاطراف ام من حكم (في الملعب مثلا) ... ولكن الشيء المحكوم فيه قد يكون لأسباب مختلفة غير متأكد تمام التأكيد .

(٢) الممـــــارسات التشريعية : فيتعلق بممارسة السلطة والقانون ، والنفوذ ،

---

(١) البلاغة والنقد ، ص٢٨١ .

(٢) تحليل الخطاب في ضوء نظرية احداث اللغة ، ص١٨ .

(٣) تساؤلات التداولية ، ص٣١ .

(٤) افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص٦٢-٦٣ . (بتصرف) .

وامثلة ذلك التعين في المناصب والانتخابات واصدار الاوامر التفسيرية في المذكرات ، واعطاء التوجيهات التنفيذية القريبة من النصح والتحذير وغيرها .

(٣) ضروب الاباحة : فنموذجه اعطاء الوعد او التكفل والضمان والتعهد ، وفي كل هذا يلتزم الانسان ان يفعل شيئا ما ، وقد يندرج في هذا الباب التصريح واعلان النية والقصد ، ويدخل التصريح والقصد في الوعد .

(٤) الاوضاع السلوكية : وتختص بمجموعة منتشرة لا يمكن حصر اطرافها بسهولة ؛ ولكنها تندرج كلها تحت باب السلوك والاعراف المجتمعية ، وامثلتها الاعتذارات ، والتهاني ، والتعازي ، والقسم وانواع السباب ، والقذف والتحدي .

(٥) المعروضات الموصوفة : تبين كيف ان العبارات المتلفظ بها تجري مجرى الاحتجاج والنقاش ، كما تكشف كيف اننا نستخدم الالفاظ وبوجه عام يصلح هذا الصنف بطريقة العرض[١] .

اما سيرل فقد استطاع ((ان يطور تصور اوستن لشروط الملائمة او الاستخدام ، التي اذا تحققت في الفعل الكلامي كان موفقا ، فجعلها اربعة شروط وهي :

(١) شرط المحتوى القضوي : فعل في المستقبل مطلوب من المخاطب .

(٢) الشرط التمهيدي :

أ- المخاطب قادر على انجاز الفعل ، والمتكلم على يقين من قدرة المخاطب على انجاز الفعل .

ب- ليس من الواضح عند كل من المتكلم والمخاطب ، ان المخاطب سينجز الفعل المطلوب في المجرى المعتاد للأحداث .

---

(١) نظرية افعال الكلام العام ، ص١٧٤-١٧٥ .

(٣) شرط الاخلاص : المتكلم يريد حقا من المخاطب ان ينجز هذا الفعل .

(٤) الشرط الاساسي: محاولة المتكلم التأثير في المخاطب لينجز الفعل .))[(١)] .

فالمُلاحظ أنّ سيرل قد جعل الفعل التأثيري في نهاية تصنيفه الرباعي ، وذلك لأنّ ((الفعل التأثيري ليس له اهمية كبيرة عند سيرل ، لأنّه ليس من الضروري عنده ان يكون لكل فعل تأثير في السامع يدفعه الى انجاز فعل ما))[(٢)] ، والتي عدها ((اسس منهجية مضبوطة على اساسها ، يختلف الفعل الانجازي المعين عن غيره))[(٣)] ، ومن خلال هذه الاسس المنهجية ، ((ضمَّن خمسة اصناف :

(١) التقريريات :

والهدف او الغرض من هذا النوع يرتبط بمسؤولية المتكلم (بدرجات متفاوتة) ، حول حقيقة الاقتراح المعبر عنه (الغرض التقريري) ، وهي تصف حقيقة الاشياء المعبر عنها ، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات الى العالم ، ويتضمن هذا الصنف معظم (افعال الايضاح) عن (اوستن) ، وكثيرا من افعال الاحكام .

(٢) التوجيهيات :

ويقوم الهدف الانجازي لهذه الافعال على العمل الذي يتكون من محاولات (بدرجات متفاوتة) من جانب المتكلم لفعل شيء ما من خلال المستمع ، وهي ما يسعى فيها الى القيام بأشياء للأخرين ، فالغرض الانجازي هو محاولة المتكلم توجيه المخاطب الى فعل شيء ما . واتجاه المطابقة فيها من (العالم الى الكلمات) ، وشرط الاخلاص فيها يتمثل في الارادة او الرغبة الصادقة ، والفعل القضوي فيها هو دائما فعل السامع شيئا في المستقبل ، والافعال التي تدل على هذا الصنف هي (سأل – طلب – امر- اعترض – استعطف – دافع – التمس – توصل –

---

(١) افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص٧٤-٧٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٧٣ .

(٣) التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، ص٣١٦ .

دعا – سمح – نصح – تحدى – وكثير من افعال (القرارات، عند اوستن تدخل في هذا الصنف فأساسها (حمل المخاطب على القيام بفعل ما) .

(٣)الالتزاميات:

وتضم الافعال الكلامية التي يكون فيها الهدف الانجازي اجبار المتكلم (وبدرجات متفاوتة ايضا) على تبني تصرف ثابت مستقبلي ، تتعهد فيها بالقيام بأشياء اخرى . واتجاه المطابقة في هذه الافعال من العالم الى الكلمات ، وشرط الاخلاص هو القصد . والمحتوى فيها دائما فعل المتكلم شيئا في المستقبل .

(٤) التعبيريات :

والغرض الانجازي لهذا الصنف هو التعبير عن الحالة النفسية المخصوصة ضمن شرط الاخلاص ، وتتعلق بحالة اشياء محددة في المضمون القضوي .. ففي التعبيرات نعبر عن احاسيسنا وواقعنا ، ولا وجود لأثر المطابقة بين العالم والكلمات لأقتضاء حقيقة القضية المعبر عنها فقط .

(٥) الايقاعيات:

والغرض منها احداث تغيير في العالم بحيث يطابق العالم المحتوى القضوي بمجرد الانشاء الناجح للفعل الكلامي . ويتم ذلك بالاستناد الى مؤسسة غير لغوية بحيث نعتبر هذه المؤسسة عن الاداء الناجح لذلك الفعل الكلامي احداثا للتغيير المطلوب.. بأن اداءها بنجاح يكفي لتحقيق المطابقة بين القول والعالم .))[١] .

اذ لاحظ سيرل أنّ الافعال الانجازية تنقسم الى قسمين :

أ- الافعال الانجازية المباشرة: هي التي تطابق قوتها الانجازية مراد المتكلم ، اي يكون ما يقوله مطابقا لما يعنيه .

ب- الافعال الانجازية غير المباشرة : هي التي تخالف فيها قوتها الانجازية مراد المتكلم ... لا تدل هيئتها التركيبية على زيادة في المـــــعنى الانجازي الحرفي ، وانما الزيادة فيما

(١) التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، ص٣١٦-٣١٨ .

اطلق عليه سيرل معنى المتكلم[١] .

إذ ((يتواصل المرسل بالأفعال اللغوية غيرالمباشرة مع المرسل اليه بأكثر مما يتكلم به في الواقع ، وذلك من خلال الاتكاء على خلفيتهم المعرفية المشتركة اللغوي وغير اللغوية ، بالإضافة الى توظيف المرسل اليه لقدراته العقلية والاستنتاجية))[٢] ، وهذا ما رآه فريق من الفلاسفة بأنّ ((اللغة عدد لا متناه من وظائف مثل اعطاء اوامر او القاء اسئلة او تقديم شكر او صب لعنة او اداء صلاة او تمثيل دور على المسرح ... الخ))[٣] .

ويمكننا تحليل النصوص في اخبار البحتري واخبار ابي تمام ، على وفق تصنيف سيرل ألمطور للأفعال الكلامية وهي :

(١) الافعال الدالة على التقريريات : ومن امثلتها :-

أ/ قول الصولي : ((وقَدْ طَعَنوا على أبي تمامٍ في زمانهم وزمانهِ ، ووضَعوا عندَ أنفُسِهم منه فكانوا عندَ الناسِ بمنزلةِ مَن يَهْذِي ، وهو يأخُذُ بما طعَنُوا عليه الرغائبَ من علماء الملوكِ ، و رووساءِ الكُتّاب ، الذين هم أعلمُ الناس بالكلامِ منثورِه ومنظومِه ، حتى كانَ هُو يُعْطِي الشُّعراءَ في زمانه ويشفَعُ لهم ، وكلُّ مُحْسنٍ فهو غُلامٌ له ، وتابعٌ أَثَرَه))[٤] ،

ب/ قول الصولي : ((ومَنْ تَبَحَّر شعرَ أبي تمام وجدَ كلَّ مُحسنٍ بعدَه لائِذاً به ، كما أَن كلَّ مُحسنٍ بعدَ بشارٍ لائذٌ ببشَّار ، ومنتسبٌ اليهِ في أكثرِ إحسانِه))[٥] .

---

(١) افاق جديدة ف البحث اللغوي المعاصر ، ٥٠-٥١ .

(٢) استراتيجيات الخطاب ، ص٣٩٢ . ينظر المقاربة التداولية ، ص٧٢ .

(٣) التداولية عند العلماء العرب ، ص٧ .

(٤) اخبار ابي تمام ، ص١٧٥ .

(٥) المصدر نفسه ، ص٧٦ .

نُلاحظ في النص (أ) للصولي ، افعالا كلامية عبرت عن آرائه النقدية ، كاشفة في الوقت نفسه عن مقصديته في اثبات مقدرته العلمية ، وذلك في تبيان الصواب ، والمآخذ حول آراء المعاصرين والغابرين في شعر ابي تمام من خلال معرفته المسبقة بالتراث الادبي ، وتفاعله الايجابي لذلك . فيوجد في نصه احكام لأفعال انجازية عبرت عنها الافعال (طعنوا – وضعوا – كانوا – يهذي – يأخذ - كان – يعطي – يشفع) . فنجد ان هذه الصيغ قد استعملها الصولي كي تعبر عن مقاصده وما يروم منها ، ليكشف بها عن الحكم الذي اخذه الطاعنون على شعر ابي تمام ، واتهامهم اياه بالكفر دونما معرفة او دليل ، فهذه الافعال الانجازية تتمركز حول الهجاء ، فنراه انه قد اتبع علاقة التعليل والتفسير للوصول الى غرضه الانجازي ، اي إنّ ((كل فعل يعلل ويعطي الاحقية لتحقيق الاخر ضمن متواليات افعال كلامية كلية ، وبالتالي النجاح الكامل للفعل الكلامي النصي))[١] ، بمعنى إنّ كل فعل يؤهل او يعطي الشرعية للفعل الذي يأتي بعده لتحقيق النجاح الكلي للنص ، من خلال الانسجام والتناسق فيما بين هذه المتوالية في ألأفعال الكلامية للوصول الى تحقيق الفعل الانجازي (الهجاء) وسوء الحكم على شعر ابي تمام ، وهذا ما مثله الفعلان الكلاميان (طعنوا – وضعوا) وهما فعلان تقريريان ،فقد وردا في اتساق خطابي يخدم غرضه التواصلي ويحقق من خلالهما مقصده ، فقد وردا في صيغة الزمن الماضي ليصف بهما قضايا نقدية كانت متداولة وتقريرها في ذلك العصر . ومجمل هذه الافعال الكلامية أنّها تخدم الغرض الذي يروم الصولي تقريره / اثباته ، ويكون ذلك من خلال ((حيازة المتكلم على شواهد او اسس او مبررات ترجح او تؤيد صدق المحتوى القضوي ، والحالة النفسية التي تبرر عنها التقريريات هي الاعتقاد))[٢] وصدق المقال .

---

(١) التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، ص٣٢٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٣٣٠ .

أما النص (ب) للصولي فقد أحتوى على افعال كلامية تقريريه متمثلة بالفعلين (تبحر – وجد) إذ اتى هذان الفعلان الكلاميان (التقريريان) جوابا عن سؤال أبي سعيد بحادثة معينة الضرير ، حينما سئل ابا تمام حول شعره غير المعروف والفلسفي ، إذ لا تتم انجازية هذه الافعال الكلامية ما لم ترتبط بحادثة معينة ليبرز بذلك الجانب الاخر للغة ، أي ((يتخذ الكلام مجرى اخر بنقله من الظواهر الصوتية التي لا اثر لها في العالم الخارجي ، الى الظواهر الفاعلة والمؤثرة في الواقع ، وبهذا يبرز الوجه الاخر للغة))(١) ، فقد استعمل (الصولي) آلية التمثيل والمتمثلة بحرف (الكاف) في (كما) ، لبيان قصده وابراز غرضه التواصلي إذ تعد وسيلة لغوية مهمة استعملها الصولي للحكم على شعر ابي تمام وإلى أي مرجعية ينتسب شعره .

(٢) الافعال الدالة على التوجيهيات :

أ/ كقول الصولي : ((فأنظر – أعزَّك الله – إلى هذين الرجلين الجليلين المتقدمين وما فاتهما من سائر ما عددتُ لك من العلوم))(٢) ، وقوله ايضا : (((إعلم – أعزَّك الله – أن ألفاظَ المحدَثين مُذْ عهدُ بشارٍ إلى وقتنا هذا كالمنتقلةِ الى معانٍ أبدعَ وألفاظٍ أقربَ))(٣) .

ب / وقول الصولي : ((وليس أحد ممن أومأتُ إليه في زماننا هذا يعْشُر عند أعشقِ الناسِ له ، ومَنْ رِينَ على قلبه في محبته والتعصبِ له ، واحداً منهما ، ولا يُدانيه في حال ... ولستُ أُبالي ذلك في رضاك ، ولا أحفِل به مع بلوغِ مرادِك))(٤) .

ت / قال الصولي :

---

(١) التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، ص٣٢٠ .

(٢) اخبار ابي تمام ، ص٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص١٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ص١٠-١٢ .

ولا تَنْسَ التفضَّلَ من إلـــــهٍ   عليكَ بإخوةٍ نُجباءَ زُهرِ

يُرَدُّ الطَّرفُ من حَذَرٍ عليكم   كأنكمُ نجومٌ حولَ بدْرِ[1]

وقال ايضا : ((أما ما حُكي عن بعضِ العلماء في اجتنابِ شعرهِ وعَيْبِه ، ولا أسمِّي منهم أحداً لصِيانَتي لأهل العلم جميعاً ، وإبقائي عليهم ، وحِياطتي لهم ، فلا تُنكِرْ أن يقعَ ذلك منهم[2] .

ث / قال الصولي متحديا الذين عابوا شعر ابي تمام وفضلوا عليه قول الخريمي : ((فيجيبُ على هذا أن يقالَ له : هلاَّ قال الذي يقول :

عَفَتِ الديارُ محلُّها فمقامُها

ألا هُبِّي بصَحْنِكِ فاصْبَحِينا

وهلاَّ قال امرؤ القيس فكان :

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ

لخوْلَةَ أطلالٌ بُبرقَةِ ثَهمَدِ[(٣)]

نُلاحظ من نصوص الصولي – انفة الذكر- حضورا قويا للتوجيهيات ، مما يكشف عن المقدرة الادبية والنقدية التي يمتلكها ، وايضا رغبته في تأسيس رؤية جديدة فيما يخص تناول الشعر ، وكيفية الحكم الصائب ، بعيدا عن الرغبات والميول الذاتية ، ويمكننا أنْ نلمس براعة الصولي ، ومقدرته الادبية والنقدية من خلال المعالجات للأفعال التوجيهية وعلى الوجة الاتي :-

---

(١) اخبار ابي تمام ص١٣

(٢) اخبار ابي تمام ، ص١٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص١٣٤ .

نلاحظ في النص (أ) ورود الافعال التوجيهية بصيغة الامر وهي :

فأنظر – اعزك الله – -------- امر
اعلم – أعزك الله – -------- امر
← المخاطب (مزاحم بن فاتك)

اما في النص (ب) وردت الافعال التوجيهية بصيغة النفي وهي :

وليس احد ممن اومئت اليـه ------ نفي ← **المخاطب / ابو العباس محمد بن يزيدابن عبدالاكبر الازدي ، ابو العباس احمد بن يحيى الشيباني**

ولست ابالي ذلك في رضاك ------ نفي ← **المخاطب / مزاحم بن فاتك**

اما في النص (ت) وردت الافعال التوجيهية بصيغة النهي وهي :

ولا تنس التفضل من الـه ------ نهي (التماس) ← **المخاطب / مزاحم واخواه**

فلا تنكر ان يقع ذلك منهم ------ نهي (التماس) ← **المخاطب / مزاحم بن فاتك**

اما في النص (ث) وردت الافعال التوجيهية بصيغة التحضيض وهي :

هلا قال الذي يقول ------ تحضيض
هلا قال امرؤ القيس مكان ------ تحضيض
← **المخاطب / غير محدد**

اختلفت الافعال التوجيهية في نصوص الصولي ، باختلاف المخاطب الية ، فالغرض الانجازي في الافعال التوجيهية هو ((محاولة المتكلم توجيه المخاطب الى فعل شيء معين))[١] ، فمن خلال هذا التنوع في الافعال التوجيهية ، ادى الى تنوع في الصيغة الانجازية ، اذ انقسمت هذه الافعال في نصوص الصولي الى صيغ (الامر – النفي – النهي – التحضيض) ،إذ نلحظ في نص الصولي (أ- ب) افعال طلب مباشرة ، تمثلت بـ(انظر – اعلم - لاتنس - لاتنكر)

(١) افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص٤٩ .

، إذ لم تخل من عنصر (التأدب) في تلفظها ، لأنّ الصولي توخى عنصر الوضوح في حظورها ، وهو يخاطب (مزاحم) وذلك ((عندما يكون هدف المرسل هو التعبير عما يكنه للمرسل اليه الذي يشاركه الخطاب . بالرغم من ان الوضوح يعد في بعض الاحيان من ضروب التأدب مع المرسل اليه))(١) ، اذ تندرج تحتها الافعال غير المباشرة او قصد المتكلم فـ((فعل القول (او الفعل اللغوي) ، ويراد به اطلاق الالفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة))(٢) ، فهذه الدلالة هي غاية / مراد المتكلم من الفعل القولي ، فبهذه الافعال المباشرة تلزم المخاطب والمخاطب اليه بحتمية الالتزام بها ، اما النصوص (ت – ث) فقد انحرفت الافعال التوجيهية من الطلب المباشر الى الطلب غير المباشر ، كون المخاطب لا يملك سلطة على المخاطب اليه تلزمه بالطلب المباشر ، كما في (لست ابالي – ليس احد ممن اومأت – هلا قال) لأنّها حاملة في غرضها الانجازي ارائه النقدية وتوجهاته الفكرية وعن فلسفته في الحياة ، فتكون القوة المتضمنة في القول في افعال الامر والنهي (انظر – اعلم – لا تنس - لا تنكر) اكثـــــــــر نفاذيـــــــــة من الافـــعال التي تــــــدل على النـــفي والتحضيض (لست ابالي – ليس احد – هلا قال) .

(٣) الافعال الدالة على الالتزاميات :

أ / كقول الصولي : ((وقد كنتُ عمِلتُ (أخبارَ الفرزدق) فدخلَتْ في ثلاثمئة ورقة ، وشرَطْتُ فيها ألّا آتَي بحرفٍ ذُكِر في النقائض))(٣) .

ب / قول الصولي : ((على أنّي قد أطلتُ هذه الرسالةَ – أعزَّك الله – إستلذاذاً لخطابِك ، وشغفاً بِمرادِك))(٤) .

---

(١) استراتيجيات الخطاب ، ص٩٩ .

(٢) التداولية عند العلماء العرب ، ص٤١ .

(٣) اخبار ابي تمام ، ص١٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٥٦ .

ت / وقول الصولي : ((ولولا أنَّ بعضَ أهلِ الأدبِ أَلَّفَ في أَخْذِ البحتريِّ من أبي تمام ، لكنتُ قد سُقتُ كثيراً مثلَ ما ذكرنا))[١] .

يُلاحظ في نص الصولي (أ) أَنّه يصرح بشكل واضح وجلي عن قصده أي إنّ ((شرط الاخلاص هو القصد))[٢] . إذ يكشف الفعل الانجازي (شرطت – اتي) عن قصد الصولي في سبب تأليفه لاخبار الفرزدق ، وهو عدم ذكره للنقائض كون الاخير يشتهر بشعر النقائض ، فأراد الصولي أنْ يعبر عن قصده من خلال ذكره للجانب الاخر من شعر الفرزدق بعيدا عن شعر الهجاء ، فهو اعلان صريح عن قصده ، والتزامه بصفة التغيير والتجديد ، بالابتعاد عن التناول ألأحادي لجانب محدد وضيق في الادب ، ويُلاحظ في نص الصولي ورود الافعال الماضية (كان – دخل – شرط – ذكر) للتتناسب مع الجانب القصصي والاحداث التي يريد ان يعلنها / يلتزم بها ، لابراز سلوكياته من خلالها .

يعبر الصولي في النص (ب) ، عن قصده بشكل واضح في اطالته لرسالته بسبب التناغم والمحبة التي يكنها الصولي لمزاحم فيكون الفعل الانجازي (اطلت) معبرا / كاشفا عن قصده ، إذ قرنه مع (أن) التي تفيد التوكيد و (قد) التي تفيد التحقيق فتكون هذه الحروف كاشفة / موضحة عن المقصد وهو (الاستلذاذ لمخاطبة مزاحم ، والشغف لمراده) .

يعبر الصولي في النص (ت) عن مقصده من خلال الفعل الانجازي (سقت – ذكرنا) ، إذ قرنه بحرف التحقيق (قد) ليزيد جلاءا لمقصديته وهي سرقة البحتري من ابي تمام ، ونسبتها اليه .

---

(١) اخبار ابي تمام ، ص٧٩ .

(٢) افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص٥٠ .

ويُلاحظ من نصوص الصولي إنّها تتسم بــ :

(١) الاخلاص في القول وعدم الالتواء او الايهام من خلال التصريح الواضح عن القصد ، ليكون ذلك مؤثرا ومقنعا للمتلقي .

(٢) استعمل الصولي الالفاظ السهلة الواضحة ، لأنّه اراد أنْ يكون قصده واضحا وصريحا ويطفو على سطح الخطاب ، يفهمه المتلقي بدون كد ذهني ، ولا يكون ذلك الا بوجود هذه الالفاظ السهلة الواضحة ، كي يعلن من خلالها عن مقصده بشكل واضح وجلي .

(٤) الافعال الدالة على التعبيريات :

(أ) قال الصولي : ((ولئن كان البحتريّ أحسن في أبياته ، فما أتى بما أُمِر به وأراده منه ، لأنه أراد منه وصف الحَجى ، واحدتُها حَجَاة وهي كالقباب الصغار ، فأقتصر على وصف السحابة والمطر ، ولم يَصِفْها وهو يفعل مثل هذا بعينه))[١] .

(ب) قال الصولي : ((فوالله ما بلغه ، وظهر في لفظه تكلُّفٌ))[٢] .

(ت) قال الصولي (مادحا شعر ابي تمام) : ((فلعمري لقد فعل واحسن))[٣] .

احتوى نص الصولي (أ) على افعال انجازية عبرت وبشكل مباشر عن الحالات النفسية بصدق واخلاص ، وعما يعتوره من انفعالات وارهاصات في خطابه الانجازي إذ ابتدأه بــ(اللام الموطئه للقسم) في (لئن) ، ازاء الوقائع وموقفه اتجاهها نتيجة معرفته وتفاعله مع هذه الوقائع بشكل مباشر ، فأتى الفعل الانجازي التعبيري ليعبر عن نتيجة سلبية مثلها الفعل الكلامي (اتى – اقتصر – يصف)،لأنّ البحتري لم يصف ما طلب منه في وصف الحجى إذ

---

(١) اخبار البحتري ، ص٩١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٣٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٣٨ .

اكتفى بوصف السحابة والمطر.

يُلاحظ في نص الصولي (ب) ورود الفعلين الانجازيين (بلغ – ظهر) بصورة سلبية ، كونهما لم يبلغا الغاية منهما على لسان الصولي، فيكشفان بذلك عن انفعالاته ومشاعره بصدق واخلاص ، لأنّ البحتري لم يوفق في وصف الحجى فجاء الصولي بهما ليفصحا بصدق واخلاص عن غرضه الانجازي من خلال القسم بقوله (فوالله ما بلغه وظهر ...) فاستعمل الصولي (القسم) في بداية خطابه الانجازي ، ليعبر به عن الحالة الانفعالية بصدق واخلاص ، وافصاحه عن الحالات الشعورية والنفسية تجاه المواقف والاحداث .

يُعبر الصولي في النص (ت) عن انفعالاته وتوجهاته بافعال انجازية ادرجها في خطابه ، تفصح بصدق واخلاص تجاه القضايا الواقعية التي شهدها ،اذ يبتدأ كلامه بالقسم بقوله (لعمري) وتقديره (لعمري قسمي) فيكون القسم بمثابة اقرار واثبات لما يقول بصدق واخلاص ، ويلاحظ ان الصولي قد ادرج في لفظ القسم (لام التوكيد – قد) فـ((هذا التوكيد المؤيد بالقسم دليل على ان الامر قد حدث دون شك))(١) ، فجاء الفعلان الانجازيان (فعل – احسن) ليفصحا / يعبرا عن مشاعره وارهاصاته تجاه الواقع المعيش والمراد اثباته ، وهو أنّ ابا تمام اتكأ على نفسه في صياغة منهج خاص به وابداعه في هذا المنهج ((حتى قيل : مذهبُ الطائي))(٢) .

ويُمكن أنْ ندرج الافعال الانجازية التي وردت في نصوص الصولي والتي تُعبر / تكشف عن الانفعالات والسلوكيات بالشكل الاتي :

---

(١) تحليل الخطاب، ص٣٤٩.

(٢) اخبار ابي تمام ، ص٣٧ .

الافعال الماضية	الافعال المضارعة
أ/ كان – احسن – اراد – اقتصر .	يصفها – يفعل .
ب/ بلغ – ظهر .	-----------------
ت/ فعل – احسن .	-----------------

يُلاحظ من هذه المعالجة الزمنية للأفعال ، هو اكثار الصولي من ادراج الفعل الماضي في تعبيرياته لأنّ ((الخبر الفعلي في الماضي يفيد القضاء .. للتدليل على الصدق في القول ، ولكنه ليس واقعا خارجيا ، ومن ثم فهو بمنزلة الوعد المؤكد والقول المنجز لفظا وواقعا))(١) ، إما الفعل المضارع فكان حضوره قليلا إذ اقتصر على فعلين هما : (يصفها – يفعل) اللذان يعكسان شخصية الصولي إذ يعبر بهما عن موقفه وحضوره الحقيقي تجاه الاحداث الفعلية التي عبر عنها وانشأ خطابه الافصاحي بهما .

(٥) الافعال الدالة على الايقاعيات :

(أ) كقول الصولي : ((هل نطقوا فيها بحرفٍ من هذا قطُّ ، أو ادَّعَوْه ، أو ادَّعاه مدعٍ لهم ، أو تعرَّضُوا له ؟))(٢) .

(ب) قول الصولي : ((والبحتريّ لا يختلّ في لفظ ولا معنى إلّا اختلالاً قريباً))(٣) .

(ت) قول الصولي : ((ما سمعتُ (تعالى) إلَّا في هذا الخَبَر ، والناسِ يَرْوُونه المُعَلَّى))(٤) .

وظّف الصولي في خطاباته الانجازية عدة اليات / صيغ لغوية للتعبير عن قصده الانجازي

---

(١) تحليل الخطاب ، ص١٧٣ .

(٢) اخبار ابي تمام ، ص١٣٦-١٣٧ .

(٣) اخبار البحتري ، ص٥٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص١٠٩ .

من خلالها ، إذ استعمل الية الاستفهام (هل) في النص (أ) للتعبير عن استهجانه للمعرفة التي يدعيها هؤلاء القوم، ويوعدونها للناس بمعرفتهم مكنونات الشعر الحسن وفرقه عن الشعر الرديء .

اما في النص (ب – ت) ، فقد وظّف الصولي آلية (القصر) للتأكيد على قصده ، وهو ايراد المعنى في جانب معين دون سواه ، فيكون القول الذي يعنيه (الصولي) هو المحدد من اسلوب القصر .

المبحث الثالث : الاساليب اللغوية :

تمثل الاساليب اللغوية الجانب الابرز والامثل في عملية الابلاغ والافهام ، ويكون ذلك بــ((اختيار الكلمات ، وبالمكان الذي يخصص لها في الجملة))[1] ، فإذا ما وظّفت هذه الاساليب اللغوية بطريقة منتظمة بمرجعيات مألوفة من قبل المجاميع الاجتماعية حصل مراد المتكلم من هذا التوظيف وهو الفهم والافهام والابلاغ لأنّ ((الناس اعضاء في مجاميع اجتماعية وكونهم يتبعون انماطا سلوكية متوقعة داخل المجموعة .. ولكن عندما نكون في محيط اجتماعي غير مألوف ، فأننا غالبا ما نكون في ريبة مما نريد قوله ونخشى قول شيء خاطئ))[2] ، فالغاية المرجوة في كل خطاب حاوٍ لهذه الاساليب اللغوية هو التفاعل فيما بين المتخاطبين ، ولا يكون التفاعل حاصلا إلا بوجود عنصر الوضوح ، والذي يعد شرطا اساسيا في هذه الاساليب اللغوية ، وما تحيل اليه لأحداث التواصل بمعنى أنّ ((اللفظ المخاطب به سوف يتحدد لا بالمدلول الموضوع له والمحفوظ في المعاجم ، انما بالقصد الذي يكون للمتكلم منه عند النطق به والذي يدعو المستمع الى الدخول في تعقبه مقاميا ، لا الى تحقيق حده معجميا))[3] ، فيتحدد التركيب اللفظي للأساليب اللغوية من خلال معرفة ((سياق المقام او السياق غير اللغوي والذي يتوقف على ظروف انتاج الخطاب وسياق تلقيه))[4] ، إذ تكمن اهمية الاساليب اللغوية فيما تخلفه من اثر في سلوك المتلقي ، وتغيير في العالم ، وخاصة إذا امتلك المتكلم الاهلية اللغوية ويقصد بها ((قدرة المتحدث على الكلام وفق البنية النحوية وكذلك النية القيمية التي تنتمي اليها اللغة))[5] ، بمعنى ((ان النحو يضل

---

(١) ادبية النص ، ص٥١ .

(٢) التداولية ، ص٢١ .

(٣) استراتيجيات الخطاب ، ص٢٦٠ .

(٤) تحليل الخطاب ، ص٣١ .

(٥) اللسان العربي واشكالية التلقي ، ص١٥ .

يحتل مكانا يسبح بين الصرف والمنطق والدلالة))[١] ، فتكون البنية التركيبية لهذه الاساليب اللغوية مدخلا للولوج الى ما تحويه من دلالات عميقة / مستلزمة ويكون ذلك بـ((التعويل على المخزون اللغوي المعجمي المخزون في الكفاءة اللغوية عند مستعمل اللغة ، وهذا المخزون يحتوي مداخل معجمية ، وكذلك على حقول دلالية ، والتي يتم تصنيف المدلولات بناء على معرفتها))[٢] ، فنحوية هذه الاساليب اللغوية ضروري لمعرفة دلالاتها ، فغاية المتكلم من استعمالها في مقام خطابي معين ، وبما يفرضه السياق ومحددات العصر هو لإيصال مقصده الى متلقيه من خلالها فبهذه ((الالية اللغوية في الاستراتيجية المباشرة اليه يحقق بها المرسل مقاصده ، وكذلك يحمي بها نفسه))[٣] ، ولا يكون ذلك إلا بالتزام المرسل استراتيجية معينة يصوغ / يبني عليها خطابه من خلال استعماله اساليب / صيغ لغوية مناسبة وهو ما اسماه علماء اللغة التداوليون بـ((المعنى الحرفي))[٤] ، للتعبير عن مقاصده وما يريد ابلاغه / ايصاله للمتلقي وهو ((ما يسميه جرايس وكذلك سيرل بـ(معنى المتكلم))[٥] ، شريطة أنْ يكون ذلك بـ((استخدام صيغ التهذيب الايجابية التي تؤكد على التقارب بين المتكلم والسامع على انه استراتيجية تآزر))[٦] ، ليكون الخطاب ((مستوفيا شروط الحسن متكامل البناء ، متضاما الى بعضه من حيث الوصف والاسلوب كـــــان عملا رائعا،لا يقـــدح في جمـــــاله خطأ لغوي في كلمة او خـــروج

---

(١) بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص١٠٨ .

(٢) استراتيجيات الخطاب ، ص١٢٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص١٣٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص١٦١ .

(٥) المصدر نفسه ، ص١٦١ .

(٦) التداولية ، ص١٠٦ .

عن قاعدة من قواعد النحو))[1] ، لـ((احداث تغيير في الموقف الفكري او العاطفي))[2] ، فـ((الدرس التداولي يعنى ببناء التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب ويستتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ وبخاصة المضامين والمدلولات التي يولدها الاستعمال في السياق))[3] ، والتي يستعملها المرسل في بناء خطابه إذ ((لا يتجسد الخطاب الا بوسائل لغوية ، وبالتالي فان هذه الوسائل تعد مؤشرا على استراتيجية الخطاب المنتقاة))[4] ،أي لا يكون ذلك الا بالانتقاء / الاختيار الامثل من قبل المتكلم لهذه الاساليب اللغوية ، ومن جملة هذه الاساليب اللغوية التي استعملها الصولي :

أ- العلم:

١- ((حدّثنا محمدُ بنُ يحيى الصولي قال : سمعتُ المكتفي بالله يقول لمتوّجِ بنِ محمود بن مروان بن يحيى بن مروان أبي حفصة))[5] .

نُلاحظ في هذا النص ورود العلم(محمد)صراحة مع الكنية(ابن يحيى)واللقب(الصولي) ، لغاية وهي ألتعريف بالمتكلم، واختلافه عن غيره في ابداء الرأي ، واضفاء شيء من الرسمية على اسمه ؛ لأنّه قد ذكر كنيته ولقبه ولم يكتف بذكر اسمه فقط ، بعده هو المحدث ، فوجب عليه أنْ يذكر اسمه مع كنيته ولقبه ، لإعطاء تصور ذهني للمتلقي عنه وايضا اتباعه عادة ارتبطت عرفيا واجتماعيا في حالة ابداء الرأي وتبنيه ليكون موسوما به دون غيره و لإظهار

---

(١) القراءة والحداثة ، ص٣٤-٣٥ .

(٢) استراتيجيات الخطاب ، ص٤٤٤ .

(٣) التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، ص٣٤٢ .

(٤) استراتيجيات الخطاب ، ص٢٦٧ .

(٥) اخبار البحتري ، ص١٧٩ .

نفسه عضوا فاعلا ومشاركا في العملية الادبية والنقدية .

٢-فقال لي : ((عبدالله ، وكان ممَّن عليه الأدب والرواية))[١] .

٣- ((فلِمَ لم يعيبُوا هذا الشعرَ على كعبٍ ، وقد سمعَه النبيُّ – عليه السلامُ – وأثاب عليه))[٢] .

٤-((وهو عندي بقول كُثِّيرٍ أشبهُ ، ومنه أخذه))[٣] .

وردت في نصوص الصولي اسماء مفردة ، وهي (عبدالله - كعب - كثير) ، دون ذكر كنية او لقب للمسمى ، وعلة ذلك هو لقربه من اصحاب هذه المسميات ، من خلال معاصرته لصاحب الاسم متمثلا بـ(عبدالله) ، او قربه عاطفيا للاسم بسبب الفرق / البعد الزمني بينه وبين صاحب الاسم والذي يمثله (كثير- كعب) ، فيحصل التماثل بينه وبين اصحاب المسميات (كعب – عبدالله – كثير) ويسمى هذا الاستعمال بـ((الاستعمال المتماثل))[٤] .

٥-((وصلَّى الله على محمدٍ خاتَم أنبيائه و خيرِ رسُلِه – وعلى آله الطيبين وسلمْ تسليما))[٥] .

ورد في خطاب الصولي علما تمثل بأسم رسول الله (محمد) صلى الله عليه وآله ، فقد وصفه بأنه خاتم انبيائه دليلا على حضور السلطة والمرتبة للرسول ، فانعدم بذلـــــك

---

(١) اخبار البحتري ، ص٥٢ .

(٢) اخبار ابي تمام ، ص١٣٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٢٦٤ .

(٤) استراتيجيات الخطاب ، ص٢٧١ .

(٥) اخبار ابي تمام ، ص٢ .

التضامن او التماثل ، وهذا الاستعمال يسمى بـ(الاستعمال غير المتماثل) والذي يكون ((مؤشرا للعلاقة المبنية على اعتبار حضور السلطة او المرتبة))[١] ، فبهذه السلطة او المرتبة تبين علو ومكانة المرسل اليه من قبل المتكلم ، لذا يكون المرسل اقل مرتبة او سلطة من المرسل اليه ، نتيجة هذا الاستعمال غير المتماثل للعلم .

ب- الكنية :

١- ((فاجتمعنا بعد ذلك عنده أياماً حضر في بعضها أبو العباس المبرّد ، وكان أبو هاشم يقرأ على البحتري شعره ...))[٢] .

٢- ((وإنما جئتُ بأبن الرومي لأنه ممن رأيتُ وشاهدتُ ، وهو أقربُ المحسِنين عهداً ، وآخرُهم موتاً ، ولو تَرَفَّعْتُ إلى أبي تمام ومسلم وأبي العتاهية وأبي نؤاس وبشار لرأيتُ مثل هذا يكثر ...))[٣] .

٣- ((وكان أبو تمام يَبْصر الشعر كله وينقده ، ويُفضل الجيّدَ منه وإن كان على غير مذهبه ولا أعلمُ شاعرين أشدَّ تبايناً ، ولا أبعدَ شبهاً من أبي تمام وابن أبي عُيَيْنه المطبوع))[٤] .

تعتبر الكنية ذات سمة بارزة في نصوص الصولي ولها حضور فاعل ، لأنّه عاصر رجالات ازدهرت بهم الحركة النقدية والادبية بشكل واضح وكبير ، إذ تضفي الكنية على الشخص المعني هالة من التعظيم والتفخيم ، وهـــــذا مـــــا أكـــــده

---

(١) استراتيجيات الخطاب ، ص٢٧١ .

(٢) اخبار البحتري ، ص٥٢ .

(٣) اخبار ابي تمام ، ص٢٥ .

(٤) اخبار البحتري ، ص١٦٥ .

عبد القاهر الجرجاني ت٤٧١ هـ عن الكناية بقوله : ((.. انك لما كنيت عن المعنى زدت في ذاته بل انك زدت في اثباته ، فجعلته ابلغ وآكد واشدَّ ... ان تكسب المعاني نبلا وفضلا ، وتوجب لها شرفا ، وان تفخمها في نفوس السامعين وترفع اقدراها عند المخاطبين))[١] ، فحينما يستعمل الصولي الكنية لأي شخص ما فانه يضفي عليه مقدارا من الرسمية في مخاطبته مقترنه هذه الرسمية بالتعظيم والتفخيم ، فقد وردت الكنى في النصوص (أ ، ب ، ت) بقوله : (ابو العباس المبرد – ابو هاشم – ابن الرومي – ابي تمام – ابي العتاهية – ابي نؤاس – ابن ابي عيينه) إذ تدل هذه الكنى على اسماء اسهمت في دفع الحركة الادبية والنقدية نحو التطور والتجدد ، دونما الاقتصار على جانب محدد او نمطي ،والملاحظ أنّ الصولي في ذكره لهذه الكنى اورد اسم المبرد في مقدمة كنيته بقوله (ابو العباس المبرد) دون بقية الكنى ، وذلك لتمييزه عن بقية الاسماء التي تحمل كنية (ابو العباس) ، اما بقية الكنى فأنها تحيل على اشخاص معينين يعرفون بكناهم ، كونهم اشتهروا بها فتكون جميع الكنى ما عدا (ابو العباس المبرد) تحيل الى وصف محدد ، اما كنية (ابو العباس) فأنها لا تحيل الى وصف محدد ، الا اذا اقترنت بأسم تحيل اليه مباشرة .

ت – اللقب :

١- كقول الصولي : ((فإنك جاريتني آخر عهدِ التقائنا فيما أفضْنَا فيه من العلومِ أمرَ أبي تمامٍ حبيبِ بن أوس الطائي ، وعجبتَ من افتراقِ آراءِ الناسِ فيه))[٢] .

٢- وقوله ناصحا : ((ومن جليلِ من رأيناه ولزمناه وأكثَرْنا عنه ممن بَعُدَ صـيتُه وشَهِد

(١) دلائل الاعجاز ، ص٧١ .

(٢) اخبار ابي تمام ، ص٢ .

بالعلمِ له ، ووقع الإجماعُ عليه اثنان : أبو العباسِ محمدُ بن يزيدَ ابن عبد الأكبرِ الأزدي ، وأبو العباسِ أحمدُ بن يحيى الشَّيباني (رحمهما الله)))[١] .

اشتمل خطاب الصولي على القاب لأشخاص له معرفة مسبقة بهم وبألقابهم ؛لقصد اراده الصولي يتلاءم مع السياق والمعنى ، إذ دلّ اللقب في النص (أ) وهو (الطائي) بقوله : (ابي تمام حبيب بن اوس الطائي) على الحق الاجتماعي المكتسب لابي تمام ، فأستعمال الصولي لقب (الطائي) ((دليلا على التضامن تداوليا ، بشرط ان يتلفظ بها المرسل اما بتنغيم مستوٍ او بتنغيم مناسب للسياق ، اي مناسب للقصد المراد))[٢] ، وهو الافاضة في امر ابي تمام ، فتزيد بذلك الروابط وتتقوى بين اطراف الخطاب ، رغبة منهما (الصولي – مزاحم) في التقرب كثيرا من ابي تمام الطائي ومعرفة شعره.

اما في النص (ب) ورد لقبان هما (الازدي – الشيباني) بقوله : (ابو العباس محمد بن يزيد ابن عبد الاكبر الازدي، وابو العباس احمد بن يحيى الشيباني) إذ جاءا لقصد اراده الصولي؛ وهو النصح للمرسل اليه (مزاحم بن فاتك) لـ((يدل به المرسل على انه لصالح المرسل اليه))[٣] ، بأن صاحبي اللقبين لم يؤديا ما يتطلب منهما من العلم والمعرفة ، او بالأحرى لم يحيطا بما يتطلب من العالم ان يحيط به من العلم والدراية وبمعرفة الشعر ، ونلمس هذا المعنى بقوله : ((وهم مع ذلك يدّعون علمَ كلِّ شيءٍ ، ولا يقولون في شيء :لا ندري ولا نعلم ؛ فكانوا كما قال الشاعر :

يتعاطى كلَّ شـيءٍ وهْو لا يُحسنُ شياً

فهو لايزدادُ رُشْداً إنما يزدادُ غَيـــــــاً[٤]

---

(١) اخبار ابي تمام ، ص٧ .

(٢) استراتيجيات الخطاب ، ص٢٧٨ .

(٣)م ن ، ص٢٧٥-٢٧٦

(٤)أخبار أبي تمام،ص١٠

فكان لمجيء اللقب متمثلا بـ(الازدي – الشيباني) لمعنى مستلزم اراده المتكلم(ألصولي) وهو تقديم النصح والارشاد للمرسل اليه وهو (مزاحم بن فاتك) .

ث- افعل التفضيل :

كقول الصولي : ((وشعرُ أبي تمام أجودُ ، فهو مبتدئاً ومتَّبعا أحقُّ بالمعنى ، ولدعبلٍ خبرٌ في شعرِه هذا مشهورٌ أذكرهُ بسببِ ما قبلَه))[1] .

يسوق الصولي خطابه بأفضلية شعر ابي تمام على شعر دعبل الخزاعي، وذلك لوجود قرينة لغوية وهي افعل التفضيل (اجود) ، إذ يطلق الصولي حكمه بأفضلية شعر ابي تمام وجودته على شعر دعبل الخزاعي، نتيجة مجادلة كلامية حدثت في حلقة دعبل الخزاعي ، اذ ادعى دعبل إنّ ابا تمام ((يَتَتَبَّعُ معانِيَّ فيأخذُها فقال له رجلٌ في مجلسه : ما مِنْ ذاك ــ أعزَّك الله ــ ؟

قال قلتُ :

إِن امْرَأً أَسدَى اليَّ بشافــــــعٍ	إِليه ويرجُو الشكرَ مِنِّي لأحْمَـــقُ
شفيعَك فاشكُرْ في الحوائجِ إنه	يصُونُك عن مكروهِها وهو يُخْلِقُ

فقال له الرجلُ : فكيفَ قال أبو تمام ؟ قال ، قال :

فلَقِيتُ بين يَديكَ حُلوَ عَطائِهِ	ولَقيتَ بين يدَيَّ مُرَّ سُؤَالِه
وإذا امرُؤٌ أَسْدى إلىَّ صنيعةً	من جاهِهِ فكأنَّها من مالهِ

(١) اخبار ابي تمام ، ص٦٤ .

فقال الرجلُ : أحسنُ والله ، فقال : كَذَبتَ قبَّحكَ الله ، فقال : والله لئنْ كانَ أخذَ هذا المعنى وتبِعْتَهُ فما أَحْسَنْتَ ، وإنْ كان أخذه منك ، لقد اجاده فصار اولى به منك ، فغضبَ دعبلٌ وقام))[١] .

فعملية توظيف الصولي لأفعل التفضيل (اجود) ما هو الا اقرار من جانب الصولي بأفضلية شعر ابي تمام قِبال شعر دعبل لان افعل التفضيل هو ((ان شيئين اشتركا في معنى ، وزاد احدهما على الاخر فيه))[٢] ، فكلمة (اجود) تدل على امرين معا ؛ هما :

١- اشتراك ابي تمام ودعبل في معنى معين وهو (الشعر) .

٢- إنّ ابا تمام يزيد على دعبل في هذا المعنى المعين (الشعر) .

ومرد ذلك هو التفاوت / الاختلاف بينهما في قول الشعر واجادته ، إذ يجعله الصولي اختلافا مستمرا ومتباعدا عن شعر دعبل ،اي إنّ شعر ابي تمام بعيد من شعر دعبل ولا يتعلق به بأي تعلق .

---

(١) اخبار ابي تمام ، ص٦٣-٦٤ .

(٢) النحو الوافي ، ج٣ : ٣٩٥ .

الخاتمة

اهتمت التداولية اهتماما كبيرا وواسعا بالعملية التواصلية ، التي تتشكل من خلال تفاعل اطراف التخاطب (المتكلم – المتلقي) وبما يوفره السياق والمقام في انماء العملية التواصلية للوصول الى الغاية المرجوة والمبتغاة من العملية التواصلية وبما توفره اللغة من استحضار الالفاظ والتراكيب الملائمة للغرض المقصود والمكونة للجمل المترابطة ، التي تتشكل من خلال تناغم هذه الالفاظ والتراكيب مع المعنى المقصود(المعنى المستلزم) ، فالتداولية ليست علما لغويا محضاً ، علما يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها واشكالها الظاهرة ، بل هي علم جديد للتواصل الانساني ، يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال ويتعرف على القدرات الانسانية للتواصل اللغوي .

فعملية استعمال الالفاظ المتجاورة بعضها مع البعض الاخر دلالياً كان يهدف الى تبيان الفروق بين الاقوال التي تظهر من خلالها دينامية المعنى عن طريق الانتقال من المعنى الحرفي الى طبقات المعاني واختراق اغشية النص للولوج الى القصدية التواصلية للخطاب بما يوفره طبيعة المقام الخطابي المؤطر للمرسل اليه ، وخلفياته الاجتماعية والمعرفية (ابستمولوجية) .

لقد حاولت في هذه الدراسة تطبيق المنهج التداولي بمحدداته ووظائفه على كتابي الصولي (اخبار ابي تمام واخبار البحتري) ،لما يزخران به من لغة حجاجية اراد بها الصولي كشف الواقع المعيش ، وكيف تُدار العملية الادبية من قبل متزعمي هذه العملية الادبية في تلك الفترة ، اذ ادرك الصولي بفطنته ووعيه اهمية عناصر انتاج الخطاب اثناء عملية التخاطب من وظائف ومقاصد لأجل تحقيق فعل التأثير في المتلقين ومنتقيا طريقة المحاججة في ذلك ، بوصفها طريقة ناجعة للأقناع ، وما تخفيه هذه العملية التواصلية من مقاصد تختفي خلف المعنى الظاهري ، فمهمة التأويل والتفسير تؤول الى قارئ يمتلك استراتيجية ألتأويل والتفسير لمعرفة هذه المقاصد ، وما تحمل من دلالات . وهذا مناط بلغة تحمل في طياتها معارف مشتركة تفترض مسبقا بمعرفتها لكلا المتخاطبين ، شريطة ان يحتوي ذلك الخطاب التواصلي على اساليب واشارات ومفردات ... الخ لها مرجعيات / انزياحات يتفق عليها اطراف العملية التواصلية وما تدل عليه من دلالات ومعانٍ اراد بها

المتكلم ايصال مقصده الى المتلقي ، وهذا ما تهتم به التداولية ، وتتكفل بدراسته وتبيانه حسب استراتيجية منهجية بطرق اجرائية ، عبر الاسس التي تقوم عليها هذه النظرية اللسانية او هذا المنهج النقدي من بدأ القصدية ومراعاة السياق والافتراض المسبق والتأثير في المخاطب والفعل الكلامي ، حاولت تطبيقها على كتابي الصولي (أخبارأبي تمام وأخبار ألبحتري).

ولابد من الاشارة الى اعتماد الدراسة على اراء القدامى والمحدثين من العرب والغربيين ، غير إنّ اهم ما توصلت اليه الدراسة ، هو تسليط الضوء على حقبة من الزمن تؤمن بالجمود الفكري التقليدي النمطي ، متأثرة بالنظرة الجزئية للنقاد لما لها الاثر في وئد كل فكر متجدد، رغبة منها في جعل ألعقل اسير افكارها المضللة ، غير مؤمنة إنّ كل عصر له رجالاته وما يحملون من فكر متجدد ،تنمي بها العقل بأفكارها غير النمطية التي اعتادت عليها الساحة الادبية والنقدية .

هذا وختاما لا يسعني الا القول،انني لم استوفِ حق كتابي الصولي ت٣٣٥ه (اخبار ابي تمام واخبار البحتري)؛ لما فيهما من كنوز لغوية وادبية واسلوبية ... الخ ، راجيا ممن يأتي من طلاب العلم والبحث الخوض في هذين الكتابين لإعطاء حقهما من البحث والاستقصاء في اي منحى يرغبون به . والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وسلم تسليما كثيرا .

<u>الباحث</u>

/ / ٢٠١٧

المـــــــــــــــــصادر

(١) اخبار ابي تمام ، ابي بكر محمد بن يحيى الصولي ت٣٣٥هـ ، حققه وعلق عليه خليل محمود عساكر و محمد عبده عزام و نظير الاسلام الهندي قدم له احمد امين ، منشورات دار الافاق الجديدة - بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٠ .

(٢) اخبار البحتري لابي بكر محمد بن يحيى الصولي ت٣٣٥هـ ، حققه وعلق عليه. صالح الاشتر ،ط٢ ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

(٣) ادب الحيوان عند العرب (قصّ وحجاج) ، سامية الدريدي الحسني ، مركز النشر الجامعي - تونس٢٠١٢

(٤) ادبية النص محاولة لتأسيس منهج نقدي عربي ، صلاح رزق ، الناشر. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، شركه ذات مسؤولية محدودة . مصر – القاهرة ، ط٢ ٢٠٠١

(٥) استراتيجيات الخطاب : مقاربة لغوية تداولية ، عبدالهادي بن ظافر الشهري ، الناشر. الكتاب الجديد المتحدة ، ط١ اذار/ مارس / الربيع ٢٠٠٤ افرنجي ، دار الكتب الوطنية / بنغازي - ليبيا .

(٦) الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة الى وضع القوانين الضابطة لها ، العياشي ادراوي ، منشورات الاختلاف ، دار الامان / الرباط ، ط١ ٢٠١١ .

(٧) الاسلوبية والاسلوب . طبعة منقحة مشفوعة ببليوغرافيا الدراسات الاسلوبية والبنيوية . عبد السلام المسدي و الدرا العربية للكتاب ، ليبيا – طرابلس ، ط٣ ١٩٨٢ .

(٨) افاق تداولية ، منتصر امين عبدالرحيم ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، الأردن / عمان ، ط١ ٢٠١٦ ، .

(٩) افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، محمود احمد نحلة ، دار المعرفة الجامعية / الاسكندرية ٢٠٠٢ .

(١٠) افاق جديدة في دراسة اللغة والعقل . نعوم تشومسكي ، ترجمة. عدنان حسن ، الناشر. دار الحوار للنشر والتوزيع . اللاذقية – سوريا . ط١ ٢٠٠٩ .

(١١) اقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ، فاضل مصطفى الساقي ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٩٧٧ .

(١٢) اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم ، لفريق البحث في البلاغة والحجاج ، بإشراف حمادي صمود ، منشورات ، جامعة الآداب والفنون والعلوم الانسانية ، كلية الآداب منوبة ، تونس :- سلسلة آداب ، مجلد XXXIX ، سنة ١٩٩٨ .

(١٣) الايضاح في علل النحو ، لابي القاسم عبدالرحمن بن اسحاق الزجاجي ت٣٤٠هـ ، تحقيق. مازن المبارك ، دار العروبة ، القاهرة – مصر ١٩٥٤ .

(١٤) البراجماتية ، ويليام جيمس ، ترجمة. محمد علي العريان ، تقديم. زكي نجيب محمود ، المركز القومي للترجمة ، منتدى العقلانيين العرب ، اشراف. جابر عصفور ، مصر - القاهرة ٢٠٠٨ .

(١٥) البرهان في وجوه البيان ، ابي الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب ت٣٣٦هـ ، تقديم وتحقيق. جفني محمد شرف ، مكتبة الشباب مطبعة الرسالة . مصر – القاهرة ، المحرم سنة ١٣٨٩ هـ / مارس ١٩٦٩ م .

(١٦) بلاغة الاقناع في المناظرة (مقاربات فكرية) / عبد اللطيف عادل ، منشورات ضفاف ، بيروت / لبنان ، ط١ ، ٢٠١٣

(١٧) بلاغة الاقناع وعلم النص ، صلاح فضل . دار الكتاب المصري / القاهرة ، دار الكتاب اللبناني / بيروت ، ط١ ٢٠٠٤ .

(١٨) بلاغة الخطاب وعلم النص ، صلاح فضل،دار الكتاب المصري ، مصر / القاهرة ، ط١-١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م .

(١٩) البلاغة العربية اصولها وامتداداتها ، محمد العمري ، افريقيا الشرق ، المغرب / الدار البيضاء ١٩٩٩ .

(٢٠) البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد محمد كريم الكواز ، مؤسسة الانتشار العربي ، مكتبة اللغة العربية . بغداد شارع المتنبي ، مجمع الزوراء ((ب - ت)) .

(٢١) البنية الايقاعية في شعر ابي تمام ، بحث في تجليات الايقاع تركيبا ودلالة وجمالا . رشيد شعلان ، عالم الكتب الحديث ، اربد – الاردن ، ط١ ٢٠١١ .

(٢٢) بنية القصيدة في شعر ابي تمام (دراسات ادبية) ، يسرية يحيى المصري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧ .

(٢٣) البيان والتبيين ، ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت٢٥٥هـ ، حققه وشرحه. عبدالسلام محمد هارون ، الناشر. مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر – القاهرة ، ط٧ ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

(٢٤) تاريخ النقد الادبي عن العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري ، طه احمد ابراهيم ، طبعة مزيدة ومنقحة (الفيصلية) ، مكة المكرمة ، ٢٠٠٤ .

(٢٥) تاريخ نظريات الحجاج ، تأليف فيليب بروتون و جيل جوتييه ، ترجمة. محمد صالح وناجي الغامدي ، قسم اللغات الاوربية وآدابها ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، جامعة الملك عبد العزيز ، ط١ ٢٠١١ .

(٢٦) تجديد المنهج في تقديم التراث ، طه عبدالرحمن . الناشر. المركز الثقافي العربي ، المغرب – الدار البيضاء ((ب - ت)) ، ط٢ .

(٢٧) التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه ، تنسيق حمو النقاري ، الناشر كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط ، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء ، ط١ ٢٠٠٦ .

(٢٨) تحليل الخطاب الادبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية ، دراسة في نقد النقد ، محمد عزام ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، مكتبة الاسد ، دمشق ٢٠٠٣ .

(٢٩) تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص ، محمد مفتاح ، دار التنوير للطباعة والنشر . بيروت / لبنان ، ط١ ١٩٨٥ .

(٣٠) تحليل الخطاب في ضوء نظرية احداث اللغة دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والاقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القران الكريم ، محمود عكاشة ، دار النشر للجامعات مصر / القاهرة ، ط١ ٢٠١٣ .

(٣١) التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد ، صلاح اسماعيل عبدالحق ، الناشر. دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ط١ ١٩٩٣ .

(٣٢) التداولية ، جورج يول ، ترجمة. قصي العتابي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط١ ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م ، المغرب / الرباط .

(٣٣) التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، جاك موشلار وآن وربول ، ترجمة. سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني ، مرجعه . لطيف زيتوني ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت - لبنان ، ط١ ٢٠٠٣ .

(٣٤) التداولية عن العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الافعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، مسعود صحراوي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت / لبنان ، ط١ ٢٠٠٥ .

(٣٥) التداولية في البحث اللغوي والنقدي ، أ .د . بشرى البستاني ، مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة – لندن ، ط١ ٢٠١٢ .

(٣٦) التداولية من اوستن الى غوفمان ، فيليب بلانشيه . ترجمة. صابر الحباشة ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا – اللاذقية . ط١ ٢٠٠٧ .

(٣٧) التداولية والحجاج - مداخل ونصوص ، صابر الحباشة ، صفحات للدراسات والنشر ، سوريا – دمشق ، الاصدار الاول ٢٠٠٨ .

(٣٨) تساؤلات التداولية وتحليل الخطاب ، ترجمة وتنسيق. حافظ اسماعيلي علوي ، ذهبية حمو الحاج ، منتصر امين عبدالرحيم ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، دار المكتبة الوطنية ، ط١ ٢٠١٦ .

(٣٩) التواصل اللساني الشعرية ، مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون ، ترجمة. الطاهر بن حسين بو مزبر ، الدار العربية للعلوم – ناشرون ،منشورات الاختلاف ، ط١ ٢٠٠٧ ،الجزائر .

(٤٠) التواصل اللغوي ، مقاربة لسانية وظيفية . عزالدين البوشيخي ، مكتبة لبنان ، ناشرون – بيروت – لبنان ، ط١ ٢٠١٢ .

(٤١) التواصل والحجاج (سلسلة الدروس الافتتاحية) الدرس العاشر ، عبد الرحمن طه ، الناشر. مطبعة المعارف الجديدة ، المغرب – الرباط ، ١٩٩٣ – ١٩٩٤ .

(٤٢) جمالية الالفة النص ومتقبله في التراث النقدي ، شكري المبخوت ، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ، بيت الحكمة ١٩٩٣ .

(٤٣) الجنى الداني في حروف المعاني ، الحسن بن القاسم المرادي ت٧٤٩هـ ، تحقيق. فخر الدين قباوي ، محمد نديم فاضلن ، دار الكتب العلمية. بيروت – لبنان ، ١٩٩٢ .

(٤٤) الحجاج بين النظرية والاسلوب (عن كتاب نحو المعنى والمبنى)،باتريك شارودو.ترجمة.أحمد الودرني،دار الكتاب الجديد المتحدة ـ لبنان ـ بيروت ، ط١ ٢٠٠٩ .

(٤٥) الحجاج عند ارسطو ، ضمن مؤلف جماعي :- اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم ، هشام الريفي ، اشراف حمادي صمود ، جامعة الآداب والفنون والعلوم الانسانية ، كلية الآداب منوبة ، تونس . (د . ت) .

(٤٦) الحجاج في البلاغة المعاصرة (بحث في بلاغة النقد المعاصر) ، محمد سالم محمد الامين الطلبة . دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت – لبنان ، ط١ ٢٠٠٨ افرنجي .

(٤٧) الحجاج في الخطاب السياسي المعاصر : د. زكرياء السرتي ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، اربد / الاردن ، ٢٠١٣ .

(٤٨) الحجاج في الشعر العربي ، بنيته واساليبه ، سامية الدريدي ، عالم الكتب الحديث ، ط٢٠١٦ا٢ ، اربد – الاردن .

(٤٩) الحجاج في القرآن من خلال اهم خصائصه الاسلوبية ، عبدالله صوله ، الناشر دار الفارابي ، كلية الآداب والفنون والانسانيات ، تونس – منوبة ، ط١ ، ٢٠٠١ .

(٥٠) الحجاج مفهومه ومجالاته (دراسات نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة) ، تأليف مجموعة من المؤلفين ، ابن النديم للنشر التوزيع ، الجزائر / وهران. دار الروافد الثقافية ، ناشرون. الحمراء / لبنان . ، ط١ ٢٠١٣ . (جزئين) .

(٥١) الحجاج والحقيقة وافاق التأويل في نماذج ممثلة من تفسير سورة البقرة ، بحث في الاشكال والاستراتيجيات ، تأليف . علي الشبعان ، تقديم. حمادي صمود ، دار الكتب الجديدة المتحدة، دار الكتب الوطنية ، بنغازي – ليبيا ، ط١ ٢٠١٠ .

(٥٢) الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة ، امينه الدهري ، الناشر : شركة النشر والتوزيع / الدار البيضاء ، ط١ ، ٢٠١١ .

(٥٣) حجاجية الخطاب في ابداعات التوحيدي ، اميمه صبحي علاء الدين ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ،ط١ ٢٠١٥، عمان .

(٥٤) حجاجية المجاز والاستعارة ضمن كتاب الحجاج (مفهومه ومجالاته) ، حسن المودن ، عالم الكتب الحديث ، الاردن ، ط١ ، ٢٠١٠ .
(٥٥) الحقيقة والمنهج (الخطوط الاساسية لتأويلية فلسفية)، هانز جورج غادامير ، ترجمة. حسن ناظم وعلي حاكم صالح ، راجعه على الالمانية. جورج كتورا ، دار اويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية ٢٠٠٧ افرنجي، ليبيا_طرابلس ، ط١ / اذار / مارس / الربيع ٢٠٠٧ .
(٥٦) الحكاية والتأويل ، عبدالفتاح كليطو ، الناشر. دار توبقال للطباعة والنشر ، الدار البيضاء ، 1986 .
(٥٧) الحوار وخصائص التفاعل التواصلي دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية . محمد نظيف ، افريقيا الشرق – المغرب – الدار البيضاء ٢٠١٠
(٥٨) خطاب الاخلاق والهوية في رسائل الجاحظ ، مقاربة بلاغية حجاجية ، محمد مشبال ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ،عمان – وسط البلد – مجمع الفحيص التجاري ، ط١ ٢٠٠٥ .
(٥٩) الخطاب الشعري وتفاعل الابنية الثقافية ، مهدي صلاح الجويدي ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، اربد – الاردن ، ط١ ٢٠١٣ .
(٦٠) الخطابة ، ارسطو طاليس ، الترجمة العربية القديمة ، حققه وعلق عليه. عبدالرحمن بدوي ، الناشر. دار القلم ، بيروت – لبنان ١٩٩٧ .
(٦١) دراسات معرفية في الحداثة الغربية ، عبدالوهاب المسيري ،مكتبة الشروق الدولية،القاهرة، ط١ ٢٠٠٦
(٦٢) دلائل الاعجاز ، عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني النحوي ت٤٧١هـ ، تحقيق. محمد محمود شاكر ، قراءه وعلق عليه. ابو فهر . ((ب - ت)) .
(٦٣) ديوان بشار بن برد ، جمعه وشرحه وكمله وعلق عليه ، محمد الطاهر ابن عاشور ،صدر عن وزارة الثقافة ، الجزائر ٢٠٠٧ .
(٦٤) الرسائل الادبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعرية) ، صالح بن رمضان ، الناشرون. دار الفارابي ، بيروت – لبنان ، ط١ ٢٠٠١ .
(٦٥) الرمز والفن (مدخل الاسلوبية والسيميوطيقا الى الدرس الثقافي) . السيد ابراهيم ، مركز الحضارة العربية للأعلام والنشر والدراسات ، مصر – القاهرة ، ط٢ ٢٠٠٧ .
(٦٦) سرد الامثال ، دراسة في البنية السردية لكتب الامثال العربية مع عناية بكتاب المفضل بن محمد الضبي (امثال العرب) ، لؤي حمزة عباس ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، مكتبة الاسد ٢٠٠٣.
(٦٧) سيميائية القرآن بين الحجاج والاعجاز ، وحدة تحليل الخطاب ، محمود الصفار ، نشر وتوزيع شركة المنى – صفاقس ٢٠٠٨

(٦٨) الشعرية ، تزفيطان طودوروف ، ترجمة. شكري المبخوت ورجاء بن سلامة ، دار توبقال للنشر ، المغرب – الدار البيضاء ، ط١ ١٩٨٧ .

(٦٩) ضحى الاسلام (مهرجان القراءة للجميع) ، احمد امين ، مكتبة الاسرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر – القاهرة ١٩٩٧ .

(٧٠) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات . تون أ. فان دايك . ترجمة وتعليق. سعيد حسن البحيري ، دار القاهرة للكتاب ، مصر – القاهرة . ط١ ٢٠٠١.

(٧١) العمدة في صناعة الشعر ونقده ، ابو علي الحسن ابن رشيق القيرواني ت٤٥٦هـ ، تحقيق محي الدين عبدالحميد ، مطبعة السعادة / القاهرة ، ط٣ ، ١٩٦٣ .

(٧٢) عندما نتواصل نغير ، مقاربة تداولية معرفية لأليات التواصل والحجاج ، عبد السلام عشير ، افريقيا الشرق – المغرب ٢٠٠٦ .

(٧٣) العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، عز الدين الناجح ، مكتبة علاء الدين ، صفاقس / تونس ، المطبعة. دار نهى ، ط١ ٢٠١١ .

(٧٤) فلسفة التواصل ، جان مارك فيري ، ترجمة ، عمر مهيبل ، الدار العربية للعلوم ، (ناشرون ، منشورات الاختلاف ، المركز الثقافي العربي ، ط١ ٢٠٠٦ ، الجزائر) .

(٧٥) فن الشعر لارسطو طاليس ، مع الترجمة العربية القديمة ، وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد ، ترجمه عن اليونانية وشرحه وحقق نصوصه. عبدالرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية / القاهرة ، ١٩٥٣ .

(٧٦) في التداولية المعاصرة والتواصل ، تأليف . أ.مولز – ك.زيلتمان – ك.اوريكيوى . ترجمة وتعليق . محمد نظيف . افريقيا الشرق ، المغرب / الرباط ٢٠١٤ .

(٧٧) في النحو العربي نقد وتوجيه ، مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي ، بيروت – لبنان ، ط٢ ١٩٨٧ .

(٧٨) في بلاغة الخطاب الاقناعي ، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية ، الخطابة في القرن الاول نموذجا . محمد العمري ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، ط١ ١٩٨٦ .

(٧٩) في فلسفة اللغة ، محمود فهمي زيدان ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، لبنان – بيروت ، ١٩٨٥ .

(٨٠) في نظرية الادب عند العرب ، حمادي صمود ، ط١ ،المملكة العربية السعودية ١٩٩٠ .

(٨١) في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ، عبدالله صوله ، الناشر. مسكيلياني للنشر والتوزيع ، تونس، ط١ ٢٠١١ .

(٨٢) القاموس المحيط ، الفيروز ابادي ، ت٨١٧هـ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

(٨٣) قاموس إلياس :- متري إلياس ، دار إلياس العصرية ، مصر - القاهرة ، د. ط . د . ت .
(٨٤) القراءة والحداثة مقاربة الكائن والممكن في القراءة العربية ، حبيب مونسي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، مكتبة الاسد ، سوريا – دمشق ، ٢٠٠٠ .
(٨٥) قضايا النقد الادبي بين القديم والحديث ، محمد زكي العثيماوي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ص.ب ١٩٧٩
(٨٦) قضايا شعرية ، رومان جاكبسون ، ترجمة . محمد الولي و مبارك حنوز ،دار توبقال للنشر،الدار البيضاء-المغرب ط١ / ١٩٨٨
(٨٧) الكتاب : ابو بشر عمر بن عثمان بن قنبر المعروف سيبويه ت١٨٠هـ ، تحقيق وشرح. عبدالسلام محمد هارون ، ، الناشر. مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط٢ ١٩٨٨.
(٨٨) كتاب الحيوان ، ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت٢٥٥هـ ، تحقيق وشرح. عبدالسلام محمد ، ط٢ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥ك .
(٨٩) الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، ط١ ١٩٩٧ ، الدار البيضاء .
(٩٠) لسان العرب، ابن منظور ت٧١١هـ ، بيروت (دار صادر) ، مج٢ ، ط١ ، ١٩٩٠ .
(٩١) اللسان العربي واشكالية التلقي ، مركز دراسات الوحدة العربية . سلسلة كتب المستقبل العربي (٥٥) ، حافظ اسماعيلي علوي ... (وآخ) .، بيروت – لبنان ط١ ٢٠٠٧ .
(٩٢) اللسان والميزان او التكوثر العقلي ،طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٨
(٩٣) اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة ، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي واشكالاته ، حافظ اسماعيلي علوي، الناشرون. دار الكتاب الجديد المتحدة ، بنغازي – ليبيا ، ط١ ٢٠٠٩ افرنجي .
(٩٤) اللغة العربية معناها ومبانها ، تمام حسان ، دار الثقافة ، مطبعة النجاح الجديدة . الدار البيضاء / المغرب ، ط٤١٩٩٤ .
(٩٥) لغة النقد الادبي الحديث ، فتحي بوخالفه ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، اربد / الاردن ، ط١ ٢٠١٢ .
(٩٦) اللغة والحجاج ، ابو بكر العزاوي ، الطابع. العمدة في الطبع ، درب سيدنا – الدار البيضاء ، ط١ ٢٠٠٦.
(٩٧) اللغة والمعنى والسياق ، جون لاينز ، ترجمة. عباس صادق الوهاب ، مراجعة. يوئيل عزيز ، دار الشؤون الثقافية العامة افاق عربية ، وزارة الثقافة والاعلام – العراق / بغداد ، ط١ ١٩٨٧ .

(٩٨) اللمع في اللغة ، لابي الفتح عثمان ابن جني ت٣٩٢هـ ، مكتبة مشكاة الاسلامية ، كتبه. ميلود بن عبدالرحمن في ١٦ ربيع الثاني ١٤٢٦هـ / لـ 04/ 06 / 2005 .

(٩٩) المحصول في علم الاصول ، ابوعبدالله محمد بن عمر بن الحسين ابو الفخر الرازي ت٦٠٦هـ ، علق عليه ووضع حواشية. محمد عبدالقادر عطا ، مج ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩ م .

(١٠٠) مدخل الى السيميائية السردية والخطابية ، تأليف. جوزيف كورتيس ، ترجمة. جمال حضري ، منشورات الاختلاف ،الدار العربية للعلوم ناشرون . الجزائر العاصمة / الجزائر ، ط١ ٢٠٠٧ .

(١٠١) معاني الحروف ، الامام ابي الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي ت٣٨٤هـ ، حققه وخرج حديثه وعلق عليه. الشيخ / عرفان بن سليم العشاحسونة الدمشقي ، المكتبة العصرية ، سيدا – بيروت ، ط١ ٢٠٠٥ .

(١٠٢) معجم العين ، الخليل بن احمد الفراهيدي ت١٧٠هـ ، ترتيب وتحقيق. عبدالحميد هنداوي ، منشورات محمد علي بيضون ، درا الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

(١٠٣) المعجم الفلسفي ، جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت – لبنان ١٩٨٢ .

(١٠٤) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، احمد مطلوب ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت / لبنان ٢٠٠٧ .

(١٠٥) معجم المصطلحات الادبية ، اعداد. ابراهيم فتحي ، طبع الثقافة العمالية للطباعة والنشر ، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين ، صفاقس / الجمهورية التونسية ، ١٩٩٨ .

(١٠٦) معرفة الاخر مدخل الى المناهج النقدية الحديثة . المؤلفون : عبدالله ابراهيم - سعيد الغانمي - عواد علي، الناشر . المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط٢ ١٩٩٦ .

(١٠٧) المعنى وظلال المعنى ، انظمة الدلالة في العربية. (طبعة مزيدة ومنقحة) ، محمد محمد يونس علي ، دار المدار الاسلامي ، بيروت / لبنان ، ط٢ ٢٠٠٧ ،.

(١٠٨) مفاتيح اصطلاحية جديدة (معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع) تحرير طوني بينيت ، لورانس غروسبيرغ وصفيان موريس ، ترجمة. سعيد الغانمي ، المنظمة العربية للترجمة ، الحمراء – بيروت / لبنان ، ط١ ٢٠١٠ .

(١٠٩) مفتاح العلوم ، ابي يعقوب يسوف بن ابي بكر بن محمد بن علي السكاكي ت٦٢٦هـ ، اكرم عثمان يوسف ، طبع بمطبعة دار الرسالة ، ساعدت جامعة بغداد على نشر هذا الكتاب . ط١ ١٤٠٠هـ – ١٩٨١م .

(١١٠) المقاربة التداولية ، فرانسوازارمينكو ، ترجمة. سعيد علوش ، مركز الانماء القومي ، الرباط - المغرب ١٩٨٦ .

(١١١) المقتضب في اللغة ، ابو العباس محمد بن يزيد الثمالي (المبرد) ت٢٨٥هـ ، مكتبة مشكاة الاسلامية ٢٠٠٤ .
(١١٢) من جماليات التصوير في القران الكريم ، محمد قطب عبدالعال ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ط٢ ٢٠٠٦ .
(١١٣) المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الاصول والامتدادات ، د. احمد المتوكل ، مكتبة دار الامان – الرباط ، ط١ ٢٠٠٦ .
(١١٤) منهاج البلغاء وسراج الادباء ، ابي الحسن حازم القرطاجني ت٦٨٤هـ ، تقديم وتحقيق. محمد الحبيب ابن الخوجة ، الناشر. دار الغرب الاسلامي ، تونس ، ١٩٨٦ .
(١١٥) منهج البحث في تاريخ الادب ، لانسون غوستاف ، ترجمة. محمد مندور (ضمن النقد المهني عند العرب) ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٧٢ .
(١١٦) النحو الوافي ، مع ربطه بالاساليب الرفيعة ، والحياة اللغوية المتجددة ، عباس حسن ، ، دار المعارف بمصر ، ط٣ ١٩٧٤ .
(١١٧) نسيج النص ، الازهر الزّناد، الناشر. المركز الثقافي العربي ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٣ .
(١١٨) النص الشعري واليات القراءة ، فوزي عيسى ، دار المعرفة الجامعية ، كلية الآداب / جامعة الاسكندرية ، ٢٠٠٦ .
(١١٩) النص الغائب (تجليات التناص في الشعر العربي) ، محمد عزام ، منشورات اتحاد كتاب العرب ، سوريا / دمشق ، د . ط ٢٠٠١ .
(١٢٠) النص والسياق ، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، فان دايك ، ترجمة. عبدالقادر قنيني ، افريقيا الشرق – المغرب ٢٠٠٠ .
(١٢١) نظرية الافعال الكلامية العامة ، كيف ننجز الاشياء بالكلمات ، ترجمة. عبدالقادر قنيني ، افريقيا الشرق ، ١٩٩١م .
(١٢٢) يورجين هابرماس ، الاخلاق والتواصل ، تأليف ابو النور حمدي وابو النور حسن ، الناشر ، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ٢٠١٢ .
(١٢٣) خطاب المناظرة في الادب الاندلسي من القرن الرابع الى نهاية القرن الثامن الهجري ، محمد أبحير ، دار كنوز المعرفة العلمية بالادرن ، ط١ .

المجلات والدوريات

(١٢٤) الثقافة الشعبية والحداثة ، د. صلاح فضل ، فصول ، مجلة النقد الادبي ، علمية محكمة / العدد رقم ٦٠ ، صيف – خريف ٢٠٠٢ ، مجلة فصلية تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(١٢٥) الحجاج والشعر ، نحو تحليل حجاجي لنص شعري معاصر، د. ابو بكر العزاوي ، مجلة دراسات سيميائية ادبية لسانية ، كلية الآداب بني هلال ، العدد السابع ١٩٩٢ .

(١٢٦) الحجاج : التصورات والتقنيات ، د. مؤيد آل صوينت ، مجلة اقلام ، العدد الاول ، كانون الثاني / شباط / اذار / ٢٠١١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق / بغداد .

المواقع الالكترونية

(١٢٧) نظريات الحجاج ، جميل حمداوي ، شبكة الالوكه (www.alukah.net) .

(١٢٨) فن الشعر ، ارسطو ، ترجمة وتقديم وتعليق. ابراهيم حماده ، منتديات مكتبة العرب ، الناشر. مكتبة الانجلو المصرية ، العنوان على الانترنت www.alkottob.com .

(١٢٩) البنيات التراثية ، د. سيزا قاسم مجلة فصول ، مجلة النقد الادبي ، تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠ .

الخلاصة (باللغة الانكليزية)

Abstract

The pragmatic approach is the best method for all studies concerned with the communicative way, because it does not care about the formal or constructive study of the discourse, but rather examines all the aspects and circumstances that accompanied the appearance of such a discourse, for reading a systematic reading that surrounds everything related to the composition of discourse. As the speech is not limited to study the language itself and for itself, but taught the language two levels:

1 - Apparent level: It is related to the words and structures.

2 - The hidden level: the state of psychological, social and cognitive ...., and from both levels consist (strategy) of the speaker, addresser and text.

A - The speaker:It refers to what is expressed by words and structures to convey his intention, which is called (implicature)

B - To addresser: because of the strategy of interpretation and explanation, to know the intended speaker (implicature)

C- Text : Including the ideologies that contribute to the change of the situation. In these three strategies, the concept of "power" is created. This concept can only be achieved if the parties to the communicative process (the speaker and the communicator) share the common information and knowledge, The eloquence of (epistemological) references should be well-known for (the speaker and the communicator), so that they don’t fall into the illusion.

This research (Abu Tamam’s and Al-Bahtari’s events by Abu Bakr Al-Suli,335 AH. A pragmatics study) consists of three chapters:

- Chapter One: (argument) and it includes (intention of argument, the relations of argument and witnesses of argument)

- Chapter Two: (the conversational implicatures, cooperative principles the principle and its relation to politeness – Presupposition and intention – Signs.)

- Chapter Three: (the research as a literary genre, Speech acts, linguistic methods).

Ministry of higher education and scientific research

University of Dhi Qar

College of Arts

Abu Tamam's and Al-Bahtari's events

by Abu Bakr Al-Suli,335 AH. A

pragmatics study

This research had prepared by (raheem jabur hason) to College of Arts in University of Dhi Qar to get Master Degree in Philosophy of Arabic language and its literature / Literature.

supervised by :

Dr. Yahiya Hassan Khudair

2018 **1439**